

أعلام الحجاز

في القرن الرابع عشر للهجرة

١٣٠١-١٤٠٠ هـ

١٨٨٢-١٩٨٠ م

الجزء الثاني

محمد علي مغربي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

المقدمة

الحمد لله الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى ارسله ربه رحمة وهدى فاخرج البشرية كلها من ظلمات الجهالة الى نور العرفان ، ومن ضلالات الوثنية الى عبادة الواحد الديان ، وبعد فهذا هو الجزء الثانى من اعلام الحجاز وقد اشتمل على تراجم بعض العلماء والادباء والمؤرخين والشعراء وكلهم عَلمٌ فى فنه ومجاليه . ولقد كان حديثي عنهم بحثا فى الآثار التى تركوها والتى ظهرت فى حياتهم أو استخرجت مما خلفوه مخطوطا فى اوراقهم ، وقد اتخذ الحديث عنهم طابع الاسهاب لأني رأيت من الخير تلخيص بعض هذه الآثار التى تضمها الكتب الكبيرة فى صفحاتها ، ليسهل على الناس قراءتها والاحاطة بها ، وخاصة ما يتعلق منها بتاريخ مضى وعهد انقضى ، وليكون هذا الحديث دافعا لمن رغب الاستزادة للرجوع الى الاصل الذى منه استقيت ، والمورد الذى منه نهلت ، واني لأرجو ان يجد فيها القارئ بعض الفائدة والامتناع . ان اعلام الحجاز الذين يستحقون أن يترجم لهم أكثر من أن يحيط بهم كتاب ، واني باذل الجهد فى جمع كلما يتيسر لي من أخبارهم والاطلاع على ماتركوا من آثار وتقديمه للقارئ بالاسلوب الذى اتبعه فى هذا الكتاب وفى الكتاب الأول الذى سبقه ، متوخيا الصدق فى الرواية ، والبعد عن المطاعن مظهرا للحسنات ، عملا بالحديث الشريف « اذكروا محاسن موتاكم » متجاوزا عن النقص الذى لا يخلو منه انسان .

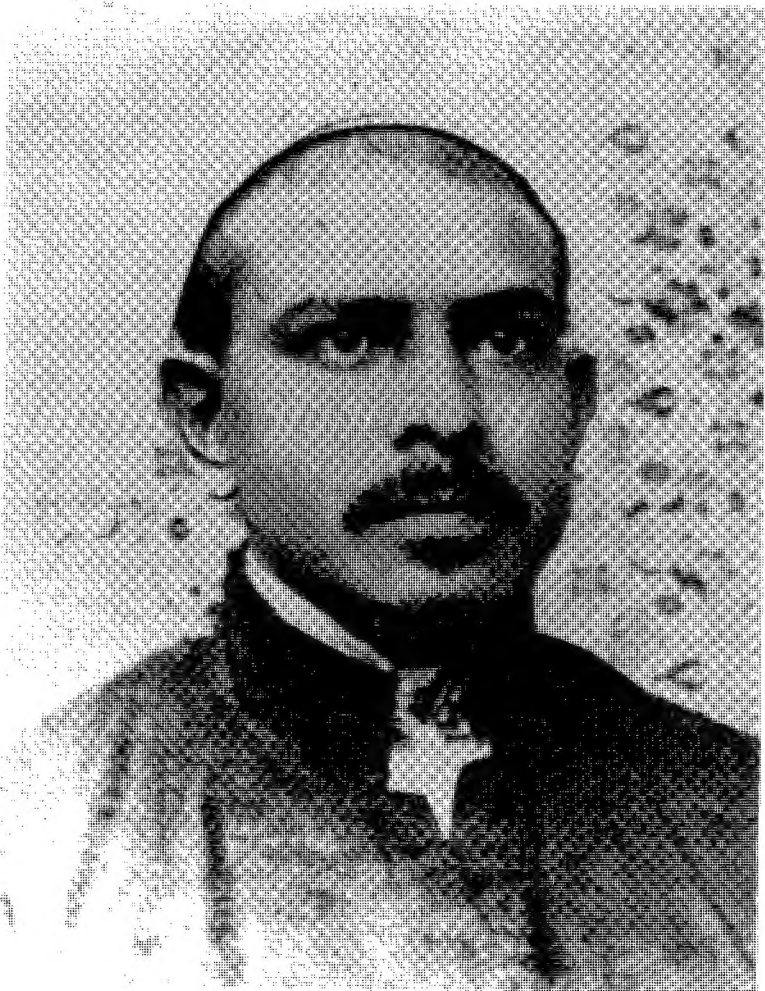
وبعد فلقد ظن بعض الناس أن اعلام الحجاز هم أعيانه وسراته ووجهاءه

فاخذوا عليّ أني أغفلت الحديث عن كثير من الرجال الذين قرنت أسماؤهم بالمال والجاه، أو الذين تقلدوا المناصب وحظوا باللقاب، وأنى أكررها ما سبق أن ذكرته للاخوة العاتين والسادة اللائمين أني أكتب عن الرجال الذين تميزت حياتهم بما بذلوه من جهد مادي أو معنوي في خدمة المجتمع الذي عاشوا فيه فتركوا هذه الحياة وبقيت آثارهم شاهدة عليهم مشيرة إلى النافع من أعمالهم، وحسابهم أولا واخيرا على الله المطلع على السرائر والذي لا يضيع عمل العاملين . . ومرة أخرى فان هذه التراجم هي لرجال فارقوا هذه الحياة الدنيا الى رحاب الله تعالى فالحديث عنهم هو للعبرة والذكرى إحياء للعمل الطيب، وتسجيلا للذكر الحسن ورغبة في اعتبار الاحياء لاتباع القدوة الحسنة ممن سبق من الآباء والاجداد .

وقبل أن اختتم الحديث أود أن أقول أن أي عمل لا يخلو من نقص فإن رأى القارئ نقضا يستطيع أن يكمله فلا يبخل علي بذلك، فلست ادعى الكمال الذي لا يصل إليه بشر، وأسأل الله تعالى أن يجعل أعمالنا كلها خالصة لوجهه الكريم خالية من العجب والرياء، كما أسأله تعالى أن يوفقني إلى الحديث عن طائفة أخرى من الأعلام في كتاب لاحق إن كان في العمر بقية والحمد لله أولا وآخرا ومنه أستمد العون والسداد . .

محمد علي مغزني

• الشيخ أحمد بن عبد الله القاري •



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الشيخ أحمد بن عبد الله القاري

اسمر اللون يميل إلى الصفرة معتدل القامة متوسط الجسم واسع العينين،
أقنى الأنف مسبل اللحية والشارب، حليق العارضين، عرفته في النصف الأول
من الأربعينات يرتدى الجبة والعمامة الالفي الحجازية ومن تحتها الشاية وهوزي
العلماء في ذلك الزمان، ثم تحول الى العباءة والغترة بدون عقال وهوزي رجال
الدين في العهد السعودي، انيق الملبس، يكسو وجهه الوقار وتلوح مخايل الذكاء
بين عينيه .

ولد بمكة عام ١٣٠٩ هجرية وحفظ القرآن الكريم وجوده على يدي والده
شيخ القراء الشيخ عبدالله القاريء والتحق بالمدرسة الصولتية بمكة المكرمة وتلقى
علومه بها اضافة الى مواظبته الحضور لتلقى الدروس بالمسجد الحرام، وكان من
انبغ الطلاب بالمدرسة الصولتية كما توضح ذلك الترجمة المسهبة التي اوردها
الاستاذ الدكتور عبد الوهاب ابراهيم ابوسليمان والاستاذ الدكتور ابراهيم احمد
على (١) وقد كان لهذا النبوغ المبكر تأثيره الحسن في نفوس أساتذته فانضم إلى
سلك المدرسين بالمدرسة وهو طالب بها وكان هذا التقليد من الوسائل التشجيعية
التي تتبعها المدرسة الصولتية مع تلاميذها النابهين .

١ - انظر ترجمة المؤلف في مجلة الاحكام الشرعية صفحة ٦٤ - ٦٧

وحصل الشيخ أحمد القارى على أجازة التدريس بالمسجد الحرام بتفوق عظيم وقد وصف العلامة الشيخ حسن المشاط الكيفية التى تم بها اختيار الشيخ أحمد القارى فقال :

كانت هيئة الامتحان مكونة من اربعة علماء يطرح كل واحد منهم سؤاله فى مختلف العلوم ويناقشون المتقدم مناقشة قوية مفحمة قل من يستطيع النجاح فيها ، وكان الأمر بالنسبة للشيخ أحمد القارى إنه إذا طرح عليه السؤال يسهب فى الاجابة بطريقة تحليلية عجيبة فاذا ما اراد احد العلماء المتحنيين مقاطعته قال له به - على رسلك فالكلام إلى نهايته - واستطاع باسلوبه وقوة عارضته وعلمه الغزير أن يمتلك إعجاب المتحنيين والحاضرين ، وعلى أثر ذلك إستحق بجدارة ان يكون من مدرسي المسجد الحرام (١)

وهكذا أثمر هذا النبوغ المبكر ثمرته فاقتعد استاذنا الشيخ أحمد القارى مقعده فى رحاب المسجد الحرام فى حصوة باب ابراهيم فى هذه السن المبكرة وكان الطلاب الذين يجلسون بين يديه يكبرونه سنا ، ويكبرهم هو مقاما وعلما .
تقلد الشيخ أحمد القارى وظائف علمية كثيرة الى جانب استمراره فى التدريس فى المسجد الحرام والمدرسة الصوليية فى عام ١٣٣٤ هـ .

وفى عام ١٣٣٦ هـ انتخب معاونا لأمين الفتوى بمكة المكرمة .
وفى عام ١٣٣٩ هـ عين عضوا بهيئة التدقيقات الشرعية الى جانب عمله السابق . وانتقل الى جدة فى عام ١٣٤٥ هـ ليتولى القضاء بها ، فى أوائل العهد السعودى .

كما تولى التدريس والدعوة والامامة بمسجد عكاش بجدة وفى هذه الفترة عين مدرسا بمدرسة الفلاح بجده للعلوم الدينية حيث إتصلت أسباب كاتب هذه السطور به استاذنا بالمدرسة المذكورة كما سنوضح ذلك بعد ، وفى عام ١٣٤٩ هـ عين الشيخ أحمد القارى عضوا بمجلس الشورى فى مكة المكرمة . وفى عام ١٣٥٠ هـ

١ - انظر ترجمة المؤلف فى مجلة الأحكام الشرعية صفحة ٦٥

عين رئيساً للمحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة فعاد إلى مركزه الطبيعي في
سلك القضاء

وقد استمر الشيخ أحمد القاري في هذا المنصب إلى أن عين عضواً في رئاسة
القضاء - هيئة تمييز الأحكام حالياً - في عام ١٣٥٧ هـ وكان رئيس القضاء هو
الشيخ عبدالله بن حسن إمام وخطيب المسجد الحرام وهو والد الشيخ حسن آل
الشيخ وزير التعليم العالي حالياً.

وقد بقي الشيخ أحمد القاري في هذا المنصب إلى أن توفاه الله تعالى في عام
١٣٥٩ هـ كما سيأتي تفصيله بعد. وينحدر الشيخ أحمد القاري من أسرة تشغل
بالعلم والتعليم فوالده الشيخ عبدالله القاري كان شيخ القراء بمكة المكرمة إلى
جانب اشتغاله بطلب العلم في المسجد الحرام والمدرسة الصوليّة فكان استاذاً
لمئات التلاميذ في مكة المكرمة وعمه الشيخ عبدالرحمن بن محمد القاري كان كذلك
من العلماء المشهود لهم بالفضل وكان مدرّساً بالمدرسة الصوليّة كذلك، ثم سافر إلى
الهند لنشر علم القراءات والتجويد فمكث بها طيلة حياته وأخواه حامد بن عبدالله
القاري والشيخ محمود بن عبدالله القاري وهما كذلك من رجال التعليم وقد أورد
الاستاذان الدكتور عبدالوهاب ابوسليمان والدكتور محمد ابراهيم أحمد علي تراجم
وافية عن هذه الأسرة الكريمة فليرجع إليها من شاء (١)

عرفت المرحوم الشيخ أحمد القاري أستاذاً لنا بمدرسة الفلاح بجدة في النصف
الأول من الأربعينات وفي أوائل العهد السعودي وكان يدرس العلوم الدينية
بالفصول العليا من المدرسة والتي كانت تسمى الفصول العلمية وتبدأ من السنة
السابعة إلى السنة التاسعة وقد رأينا في أستاذنا الجديد نمطاً فريداً بين أستاذتنا
ومعلمينا، كان الرجل ذكياً لماحاً، وكان في نفس الوقت متمكناً من العلم الذي
يلقيه إلينا، وكان مهيباً لا يجزأ الطلبة على إزعاجه بما تعود بعضهم أن يفعله من
ضوضاء وشغب وكان إلى جانب هذا وذاك شخصية محبة تجمع بين الوقار واللطف

ولا اذكر أنه عاقب أحدا من الطلبة حتى ولا بكلمة قاسية، وكانت له كلمة لطيفة يرددها أثناء الدرس وكلما انتهى من الشرح فيقول متسائلا مفهوم يامشاخ؟ فنجيب في أدب مفهوم يامولانا.

وكان المعروف عن أستاذنا أنه كان يتولى القضاء ثم حدث ما صرفه عنه فعين استاذًا للصفوف العليا بالمدرسة، وكان يعلمنا الأصول والتفسير وأذكر أنه كان يدرس لنا تفسير القرآن للإمام النسفي وهو من أجل التفاسير للكتاب الكريم، كما أنه كان الاستاذ الوحيد في المدرسة الذي يتقن علم الجبر، وكان يلقي دروسه علينا فيه في تودة يحاول ان يشرح لنا معمياته، وهو على اي حال كان من الدروس الصعبة لا بالنسبة لي وانما لكافة زملائي في الصف.

وكنا نشعر أن أستاذنا له شخصية مستقلة فلم نره يخلط نفسه ببقية أساتذة المدرسة وإنما كان يصل إلى المدرسة في مواعيد الحصّة الأولى ويأخذ طريقه الى الصف الذي يلقي فيه درسه، فاذا انتهى الدرس جلس وحيدا في غرفة الانتظار أو مع كبار معلمي المدرسة، وكنت تلمح دائما أمارات الاتزان في حركاته وحديثه، في غير اعتداد بالنفس أو تعالٍ على الآخرين.

وكان الشيخ أحمد القاري يتقاضى مرتبا ضخما من مدرسة الفلاح في ذلك الزمان خمسة عشر جنيها ذهبيا في كل شهر ولعل هذا كان أعلى مرتب تصرفه مدرسة الفلاح لكل أساتذتها بما فيهم نائب مدير المدرسة الذي كان يتقاضى عشرة جنيهات فحسب، وكان الشيخ أحمد يستحق ذلك دون شك فالرجل عالم متمكن من علمه وقد ولي القضاء في العهد الهاشمي كما وليه في العهد السعودي.

لكن ظروف المدرسة مالبثت ان تغيرت، كانت المدرسة تتلقى مصروفاتها من مؤسسها الحاج محمد علي زينل رضا الذي كان من أغنى الأغنياء وكان يتجر في اللآلي ثم ظهر اللؤلؤ الصناعي فانهارت تجارة اللؤلؤ الأصلي وتعرض مؤسس الفلاح لازمة اقتصادية عظيمة اضطر معها الى التخلي عن الصرف على مدارس الفلاح كما اسلفنا بيان ذلك في الجزء الأول من اعلام الحجاز (١)

١ - انظر الحلقة الخاصة بالحاج محمد علي زينل رضا في كتابنا اعلام الحجاز صفحة ٢٧٨/٢٩٢ الجزء الأول.

لما ظهرت بوادر هذه الازمة اضطرت المدرسة ان تطلع الشيخ أحمد القارى رحمه الله على الظروف السيئة التى تعرضت لها، والتى اضطرت معها الى ان تستغني عن خدماته لانها لاتستطيع الاستمرار فى صرف المرتب الضخم الذى يتقاضاه فى هذه الظروف، ولم يكن من أستاذنا رحمه الله إلا أنه أصرَّ على البقاء فى المدرسة والعمل فيها بدون مرتب، لم يقبل منهم أن يدفعوا له ما يدفع لزملائه الآخرين، ولم يقل أنه يقنع ببعض الراتب، وانما أصر على أن يعمل بلا مقابل على الإطلاق وهكذا كان.

ولم يكن الشيخ أحمد غنيا ولاصاحب تجارة أو عمل، وإنما كان رجل علم وهب حياته للعلم وسلخ ماضى من حياته طالب علم ومدرس علم ثم تدرج فى وظائف المحاكم الشرعية حتى وصل الى القضاء بين الناس ولقد كان صاحب أسرة ولكنه كان عظيم الثقة بالله تعالى، وانه لن يضيع أجر من أحسن عملا، لهذا أثر البقاء بين طلابه فى مدرسة الفلاح بجدة يقوم بأشرف عمل فى هذه الحياة ابتغاء مرضاة الله تعالى حتى يجعل الله له وللمدرسة فرجا ومخرجا. ولقد طلب الشيخ أحمد القارى بعد ذلك للعمل مرة أخرى فى مجلس الشورى ثم فى سلك القضاء فى مكة المكرمة وانتقل اليها كما قرأنا فى صدر هذه الترجمة. هذا ولقد كان أستاذنا محباً لتلاميذه حفيا بأمرهم.

حدث أنى تركت المدرسة بعد نهاية العطلة المدرسية وحين بداية العام الجديد، اذ رأى أهلي أن من الخير لهم أن اعمل فى إحدى الوظائف بدلا من الاستمرار فى الدراسة، وكان المتخرجون من الفلاح يعملون فى الوظائف الكتابية الحكومية أو الأهلية، ولم ير أهلي مايجب استمرارى عامين آخرين للانتقال من سلك الدارسين الى سلك الموظفين، فالحقونى بمالية جدة بوظيفة ملازم، والملازم هو الموظف الذى يلزم الدائرة التى يلتحق بها ليتمرن على العمل الوظيفى إلى أن تخلووظيفة فيعين بها بعد ان يكون قد اكتسب من الخبرة ما يؤهله لذلك، وبعد ان يكون قد اتبح لرؤ سائه ان يطلعوا على مبلغ مايحسنه من الكتابة أو الحساب. وقضيت مايقرب من شهر فى وظيفة ملازم بمالية جدة وكان رئيسها المرحوم السيد

هاشم سلطان ، وذات يوم لقيت استاذنا الشيخ أحمد القاري وهو في طريقه الى مدرسة الفلاح وانا في طريقي الى مالية جدة وكانت في مبنى الخزنه ، وكان هذا المبنى يقع امام باب جديد في مواجهة ميدان البيعة الحالي وكان يضم قائم مقامية جدة وادارة المالية والمحكمة الشرعية وقد ازيل هذا المبنى بعد ان اصبح خربا وآل الى السقوط .

وكان الشيخ أحمد رحمه الله يسكن في حارة الشام في مواجهة مبنى الخزنه المذكورة . لقيت الشيخ فوفقت اسلم عليه فسألني لماذا انقطعت عن الدراسة فاخبرته أن أهلي رغبوا لي أن أتوظف قال وماهى الوظيفة التى عملت بها قلت أنى لازلت ملازماً - والملازم لا يتقاضى أى راتب - وقد يبقى بلا عمل إن لم يهتم به أحد من الموظفين أو يوصي عليه .

قال الشيخ حسنا ، وقابلته مرة اخرى فاستوقفني وقال لي انه وجد لى وظيفة حسنة وراتبها اربعمائة قرش ذهب وهى وظيفة معاون مأمور الحوالات والطرود بادارة بريد جدة وقال لي اذهب الى هناك وقابل الشيخ سالم ناظر مأمور الحوالات والطرود فقد حدثته فى امرك وهو محتاج الى معاون له ، شكرت الشيخ وقلت انى لابد لي الرجوع الى والدي وخالي فى الأمر فقال على بركة الله .

وهكذا اوجد لى الشيخ رحمه الله اول وظيفة عملت بها وانا دون الخامسة عشرة وكانت فى وقتها تعتبر احسن مايمكن ان يبدأ به موظف صغير مثلي ، وهكذا اظهر الشيخ اهتمامه بتلميذ من تلاميذه يرحمه الله .

مجلة الاحكام الشرعية

هذا ولقد فوجئت كما فوجيء غيرى من الناس بالمرجع الشرعي الضخم الذى كرس الشيخ أحمد رحمه الله حياته لتأليفه ، والذى قام على مراجعته وتحقيقه وشرح مايتعلق به فى الهوامش الضخمة كل من الدكتور عبدالوهاب إبراهيم أبوسليمان ، والدكتور محمد إبراهيم أحمد علي الاستاذين المشاركين بجامعة أم القرى . وقامت -

تهامة مشكورة باصداره في طباعة جيدة واخراج حسن .
ان مجلة الاحكام الشرعية ليست كما يتصور القارىء مجلة من المجلات الدورية
التي تصدر في كل اسبوع أو كل شهر أو في كل بضعة شهور وانما هو اصطلاح
سبق الى الحكومة العثمانية حينما اصدرت مجلة الاحكام العدلية في عام ١٢٠٣
هـ وهو كتاب يشتمل على المعاملات الفقهية ووسائل الدعاوى واحكام القضاء
كما اوضح العالمان الفاضلان اللذين قاما بمراجعة المجلة المذكور واخراجها
للناس .

وهو علم الغرض منه وضع الاحكام الشرعية في صيغة قانونية اذا صح هذا
الوصف ، لتكون مرجعا لذوي العلاقة من العلماء والقضاة وطلاب العلم
والمحامين واصحاب القضايا وقد كانت الحكومة العثمانية وضعت هذه المجلة
على اساس مذهب الامام ابي حنيفة النعمان الذي كان المذهب الرسمي لدولة
الخلافة العثمانية .

وقد تفرغ الشيخ احمد القارى رحمه الله لوضع الاحكام الشرعية على مذهب
الامام أحمد بن حنبل في هذه المجلة التي اعطاها نفس الاسم الذي سبق ان اعطي
للمجلة التي ظهرت في العهد العثماني باعتبار ان هذا الاصطلاح اصبح علما على
هذا الامر .

وليس هنا مجال البحث في هذه المجلة الشرعية التي كرس استاذنا الشيخ أحمد
القارى رحمه الله حياته لجمع احكامها وتبويبها وترتيبها فهذا شأن المتخصصين من
أرباب هذا العلم ، وهم احق بالحديث عنه مني ومن امثالي . ولكني استطيع ان
اقول ان هذا العمل العظيم يضطلع به في العادة جماعة من أفاضل العلماء ، يتفرغ
كل منهم على ناحية من النواحي فيجمع احكامها ويراجعها ويوبنها ويرتبها ،
ويعلق عليها ، كأن يتفرغ واحد منهم مثلا لشئون البيع وانواعه وامور التجارة
وما يجوز منها وما لا يجوز ، ويتفرغ الآخر مثلا لاحكام الشركات وانواعها وما يتعلق
بها وما يتفرغ عنها . ويتفرغ الثالث لاحكام العقار وما اليه وربما اختص كل واحد

منهم بنوع من انواع الاحكام الشرعية، وهكذا حتى تستكمل هذه الجماعة جميع الاحكام الشرعية التى تتعلق بحياة الناس وامورهم. اما ان يقوم فرد واحد بعبء هذا العمل العظيم كله فهو الاعجوبة التى تنحني لها الرؤوس اجلالاً وتقديراً. ولقد ذكر العالمان الفاضلان اللذان قاما بتحقيق هذه المجلة الشرعية إن جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله اعتزم تأليف لجنة من خيار العلماء المتخصصين لوضع مجلة للاحكام الشرعية تستقى الاحكام من جميع المذاهب الشرعية بما تراه فى صالح المسلمين مدعماً باقوى الحجج ولكن جلالته يقن ان هذا الامر يقتضي الوقت الطويل والجهد الكبير فاكتفى بتعيين المراجع الشرعية التى يرجع اليها فى القضاء بين الناس. (١)

واني لانقل هنا ماكتبه الاستاذان الفاضلان اللذان قاما بدراسة وتحقيق هذا الكتاب العظيم تحت عنوان تقويم المجلة.

تعتبر هذه المجلة أول عمل علمي حديث فى الفقه الحنبلي سبق غيره من الأعمال فى هذا المجال وقد ساعد القاضي أحمد تأليفها واخراجها فى هذا الثوب الفقهى الجديد تكوينه العلمى ووضعها الوظيفة ذلك انه يعتبر من كبار فقهاء الحنفية فى البلد الحرام، وقد مارس المذهب الحنفى تعلماً وتدریسا فهو على معرفة والفة تامة بالمذهب الفقهى لمجلة الاحكام العدلية العثمانية فسهل هذا عليه هضم منهجها والاسلوب الذى صيغت فيه احكام ذلك المذهب.

اما معرفته بالفقه الحنبلي فهى معرفة عميقة لانه عايشه قضاء ولسنين عديدة فلا عجب ان تكون هذه المجلة التى نقدمها للباحثين والدارسين ثمرة تلك الروافد الصافية والملكة الفقهية الاصيلية (٢). وجاء كذلك فى تقويم المجلة مايلى : استطاع المؤلف فى كثير من المواد والاحكام صياغتها وحبك عبارتها فى صورة يمكن اعتبارها قاعدة وقانونا فاصلا فى موضوعها. ومنها :

اظهر المؤلف رحمه الله تعالى جانباً مشرقاً من ملكته الفقهية فقد ذكر فى كتاب

١ - انظر صفحة ٢٩ مجلة الاحكام الشرعية. ٣ - مجلة الاحكام الشرعية صفحة ٥٢ باب تقويم المجلة.

الوقف قضايا واقعية مأخوذة من سجلات المحاكم الشرعية مستشهدا بها لتطبيق علمي لحكم المادة، ولوقدر للمؤلف سعة في عمره لذيل كل مادة فقهية بقضية شرعية مناسبة لها خصوصا وهو يعمل في القضاء ويعتبر هذا الاسلوب فكرة متطورة سبق بها زمانه.

وختم الاستاذان الفاضلان حديثهما عن تقويم المجلة بما يلي :

ان هذه المجلة بما لها وما عليها تجربة رائدة في المذهب الحنبلي وعمل جليل في الفقه الاسلامي يتطلب من الباحثين متابعة هذا المنهج والمثابرة عليه نحو كتب تراث الفقه الاسلامي حتى تسهل الاستفادة منه، ويكسر الحاجز الذي حال بين المسلمين وبين ورود منابعه الصافية في وقت هم أحوج ما يكونون إلى ذخائره وكنوزه هذا والمجلة سفر ضخيم يتكون من ستائة وتسعة وسبعين صفحة ويحتوى على واحد وعشرين كتابا شملت الاحكام الشرعية للبيع واحكامه وانواعه والاجارات وانواعها وفي العارية والوديعة وفي الغصب والاتلاف والحجر والاكراه وفي الشفعة والصفح والابراء وفي الشركات وأنواعها وفي القضاء والبيئات والشهادة وخلافها وكل كتاب من هذا الكتب يحتوى على فصول كثيرة صيغت فيها مواد الأحكام الشرعية في تفصيل وتحقيق عظيمين وبلغ مجموع المواد التي صيغت فيها الأحكام الفين وثلاثمائة واثنين وثمانين مادة.

ولقد بقيت المجلة الشرعية التي ألفها استاذنا الشيخ أحمد القارى رحمه الله حبيسة خزانة الشيخ حتى توفاه الله تعالى فقام اخوه العالم الفاضل الشيخ حامد بن عبد الله القارى بحفظها والمحافظة عليها حتى اذن الله تعالى لها بالظهور بعد ان علم بها العالمان الفاضلان الاستاذ الدكتور عبد الوهاب إبراهيم — أبو سليمان والأستاذ الدكتور محمد إبراهيم أحمد على الأستاذان المشاركان بجامعة أم القرى فقاما بعبء مراجعتها وتحقيقها والتعليق

١ - مجلة الاحكام الشرعية صفحة ٥٣ ، ٥٤ باب تقويم المجلة.

عليها وإخراجها للناس في هذا السفر الضخم العظيم الذي يتألف من حوالي سبعمائة صفحة . وقامت تهامة مشكورة بطبعها وإخراجها للناس عملاً رائعاً عظيماً ينتفع به الناس في كل زمان ومكان . ولقد لاحظت أن مجلة الأحكام الشرعية لم تتعرض لأحكام الزواج والطلاق والأرث ، ولم يورد المحققان الفاضلان تعليلاً لذلك ، ولكن هذا لا يطعن بحال من الأحوال في قيمة العمل العظيم والجهد الكبير الذي بذله المؤلف الفاضل في تدوين أحكام المجلة وأرجو أن يقوم من علمائنا الأفاضل من يستكمل وضع الأحكام التي لم ترد في المجلة لتكون استكمالاً لهذا العمل العظيم الذي بدأه استاذنا الكبير رحمه الله .

إنها صدقة جارية أدخرها الله تعالى لشيخنا الجليل الأستاذ أحمد لتظهر بعد أن مضى عليه ما يزيد على ثلاث وأربعين سنة وهو في رحاب الله تعالى فخرجت إلى الناس بريئة من العجب والادلال لأن صاحبها قد غادر هذه الحياة الدنيا إلى دار الجزاء والحساب . سليمة من الفخر وتقبل الثناء لأن ما عند الله أبقى واجزل مثوبة . وقد توفي الشيخ أحمد رحمه الله في عام ١٣٥٩ هـ بمدينة الطائف بعد مرض طويل ودفن في المقبرة الملاصقة لمسجد ابن العباس بعد الصلاة عليه في المسجد المذكور .

رحم الله استاذنا الشيخ أحمد القاري بقدر ما أسدى للعلم وأهله وأحسن جزاءه في جنات عدن وشكر الله للاستاذين الفاضلين الذين قاما على مراجعة هذا العمل العظيم وتبويبه وترتيبه والتعليق عليه وإخراجها إلى النور لينتفع به الناس ، وشكر الله لتهامة ما تقوم به من عمل طيب متواصل في نشر روائع العلم والأدب بين الناس .

محمد علي مغربي

● حسين عبد الله باسلامة ●



حسين عبد الله باسلامة

معتدل القامة ، حنطي اللون واسع العينين ، كبير الأنف معتدل الجسم تزين وجهه لحية غلب البياض فيها على السواد يرتدي العباءة العربية ويضع على رأسه عقلاً ابيض وهو زى اتخذه بعض العلماء اما معظم رجال الدين فيكتفون بالغترة البيضاء على رؤوسهم ، ولقد كان الشيخ محمد حسين نصيف كبير جدة في القرن الماضى اذا لبس العقال لبس عقالا ابيض كهذا الذى وصفناه في لباس الشيخ حسين باسلامة وعلى ذكر الشيخ محمد نصيف او الافندى نصيف كما كان يطلق عليه اهل جدة فهو صديق حميم للشيخ حسين باسلامة وقد كتب له ترجمة مسهبة نشرت كتعريف له في كتابه تاريخ عمارة المسجد الحرام الذى ستتحدث عنه بعد ، وقد استندنا الى هذه الترجمة في التعريف به ونختصرها فيما يلى :

ولادته وتعليمه

ولد حسين بن عبد الله بن محمد باسلامة آل باداس الكندي الحضرمي المكي بمكة المكرمة في غرة شهر صفر من عام ١٢٩٩ هـ ، وتعلم على ايدى اساتذة مختلفين في الكتابيب البسيطة التى كانت سائدة في ذلك الزمان ثم انتقل مع والده

الى مدينة الطائف فالتحق بالمدرسة الرشدية لمدة عامين ولم يكمل تعليمه بها،
والمدرسة الرشدية اوالمكتب الرشدى كما ذكره الشيخ محمد نصيف هو المدرسة
الرسمية الابتدائية للتعليم فى العهد العثمانى وكانت هذه المدارس موجودة فى مكة
وجده والمدينة والطائف(١).

ثم قرأ بعض كتب الفقه ومبادئ التفسير على يد الشيخ يوسف اليمانى امام
مسجد الهادى بالطائف.

ولكن طالب العلم حسين باسلامة اضطر للانقطاع عن الدراسة لوفاة والده
فاشتغل بالتجارة ليعول نفسه واسرته.

يبد ان الرغبة الشديدة للدراسة لم تفر فى نفس حسين باسلامه فكان يجمع بين
العمل والطلب كلما لاحت له الفرصة يقول الشيخ محمد نصيف.

تعرف المؤلف فى عام ١٣٢٠ هـ بحضرة محمد عبدالله افندى الذى كان مبعوثا
لايدين بمجلس المبعوثان العثمانى درس عليه فن الجغرافيا ومبادئ التاريخ وشيئا من
فن الحساب ومبادئ علم الفلك ولازمه ملازمة تامة الى ١٣٢٣ فتلقى عنه كثيرا
من العلوم العصرية المتعلقة بالسياسة والاجتماع وما اشبه ذلك.

وكما اتصلت أسباب حسين باسلامة بمن اخذ عنه بعض العلوم العصرية فى
زمانه فقد اتصلت اسبابه كذلك بعلامة المغرب الأقصى المحدث النابغة اللغوي
الحافظ كما يصفه الشيخ محمد حسين نصيف وهو الشيخ محمد شعيب المغربى
فتلقى عنه مصطلح الحديث وعلم التفسير وشيئا من أصول الفقه كما درس فن
الحديث والتراجم على المرحوم الشيخ محمد الفاهاشم الفلاته التكرونى وكذلك
درس فن الأدب على المرحوم الشيخ عبدالجليل براده امام الأدب فى الحجاز حال
اقامته بمكة من عام ١٣٢٣ الى عام ١٣٢٦ هـ.

ودرس العلوم الدينية فقها وتفسيرا للقرآن الكريم ولعلم الحديث وعلم اللغة

١ - انظر ماكتبته عن ماضى التعليم فى الحجاز فى كتابنا اعلام الحجاز فى القرن الرابع عشر للهجرة فى تراجم السيد

محمد طاهر الدباغ والحاج محمد على زينل رضا.

على علامة مكة الفقيه المحدث السيد حسين بن محمد الحبشى مفتى الشافعية لمكة وطالت ملازمته له نحواً من عشرين حتى توفي السيد حسين بمكة في شوال من عام ١٣٣١ هـ.

وهكذا تتجلى صورة طالب العلم حسين باسلامة الحريص على طلب العلم مع السعي في هذه الحياة للقيام على شؤون نفسه واسرته.

كان يقيم بمكة وكانت مكة كما لاتزال مهوى لأفئدة الناس، يؤمها العلماء من كافة اقطار الأرض لاغراض شتى فكان صاحبنا يسعى الى هؤلاء الرجال ليتلقى عنهم مايتقنون من علوم الدين والدنيا حتى تزود بحصيلة طيبة من العلم والمعرفة في ذلك الزمان.

وكان موسم الحج يجمع الكثير من علماء المسلمين وأدبائهم فكان الشيخ حسين باسلامه يسعى إلى مقابلة هؤلاء الأعلام الوافدين للحج يبحث معهم قضايا العصر وشؤون العلم فأفاد واستفاد وبأحث وناظر وتعرف على هؤلاء الأعلام من الرجال، ثم أكمل ثقافته بالرحلة إلى مصر وسوريا أكثر من مرة واجتمع إلى كثير من مشاهير العلماء في البلدين وخاصة من سبق له الوفود إلى مكة، كما اتصل في هذه الرحلات بأرباب الصحف والمجلات العربية في الاستانة ومصر وسوريا وكتب ونشر كثيراً من المباحث الاجتماعية والعلمية والسياسية كما نشر في الصحف الحجازية بعضاً مما كتب وهكذا كان الرجل حركة دائبة في طلب العلم ونشره والاتصال بأهله في كل مكان يصل إليه.

وظائفه

اشتغل حسين باسلامه بالتدريس فكان أستاذاً للجغرافيا والتاريخ في عام ١٣٢٧ بالمدرسة الخيرية التي انشأها الاستاذ العلامة الشيخ محمد حسين خياط رحمه الله.

أما أول وظيفة باشرها فهي سكرتير مجلس الشيوخ في حكومة الملك

الشيخ الحسين بن علي في عام ١٣٣٥ هجرية.

وحينما تولى المرحوم الملك عبدالعزيز آل سعود ملك الحجاز اختيار الشيخ حسين باسلامه عضوا في المجلس التأسيسي الذي شكل آنذاك لوضع النظام الأساسي لحكومة الملك عبدالعزيز وذلك في عام ١٣٤٤ ثم انتخب عضوا في اللجنة التي شكلت لوضع التعليمات الأساسية، كما انتخب عضوا في المجلس التتشكيلي الذي شكل بجمده لترتيب دوائر الحكومة السعودية ثم انتخب عضوا في المجلس الاستشاري في عام ١٣٤٥ تم تأسيس مجلس الشورى وانتخب الشيخ حسين باسلامه عضوا فيه، كما عين عضوا في لجنة الحج في بداية تأسيسها وعين كذلك عضوا في هيئة الأمر بالمعروف حين تأسيسها.

ويبدو أن عضوية بعض المجالس كانت تتم بالانتخاب فاعيد انتخاب الشيخ حسين باسلامة في عام ١٣٤٩ مرة ثانية في لجنة الحج كما أعيد انتخابه للمرة الثانية في مجلس الشورى وكذلك ثم انتخابه عضوا في مجلس المعارف وفي عام ١٣٥٤ انتخب عضوا في هيئة المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين. هذا ماجاء في الترجمة الوافية التي كتبها الشيخ محمد نصيف عن الوظائف والأعمال التي تقلدها الشيخ حسين باسلامه.

مؤلفاته

ألف الشيخ باسلامه كثيراً من الكتب لايزال القسم الأكبر منها مخطوطاً لم يظهر إلى النور، وربما يكون الكثير منها قد فقد أو تلف مع تطاول السنين وسنذكر أسماء هذه الكتاب كما وردت في الترجمة التي كتبها الشيخ محمد نصيف بعد. أما القسم الآخر الذي تم طبعه فبعضه نفذ وسنذكره كذلك بعد، ولكن القسم المطبوع الذي وصل إلينا هو الذي ستحدث عنه في هذه الترجمة وأهم ماوصل إلى يدي من مؤلفات الشيخ باسلامه كتاب.

تاريخ عمارة المسجد الحرام

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في عام ١٣٥٤ للهجرة ثم اعيد طبعه مرة ثانية بعد عشرين عاما من وفاة المؤلف بتحقيق الأستاذ عمر بعد الجبار ومراجعة الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي مع اضافة فصول جديدة اليه ولم اطلع على هذه الطبعة، وقامت دار تهامة للنشر باعادة طبع المطبوعة الأولى من تاريخ عمارة المسجد الحرام في عام ١٤٠٠ هجرية وحرصت على اصدار هذه الطبعة الثالثة بالشكل الطباعي الذي صدرت به الطبعة في عام ١٣٥٤ اي قبل ستة واربعين عاما من تاريخ الطبعة الثالثة.

وكتاب تاريخ عمارة المسجد الحرام يمكن وصفه بأنه أول كتاب من نوعه فهو يتحدث أولا عن صفة المسجد الحرام قبل الأسلام ثم يتحدث عن الزيادة الأولى التي احدثها الخليفة الراشد امير المؤمنين عمر بن الخطاب ثم زيادة امير المؤمنين عثمان بن عفان فزيادة عبدالله بن الزبير والزيادة الرابعة في عهد الوليد بن عبد الملك فزيادة الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور ثم زيادة الخليفة المهدي فزيادات الخلفاء العباسين المعتضد والمقتدر موضحا مقدار الزيادات التي زيدت فيها مساحة المسجد في كل عهد من العهود ومقدار ما انفق على ذلك من الأموال في تفصيل دقيق.

وكما يتحدث المؤلف عن الزيادات التي زيدت في المسجد الحرام فانه يتحدث كذلك عن العمارات التي احدثت في المسجد عبر القرون واصفا ماتم في كل عمارة من اصلاح وما أدخل على المسجد من تحسين او زخرفة مبتدئا بالعمارة التي تمت في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ثم عهود الخلفاء العباسيين فملوك الجراكسة فسلطين آل عثمان بدءا بالسلطان سليمان وانتهاء بالسلطان مراد كل ذلك في تفصيل شائق ودقيق، فاذا كنت ممن يهتمون بالتاريخ فان الكتاب يقدم اليك قصة شائقة تتسلسل احداثها عبر مئات القرون ولكنها قصة حقيقة من واقع الزمان وليست من نسج الخيال، ولا اکتتم القارىء انى حينما قلبت الصفحات

الأولى من كتاب تاريخ عمارة المسجد الحرام لم اكن اقدر ان الكتاب سيستهوينى الى حد اكمال جميع صفحاته كنت اقدر اننى ساقرأ بعض الفصول قراءة تامة ، وأُمر ببعضها مروراً عابراً ولكنى لم استطع الانفكاك من تأثيره علي .

عمارة المسجد عبر التاريخ

ولعل من المفيد ان نذكر فى ايجاز الادوار التاريخية لعمارة المسجد الحرام كما وردت فى كتاب الشيخ حسين باسلامة .

ان العماير التى تمت فى المسجد الحرام عبر التاريخ كان معظمها يتم لظهور الحاجة اليها ولقد كانت مساحة المسجد الحرام محددة منذ ان بنى قصي بن كلاب الذى وحد قبيلة قريش منذ ان بنى البيوت حول الكعبة اذ كانت الكعبة فى المكان الذى بناها فيه الخليل ابراهيم عليه السلام وابنه اسماعيل وكان ماحولها فضاء يخلو من البناء فكان الناس يطوفون حول الكعبة وكانت قبائل قريش تسكن بعيداً عنها ، فلما آل حكم مكة الى قصي بن كلاب بنى الدور حول الكعبة وبهذا تحددت المساحة المحيطة بالكعبة بهذه الدور لاول مرة فى التاريخ .

وأول توسعة تمت للمطاف كانت فى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب فى العام السابع عشر للهجرة الذى رأى ضيق المطاف بعد ان ازداد عدد المسلمين فاشترى الدور المحيطة بالمسجد ووسع المطاف وجعل له ابواباً لدخول الطائفتين اليه ، وتبعه فى ذلك الخليفة الراشد عثمان بن عفان وزاد على الزيادة فى مساحة المطاف بناء رواق مسقوف فى المسجد للغرض الذى اجريت توسعة المطاف من اجله وهو زيادة المساحة للمصلين والطائفتين وتمت هذه الزيادة فى العام السادس والعشرين للهجرة .

ثم جاء عبدالله بن الزبير فى سنة ٦٤ للهجرة فزاد فى المسجد زيادة عظيمة من جهاته الشرقية والجنوبية والشمالية واشترى دوراً كثيرة بذل فيها مالا كثيراً وادخلها فى المسجد الحرام كما سقّف المسجد وجعل فيه اعمدة الرخام وبلغت المساحة فى

عمارة ابن الزبير اثنين وثلاثين الفا ورابعةمئة ذراع معماری .

وفي سنة ٧٥ للهجرة اجرى الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان عمارة المسجد الحرام الا انه لم يزد فى مساحته ولكن ابنه الوليد بن عبد الملك أجرى عمارة عظيمة فى المسجد الحرام استورد لها أساطين الرخام من مصر والشام وزاد فى مساحته رواقا واحدا دائرا على حافة المسجد الحرام وذلك فى سنة واحد وتسعين للهجرة .

وفي سنة مائة وثلاثين للهجرة امر الخليفة المنصور العباسى عامله على مكة بتوسيع المسجد الحرام فتم شراء دور كثيرة وزاد فيه فى جهته الشمالية والغربية، وكانت زيادة المنصور رواقا واحدا دائرا على صحن المسجد الحرام بحيث أصبحت مساحة المسجد الحرام بعد هذه الزيادة ضعف ما كانت عليه قبلها، وتمت العمارة فى ستة مائة واربعين للهجرة .

وفي خلافة المهدي العباسي جرت للمسجد الحرام عمارتان عظيمتان الأولى اكمل بها عمارة ابيه الخليفة المنصور والثانية لما قدم للحج ورأى ان العمارة التى حدثت لم تجعل المسجد مربعا بحيث تظهر الكعبة المشرفة فى وسطه تماما وقد انفق الخليفة المهدي الاموال العظيمة فى العمارتين وأصبحت مساحة المسجد الحرام بعد هاتين العمارتين ستة افدنة ونصف وربع ، الفدان عشرة آلاف ذراع بذراع العمل المستعمل فى البناء بمصر وهو ثلاثة اشبار تقريبا .

وفي سنة ٢٨١ ادخل الخليفة المعتضد العباسى دار الندوة بعد ان تخربت ادخلها فى المسجد الحرام وكانت مسجدا مستقلا عن المسجد وهذه الزيادة هى التى ينسب اليها باب الزيادة المعروف بمكة او على الاصح الذى كان معروفا بها قبل العمارة السعودية .

وزاد الخليفة المقتدر بالله العباسى فى سنة ٣٠٦ زيادة سميت بباب ابراهيم وكان هناك ساحة بين بابين من أبواب المسجد الحرام احدهما يسمى باب الخياطين او باب الحزورة والثانى باب بنى جمح وكانت هذه الساحة امام دارين لزبيدة ام

الخليفة الامين فادخلت هذه الساحة في المسجد الحرام .

وفي سنة ٨٠٣ للهجرة شب حريق عظيم في لمسجد الحرام اتى على الجانب الغربى من المسجد الى ان وصل الى الجانب الشمالى واستمر الحريق في هذا الجانب وهو يلتهم سقوف المسجد واعمدته الرخامية الى ان وصل الحريق الى اسطوانتين هدمهما السيل العظيم واسقط ماعليهما من الاعمدة والسقوف في باب الباسطية فتوقف الحريق ، وقد قام السلطان ابي السعادات زين الدين فرج برقوق بتعمير ما اتلفه الحريق من سقوف المسجد واعمدته ولم تحدث في هذه العمارة زيادة في مساحة المسجد الحرام .

أما عمارة السلطان سليم في سنة ٩٨١/٩٨٤ فقد كانت شاملة للمسجد الحرام كله بعد ان ظهر الخراب في بعض اروقة المسجد وبرزت رؤوس اخشاب السقوف من مواضعها فجرت للمسجد عمارة عظيمة ابدلت فيها السقوف الخشبية بالقباب الموجودة حاليا في العمارة العثمانية للمسجد والقائمة على دعائم قوية من الحجر أو أساطين الرخام - وقد توفي السلطان سليم قبل إكمال العمارة فاتمها ابنه السلطان مراد خان قد استمرت هذه العمارة أربعة أعوام وكانت تجديدا كاملا للمسجد الحرام منذ عمارة الخليفة المهدي العباسي التي انتهت في سنة ١٦٤ للهجرة ولكن مساحة المسجد الحرام قد بقيت على حالها دون زيادة باستثناء الزيادتين اللتين تمتا في باب الزيادة وباب ابراهيم والتي اسلفنا الحديث عنهما قبل .

هذه خلاصة وجيزة للدوار التاريخية التي مرت بها عمارة المسجد الحرام ، وهناك عمارة اخرى تتصل بالمسجد وان كانت لا تدخل ضمن مساحته فقد أنشاء سلطان مصر الجركسي قايتباي في سنة ٨٨٢ للهجرة اول مدرسة تدرس فيها المذاهب الأربعة كما أنشأ الخلاوى المعروفة في المسجد فاستبدل بعض الأربطة المجاورة للمسجد كما اشترى بعض الدور فبنى فيها مجمعا كبيرا مشرفا على المسجد الحرام وعلى المسعى ومكتبا ومنارة كما بنى فيها اثنين وسبعين خلوة وصير المجمع المذكور مدرسة تدرس فيها علوم الدين على المذاهب الأربعة

وحبس عليها الاوقاف في مصر وفي مكة نفسها وقرر فيها أربعة مدرسين وأربعين طالبا وقد تم بناء هذه المدرسة بالرخام المكوف وسقفها بسقف مذهب وارسل السلطان قايتباى لها خزانة كتب وضعها في المدرسة ووقفها على طلبة العلم وقد بلغت إيراد غلة هذا الوقف الفتي دينار ذهبي خلاف غلات القرى والضياح الموقوفة عليه بمصر يقول القطب الحنفي بعد ذكر ماتقدم وذلك باق إلى الآن ألا ان الأكلة قد استولت على تلك الاوقاف وضعفت جدا وهى آيلة الى الخراب وصارت المدرسة سكنا لأمرء الحاج في ايام الموسم وسكنا لغيرهم من الامراء اذا وصلوا الى مكة في وسط السنة وصارت أوقافها مأكلة .

وسأوجز للقارىء بعض المعلومات التاريخية الهامة والطريقة التى يشتمل عليها هذا الكتاب الفريد وسنبداً بالاوليات في هذه المجال .

أوليات في المسجد الحرام

- ١ - أول من بنى الدور حول الكعبة قصي بن كلاب .
- ٢ - أول من هدم الدور المنشأة حول المسجد الحرام وادخلها توسعة للمطاف وأحاط المطاف بسور له ابواب هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وتبعه في ذلك أمير المؤمنين عثمان بن عفان .
- ٣ - أول من بنى السد لتحويل مجرى السيل لئلا يدخل المسجد الحرام هو كذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .
- ٤ - أول من أحدث الأروقة وسقف المسجد أمير المؤمنين عثمان بن عفان .
- ٥ - أول من جلب أساطين الرخام واقامها في المسجد هو عبدالله بن الزبير وتبعه في ذلك الخلفاء .
- ٦ - أول من أدار الصفوف حول الكعبة خالد بن عبدالله القسرى في خلافة عبد الملك بن مروان .

- ٧ - أول من سقف المسجد بخشب الساج وهو امتن انواع الخشب ورفع جدار المسجد وزين رؤوس الاساطين في المسجد بالذهب عبد الملك بن مروان .
- ٨ - أول من أزر داخل المسجد الحرام بالرخام وجعل له شرفات وجعل في حوائطه العقود وزين واجهة هذه العقود بالفسيفساء الوليد بن عبد الملك وكذلك هو أول من جعل السراقات في الحصة ليستظل بها المصلون حينما يكثر الحجاج .
- ٩ - أول من البس جدار حجر اسماعيل الرخام هو الخليفة أبوجعفر المنصور .
- ١٠ - أول من ربيع المسجد الحرام لتكون الكعبة المعظمة في وسطه هو الخليفة العباسي المهدي وقد امر المهندسين بتمثيل ذلك له وصعد على جبل ابي قبيس ليرى الدور التي ستدخل في المسجد وقد نصبت عليها الرماح ورأى ماسيهدم من البيوت وما يكون مجرى للسيل ومحلا للسعى لكي تكون الكعبة المعظمة في قلب المسجد الحرام .
- ١١ - أول من شيد المنائر في المسجد الحرام الخليفة المنصور ثم الخليفة المهدي .
- ١٢ - أول من وضع مصباحاً للطائفتين بالمسجد الحرام عقبة بن الازرق بن عمرو الغساني وكانت داره لاصقة بالمسجد من ناحية وجه الكعبة فكان يضع مصباحا على داره وكانت مساحة المسجد صغيرة فيضيء للطائفتين وأول من وضع القناديل في المسجد لاضائته معاوية بن ابي سفيان .
- ١٣ - أول من اضاء المسجد الحرام بالكهرباء هو الملك الشريف الحسين بن علي ثم الملك عبدالعزيز آل سعود رحمهما الله .
- ١٤ - أول من خطب على منبر في المسجد الحرام معاوية بن ابي سفيان .
- ١٥ - أول من عمل مظلة في شارع المسعى للساعين بين الصفاء والمروة الملك الشريف الحسين بن علي في عام ١٣٣٩ هجرية (١) .
- ١٦ - أول من رصف شارع المسعى بالحجر الصوان الملك عبدالعزيز بن سعود

وذلك فى عام ١٣٤٥ للهجرة وكانت ارض المسعى موحلة وكان هذا اول شارع تم
رصفه فى مكة المكرمة (١) وبهذه المناسبة فان مساحة المسعى فى ذلك العهد كما
ذرعها المؤلف بلغت ثلاثمائة واربع وتسعين مترا وخمسة وثلاثين سنتما .

هذه بعض الاوليات التى استخلصتها من الكتاب وهى فى غاية الايجاز ، فمن
اراد الاستزادة من هذا المنهل العذب فليرجع الى هذا الكتاب الثمين ليجد فيه
مايشفى الغلة فالكتاب يتميز بالتفصيل الدقيق المستند الى مصادر تاريخية كثيرة . .
وقد ناقش المؤلف ماكتبه المؤرخون السابقون مناقشة العالم المتمكن من فنه وقام
بعد ذلك بتحقيق بعض الامور بنفسه مثل قيامه بذرع المسجد الحرام من جميع
جوانبه وتفسير ما قد يكون ظاهرا من اسباب اختلاف المؤرخين فى ذلك ونورد هنا
على سبيل المثال بعض المعلومات التى اوردها المؤلف بالنسبة لذرع المسجد
الحرام فى اختصار شديد .

مساحة المسجد الحرام

- ١ - كانت مساحة المسجد الحرام بعد الزيادة الاولى التى احدثها أمير المؤمنين عمر
بن الخطاب لا تتجاوز حدود المقامات الأربعة وستحدث عن هذه المقامات بعد .
- ٢ - بلغت مساحة المسجد الحرام بعد الزيادة التى احدثها عبدالله بن الزبير رضى
الله تعالى عنه اثنين وثلاثين الف واربعمائة ذراع .
- ٣ - بلغت مساحة المسجد الحرام بعد زيادة الخليفة ابي جعفر المنصور ضعف
ماكانت عليه مساحة المسجد بعد زيادة ابن الزبير والوليد بن عبدالمك - أما زيادة
الوليد بن عبدالمك فقد كانت رواقا واحدا من الجهة الشرقية .
- ٤ - زادت مساحة المسجد الحرام بعد الزيادتين اللتين ادخلهما الخليفة المهدي

٥ - قام المؤلف بذرع المسجد الحرام قبيل تأليف كتابه الذى نتحدث عنه وبعد العمارتين اللتين احدثتا فيه من قبل السلطان سليم والسلطان مراد خان العثمانيين فبلغ ذرعه ثمانية وعشرين الفا وثلاثة امتار وهذه المساحة هى التى بقيت الى ان تمت التوسعة العظيمة للمسجد فى عهد المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود واستمرت بعد وفاته الى ان تمت فى عهده ابنائه الملك سعود والملك فيصل رحمهما

أبواب المسجد الحرام

ومن امتع فصول الكتاب الفصل الخاص بأبواب المسجد الحرام ولعل مما يجدر ذكره أن أول من فتح الأبواب فى المسجد الحرام هو الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فلقد كانت البيوت تحيط بالكعبة ويخرج الناس من بيوتهم اليها فلما نزع ملكية بعض الدور لتوسعة المطاف جعل لهذه التوسعة سورا وفتح فيها ابوابا يدخل الناس الى المسجد منها ، وقد بلغت ابواب المسجد بعد توسعة الخليفة العباسي المهدي تسعة عشر بابا ، ثم توالى الزيادات فى الأبواب حتى بلغت فى عصر المؤلف فى عام ١٣٥٤ هـ ستة وعشرين بابا ، وقد ذكر مواضع هذه الأبواب من جهات المسجد الأربعة بابا بابا وتحدث عن تاريخ احداث هذه الأبواب وماكتب عليها كما تحدث عن اسماء هذه الأبواب فى تسلسل تاريخي ممتع مع محاولة تحليل هذه التسميات وأورد هنا بعض المعلومات الخاصة بأبواب المسجد الحرام كمثال على ما يحتويه الكتاب من معلومات ثمينة قيمة .

١ - باب اجياد الصغير ذكره بهذه الاسم ابن ظهيرة وقطب الدين فى الاعلام وابن جبير فى رحلته وسماه ابن جبير ايضا باب الخلفيين وعرفه الازرقى بباب بنى مخزوم ، احدثه وانشأه أمير المؤمنين محمد المهدي فى عمارته الثانية سنة ١٦٤ وقد جددت عمارته سنة ٩٨٤ التى أجريت بأمر السلطان مراد خان ابن السلطان سليم خان وعليه ١٩ شرفة وله منفذان وله كذلك باب خشبي قوى بمصراعين ويعلوعن

أرض الرواق بتسع درجات وقد كتب عليه نقرا على الحجارة بالخط البارز.
«بسم الله الرحمن الرحيم ، ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب» .

٢ - باب النبي سمي بذلك لان النبي صلوات الله وسلامه عليه كان يدخل المسجد ويخرج منه من تلك الجهة حيث كانت في تلك الجهة دار زوجه خديجة رضوان الله تعالى عليها ، يقول المؤلف ويقال لهذا الباب باب الجنائز والظاهر من تسميته بهذا الاسم ان الجنائز كانت تخرج منه في ذلك العصر حيث انها تخرج الآن من باب السلام غالبا ، ويقال له ايضا باب الحريريين لانه كان يباع الحرير في الدكاكين التي بجواره من الخارج ، ويقال له ايضا باب القفص لان الصاغة كانوا يقطنون قديما تلك الجهة ويضعون الحلي في اقفاص بقرب الباب المذكور ويقول المؤلف ولا يزالون لحد الآن نحو الباب المشار اليه وقد احدثه الخليفة المهدي في عمارته ، وهذا الباب يعلو عن ارض المسجد الحرام بثمان درجات ولم يحدد بناؤه في العمارة الاخيرة التي وقعت في سنة ٩٨٤ حيث انه كان قويا بحكم البناء وانما جددت الشرفات التي عليه وعددها (٢٤) شرفه وقد عمره الملك الأشرف برسباي احد سلاطين مصر وهو لا يزال على تلك العمارة الى الآن - هذا بطبيعة الحال قبل التوسعة السعودية العظيمة - وقد كتب نقرا على الحجارة داخل دائرة مستطيلة على علو الباب المذكور بالخط البارز.

«بسم الله الرحمن الرحيم ، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله. واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة» .

امر بتجديد الباب الشريف للنبي ﷺ سيدنا ومولانا المقام الشريف السلطان الملك الأشرف ابو النصر برسباي خادم الحرم الشريف وأمير المؤمنين اللهم اعز نصره على يد الفقير الى الله تعالى الوزير المقدم مقبل القديدي المكي الاشرفي بتاريخ ذى القعدة الحرام احد شهور سنة خمس وعشرين وثمانائة ، وهذه

الكتابة قديمة من عهد عمارة الباب المذكور ثم في سنة ١٣١٤ هـ جرت عمارة في المسجد الحرام وممرات وكتب تاريخها على هذا الباب ، وكتب اسم السلطان عبد الحميد خان بن السلطان عبد المجيد خان ضمن طرة سلطانية بالذهب وكتب بأسفلها تاريخ العمارة بالرقم وهي سنة ١٣١٤ هـ حيث جرت بأمر السلطان عبد الحميد خان العثماني المذكور وهذا الباب يفتح على منفذين ولكل منفذ باب خشبي قوى بمصراعين .

هذا مثال لما ورد في الفصل الخاص بأبواب المسجد الحرام وهو كما يرى القارئ حشد من المعلومات التاريخية والطريقة في آن واحد جمعها المؤلف من المصادر المختلفة وحقق فيها وعلل مسمياتها المتعددة وهو جهد عظيم مشكور.

الخطبة والمنبر في المسجد الحرام

وفي الكتاب معلومات هامة عن الخطبة في المسجد الحرام بل عن المنابر والخطباء نوجز بعضها فيما يلي :-

كان الخلفاء الراشدون وولاية مكة يخطبون قياما على اقدامهم في المسجد تجاه الكعبة المعظمة فلما ولي معاوية بن ابي سفيان الخلافة وكان جسيما وضع له منبر صغير ذو ثلاث درجات قدم به من الشام وذلك لما قدم للحج فكان هو أول من خطب على منبر في المسجد الحرام ، وقد بقي هذا المنبر يخطب عليه الخلفاء كلما قدموا للحج ، كما يخطب عليه ولاية مكة الى ان حج الخليفة هارون الرشيد فخطب على منبر منقوش عظيم له تسع درجات اهدى إليه من عامله على مصر موسى بن عيسى فبقي هذا المنبر في مكة ونقل منبر معاوية الى عرفات ثم أصبح الخلفاء والملوك يتنافسون في إنشاء المنابر العظيمة لا في مكة وحدها ولكن في مكة وعرفة ومنى فأرسل الخليفة العباسي الواثق منابر ثلاثة لمكة وعرفة ومنى ولما حج الخليفة المنتصر ابن المتوكل جعل له منبراً عظيماً خطب عليه بمكة وخلفه بها ، وكانت المنابر والخطابة في المسجد الحرام تعكس الحالة السياسية للبلاد الاسلامية في تلك

العصور فقد عمل وزير المقتدى العباسى منبراً هائلاً استقام كما يقول المؤلف بالف دينار وبعثه الى مكة ليخطب عليه باسم الخليفة المقتدى العباسى فمنع المصريون ذلك واحرقوا المنبر ولم يبد أمير مكة محمد بن جعفر اعتراضاً على ذلك وخطبوا للمستنصر العبيدى صاحب مصر وقد حذا ملوك مصر من الجراكسة لما اشتد ساعدتهم حذو الخلفاء من بنى العباسى فارسل الملك الاشرف فى عام ٧٦٦ منبراً خطب له عليه كما ارسل الملك الظاهر يرقوق منبراً فى عام ٧٩٧ وكذلك فعل الملك المؤيد فى موسم عام ٨١٨ يقول المؤلف فخطب عليه فى سبع ذى الحجة وجرت الخطبة على المنبر الذى كان قبله وكان خطب على منبر الملك الاشرف واحداً وثلاثين سنة .

يقول المؤلف لما احرق المصريون المنبر الذى ارسله وزير الخليفة المقتدى العباسى وخطبوا للمستنصر العبيدى لم يبد أمير مكة محمد بن جعفر اعتراضاً، وكان هذا الأمير هو أول من قطع الخطبة للملوك مصر وخطب للملوك بنى العباسى بعد ان قطعت الخطبة لهم نحو مائة سنة ، وابى أهل مصر الا ان تكون الخطبة للمستنصر العبيدى صاحب مصر فخطب له ، ثم كان بعد ذلك يخاطب حيناً لبني العباس وحيناً للملوك مصر ، يقدم منهم من يجزل له العطاء .

وقد تتابع ارسال المنابر الى مكة من مصر وكان يحرص مرسلوها على ان يخاطب عليها فى موسم الحج وقد استقر الأمر بالنسبة للمنابر بالمنبر الرخامى الذى بعث به السلطان العثمانى سليمان ابن سليم فى سنة ٩٦٦ وهذا المنبر تحفة معمارية فريدة

وهو موجود حتى هذا اليوم بالمسجد الحرام وقد مضى على وجوده حتى الآن أربع مائة وستة وثلاثين عاماً وقد خطب عليه للخلفاء العثمانيين وغيرهم على تتابع

العصور الى أن ابطلت حكومة الملك عبدالعزيز رحمه الله الخطبة للملوك باسمائهم وجعل الدعاء بنصر الاسلام والمسلمين وإعلاء كلمة الدين فسلم المسجد من ضوضاء السياسة ووعثاء الساسة فجراه الله خير الجزاء .

موكب الخطيب

وقد اورد المؤلف وصفا شائقا لموكب الخطيب اذا صح هذا التعبير فى مختلف العصور ننقل منه مايلى . فى يوم الجمعة يلصق المنبر الى صفح الكعبة الشريفة فيما بين الحجر الأسود والركن العراقى ويكون الخطيب مستقبلا المقام الكريم ، فإذا خرج الخطيب اقبل لابسا ثوبا اسود معتما بعمامة سوداء وعليه طيلسان اسود، وكل ذلك من كسوة الملك الناصر ، وعليه الوقار والسكينة وهويتهادى بين رايتين سوداوين يتمسكهما رجلان من المؤذنين وبين يديه احد القدمة فى يده الفرقة مفتول ينفضه فى الهواء فيسمع له صوت عال يسمع داخل الحرم وخارجه فيكون إعلانا بخروج الخطيب ولايزال كذلك إلى أن يقرب من المنبر فيقبل الحجر الأسود ويدعو عنده ثم يقصد المنبر ورئيس المؤذنين بين يديه لابسا السواد وعلى عاتقه السيف ممسكا له بيده، وتركز الرايتان على جانبي المنبر فإذا صعد أول درجة من درج المنبر قلده المؤذن السيف فيضرب بنعل السيف ضربة على الدرج يسمعها الحاضرون وهكذا على سائر الدرج فإذا استوى عليه استقبل الناس وسلم عليهم ثم يقعد ويؤذن المؤذن على قبة زمزم فإذا فرغ من خطبته صلى وانصرف على الوضعية التى أتى بها ثم يعاد المنبر إلى مكانه إزاء المقام - إنتهى .

أقول هذا ما أورده المؤلف لموكب الخطيب نقلا عن رحلة ابن جبير وهو وصف لما كانت عليه مراسم خطبة الجمعة فى عهد الملك الناصر فى سنة ٥٧٨ فى القرن السادس للهجرة .

وأورد المؤلف كذلك وصفا شيقا لموكب الخطيب فى العصور العثمانية ننقل عنه مايلى :

يصل الخطيب يوم الجمعة عند الزوال إلى المسجد الحرام فيدخل المدرسة الواقعة بين باب بازان وباب علي المسماة بقبة الساعات حيث وضعت فى ذلك العصر ساعتان كبيرتان للتوقيت ، ثم ينادى بفتح الصلاة ويصلى ركعتين فيصلى فيها ركعتين ومن عادة الخطيب فى ذلك العصر أن يرتدى جبة واسعة

الأكمام تسمى الفرجية ويعتم بعمامة من الشاش الأبيض على كفية هندية مصنوعة من القماش الحرير الملون ومبطنة بالخيزران اللطيف وتلف العمامة الشاش عليها لفا منتظماً متراساً بعض الطيات على بعض وتسمى تلك اللفة بالمدراج (١) ثم يأتي المرقى الى المدرسة المذكورة يحمل الطيلسان والعصا التي يعتز عليها الخطيب حال صعوده المنبر، وهذه العصاة داخلها سلاح من نوع السلاح الأبيض رفيع السلة اشبه بسنان الرمح يسمى (بالغدارة) وهذا المرقى هو من ضمن المبلغين بالمسجد الحرام قد تخصص لهذه الوظيفة فيضع المرقى الطيلسان على رأس الخطيب فوق العمامة فيلتف به الخطيب ويخرج من المدرسة المذكورة ميمماً نحو المنبر، فإذا بلغ الحصوة الموالية لرواق المدرسة التي كان بها وجد هناك بيرقين من الحرير الاحمر، ونفرين من أغوات الحرم ونفرين من مشدية الحرم فاذا وصلوا اليهم ساروا جميعاً امام الخطيب يتقدمهم المرقى حامل عصا الخطيب، ثم يتبعه حاملا البيرقين ثم اغوات الحرم، ثم المشدية، ويسيرون على هذه الحالة الى ان يصلوا المنبر فاذا وصلوه ركزت الرايتان على باب المنبر ووقف الاغوات عند باب المنبر أيضاً ثم

ترفع الستارة الخضراء المزركشة باسلاك الفضة المموهة بالذهب الموضوعة على باب المنبر ويسلم المرقى العصا الى الخطيب فيصعد الخطيب على درج المنبر وخلفه المرقى فاذا وصل الخطيب أعلى المنبر جلس على مسطبة وقام المرقى في وسط درج المنبر، واذا اذان الجمعة الثاني تابعا في ذلك رئيس المبلغين من قبة زمزم، فاذا تم الاذان قام الخطيب وشرع في الخطبة الأولى فاذا أتمها جلس، فيقوم المرقى ويصلى على النبي ﷺ رافعا بها صوته فمتى أتمها قام الخطيب وألقى الخطبة الثانية حتى اذا بلغ فيها ذكر النبي ﷺ جهر المرقى بالصلاة على النبي ﷺ ثم اذا بلغ الخطيب ذكر اصحاب رسول الله ﷺ جهر المرقى بالترضى عنهم فاذا ذكر الخطيب اسم الخليفة أو السلطان أو الملك جهر المرقى بالدعاء له بالنصر والظفر والتأييد، يقول المؤلف وكان من ادركتهم من سلاطين آل عثمان هما

١ - هذا الوصف مطابق لوصف العمامة الحجازية انظر ماكتبناه عنها في فصل الملابس والازياء في كتابنا ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة.

السلطان عبد الحميد خان الثانى والسلطان محمد رشاد الخامس وكان يدعى لهما بالخلافة . وهذا الوصف كما هو واضح لما كان عليه الحال فى أواخر عهد الخلافة العثمانية حيث عاصر المؤلف ذلك .

ولم يختلف موكب الخطيب فى العهد الهاشمي عما كان عليه الحال فى أواخر العهد العثماني إلا إن الرايتين أصبح لونهما اخضر وكانتا كذلك مزركشتين بإسلاك الفضة المموهة بالذهب .

وحينما استولى الملك عبدالعزيز رحمه الله على الحجاز ابطل كل هذه المراسم والمواكب فعادت الأمور الى بساطتها الأولى وأصبح الخطيب يأتي من بيته القريب من الحرم فيرقى الى المنبر فيجد اثنين من اغوات الحرم الشريف واقفين عند باب المنبر فيحمل العصا المعتادة للخطابة ويصعد درجات المنبر فإذا بلغ اعلاه جلس على مسطبة وقام المؤذن على قبة زمزم فى اذان الجمعة الثانى فإذا فرغ من الأذان قام الخطيب والقى خطبة الجمعة أما ملابس الخطيب فهي لا تختلف عن ملابس امثاله من العلماء ورجال الدين(١)

كثرة الخطباء والائمة فى المسجد الحرام

هذا ولم تكن الخطابة ولا الامامة مقصورة على شخص أو اثنين كما هو الحال فى العصر الحاضر وإنما كانت كما يقول المؤلف على المذاهب الأربعة ومشاعة فى كثير من أهل مكة المكرمة على اختلاف أجناسهم فمنهم آل ميرداد والعجيمي وآل خوقير ، وآل الريس ، وآل الكتبي ، وآل شطا ، وبيت المال من آل عبد الشكور ، وآل النزواوي ، وآل الكردي ، وآلى الحريري ، وآل جمل الليل ، وآل تقي ، وآل المفتى ، وآل كمال ، وآل المالكي ، وآل بن حميد ، وآل صديق ، وآل الفقيه ، وآل حجي وآل البسيوني وآل القلعي ، وآل دحلان ، وآل الحبشي ، وآل بابصيل ، وغيرهم كما يقول المؤلف ممن لم تحضرني اسماؤهم ، وكان من بعض هذه العوائل الخطيب والخطيبين واكثر ، والامام والامامين واكثر وقد بلغ من تسجلت اسماؤهم

١ - ٢٠٦ - ٢١٢ تاريخ عمارة المسجد الحرام .

من الخطباء في مديرية الأوقاف وشيخ الخطباء نحو الخمسين خطيباً ومن تسجل من الأئمة عشرين إماماً في المذاهب الأربعة (١).

المقامات الأربعة

ومن امتع فصول الكتاب الفصل الذي عقده المؤلف عن المقامات الأربعة وهذه المقامات منسوبة الى المذاهب الأربعة فلقد كان الناس قبل العهد السعودي يصلون جماعات أربعة بل كانوا يصلون في بعض العهود خمس جماعات باضافة المذهب الزيدي كما وصفه ابن جبير في حج عام ٥٨٨ هـ.

يقول المؤلف نقلاً عن ابن جبير ، وللحرم أربعة ائمة سنية وخامس لفرقة تسمى الزيدية واشراف هذه البلدة على مذهبهم وهم يزيدون في الاذان - حي على خير العمل - أترقول المؤذن حي على الفلاح ، ولا يجمعون مع الناس انما يصلون ظهراً اربعاً ويصلون بعد فراغ الأئمة من صلاتها .

فأول الأئمة السنية الشافعي وهو يصلي خلف مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، ثم المالكي وهو يصلي قبالة الركن اليماني ، وله محراب يشبه محارب الطرق الموضوعة فيها ، ثم الحنفي وصلاته قبالة الميزاب تحت حطيم مصنوع له وهو اعظم الأئمة ابهة وافخرهم آلة من الشمع وسواها . وسبب ذلك ان الدول الأعجمية كلها على مذهبه ، ثم الحنبلي وصلاته مع صلاة المالكي في حين واحد ، وموضع صلاته يقابل مابين الحجر الأسود والركن اليماني وله حطيم معطل هو قريب من حطيم الحنفي وللشافعي مقام بازاء المقام - حطيم حفيل وصفة الحطيم خشبتان موصول بينهما باذرع شبه السلم تقابلهما خشبتان على تلك الصفة قد عقدت هذه الخشبة على رجلين من الجص غير بائنة الارتفاع واعترض في اعلا الخشب خشبة فيها خطاطيف حديد فيها قناديل معلقة من الزجاج .

هذا ماوصف به ابن حبير المقامات الأربعة في حجته التي اشرنا اليها في القرن

١ - ٢١٠ تاريخ عمارة المسجد الحرام .

السادس الهجرى وقد تتبع المؤلف ما طرأ على هذه المقامات من كتب الرحلات والمؤرخين الى العصر الذى عاش والف كتابه فيه، وليس ما يهنا هو ذكر هذه التطورات وانما الذى يهنا هو وصف كيفية الصلاة للائمة الأربعة سواء فى أوقات متتابعة أو فى وقت واحد كما هو الحال فى صلاة المغرب لضيق وقتها وما ينتج عن قراءة الاثمة الأربعة وتبليغ المبلغين عنهم فى الركوع والسجود من اختلاط وتشويش على الناس فى ركوعهم وسجودهم .

يقول ابن بطوطة فمن عاداتهم - أهل مكة - ان يصلي أول الأئمة أمام الشافعية وهو المقدم من قبل أولى الأمور وصلاته خلف المقام الكريم - مقام إبراهيم - وجمهور الناس بمكة على مذهبه فإذا صلى الإمام الشافعى صلى بعده إمام المالكية، ويصلى معه إمام الحنبلية فى وقت واحد، ثم يصلى إمام الحنفية الى أن يقول وترتيبهم هكذا فى الصلوات الأربع، وأما صلاة المغرب فانهم يصلونها فى وقت واحد كل امام يصلي بطائفته ويدخل الناس من ذلك سهو وتخليط فربما ركع المالكي بركوع الشافعي وسجد الحنفي بسجود الحنبلي وتراهم مصيخين كل واحد الى صوت المؤذن الذى يُسمع طائفته لئلا يدخل عليه السهو.

ولقد كان تقدم ائمة المذاهب فى الصلاة قبل غيرهم مرتبط بالحالة السياسية فى تلك العصور فما نقلناه عن ابن حيران إمام الشافعية كان المقدم عليهم تغير عام ٦٩٠ واصبح المقدم إمام الحنفية وهكذا، ولقد كان بعض العلماء والوافدين فى المواسم يعترضون على هذه الفوضى وصدرت بعض الفتاوى بكرهية تعدد الجماعات فى المسجد الحرام ووصل الامر الى ملك مصر الناصر بقوق الجركسي فبرز امره فى ذلك العام ان يصلى إمام الشافعية المغرب وحده واستمر الناس يصلون المغرب فى جماعة واحدة الى ان تولى الملك المؤيد فاصدر مرسوما بأن يعود الاثمة الثلاثة الى صلاة المغرب كما كانوا قبل ذلك .

وقد انتهى تحقيق المؤلف ان حدوث هذه البدعة وقع فى القرون الوسطى على اختلاف اقوال المؤرخين فى ذلك فمنهم من ذكرها فى عام ٤٩٧ ومن ذكرها فى عام

٥٤٠ و ٥٥١ وقد تحدث عنها ابن حبير في القرن السادس كما تحدث عنها التقي الفاسي بعده بمائة عام وقد استمرت هذه البدعة رغم اعتراض ائمة علماء المسلمين عليها طيلة هذه القرون حتى ابطالها المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله بعد استيلائه على الحجاز فوحد الصلاة في المسجد الحرام وفي غيره من المساجد بإمام واحد في عام ١٣٤٣ للهجرة فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء (١)

معلومات عديدة

ونواصل حديثنا عن كتاب عمارة المسجد الحرام بالمعلومات العديدة التي وردت فيه :-

- ١ - بلغ عدد الاساطين الرخام في المسجد الحرام التي أحصاها المؤلف ثلاثمائة واحد عشر اسطوانة رخامية وستة عشرة اسطوانة من الحجر الصوان المنحوت .
- ٢ - كما بلغ عدد الدعائم المبنية من الحجر الشميسي أو الحجر الصوان مائتين وثمانية وسبعين عمودا وكان المتبع في بناء هذه الاعمدة ان يكون سفليها اللاصق بالأرض من الحجر الصوان الى ثلث العمود ثم يبنى بقية العمود بالحجر الشميسي المنحوت على أربعة ألوان اسود واحمر قاتم - وأصفر بلون البرتقال ، ورمادي (٢) .
- ٣ - وبلغ عدد العقود المطوية في المسجد الحرام تسعمائة واربعة وثمانين عقدا وهذه العقود هي التي تقوم على الاعمدة والاساطين الحاملة للسقوف ، اما العقود الكبيرة في الاماكن المختلفة من المسجد فتبلغ واحدا وثمانين عقدا (٣)
- ٤ - وبلغ عدد القباب في المسجد الحرام مائتين وسبع وعشرين قبة (٤) .
- ٥ - كانت قناديل الزيت تضيء المسجد الحرام الى عام ١٣٣٥ هجرية وبلغ

١ - ٢٢٤ - ٢٤٠ تاريخ عمارة المسجد الحرام . . .

٢ - ١٠١ - ١٠٦ تاريخ عمارة المسجد الحرام / ٣ - ١٠٦ - ١٠٩ نفس المصدر

٤ - ١١٠ نفس المصدر /

عددها ألفا وأربعمائة واثنان وعشرين قنديلا خلاف ما كان يضيء المناثر من القناديل (١)

٦ - جرى استبدال قناديل الزيت بالكهرباء والاتاريك الغازية الكبيرة اللوكس واستمر زيادة القوة الكهربائية حتى بلغت في عام ١٣٥٤ هجرية مايساوى عشرين ضعفا في قوة الاضاءة عما كانت عليه حين كانت الاستصباح بالقناديل (٢) ونختتم الحديث عن كتاب عمارة المسجد الحرام بنبذة عن أهم الاحداث التى وقعت في المسجد كما وردت في الكتاب .

أحداث هامة في المسجد

١ - في السنة السابعة عشرة للهجرة في خلافة الفاروق رضوان الله تعالى عليه جاء الى مكة سيل عظيم يسمى سيل أم نهشل فدخل إلى المسجد الحرام من أعلى مكة من ناحية المدعى فاقتلع مقام الخليل ابراهيم عليه الصلاة السلام من موضعه وذهب به الى اسفل مكة فلما جف السيل وجد المقام باسفل مكة فجاء به والصق بالكعبة وربط بها ، وما ان علم الفاروق رضى الله تعالى عنه بالامر حتى خف مسرعا الى مكة فقدمها واعاد المقام الى مكانه وحول مجرى السيل ووضع المطاف في حديث طويل مبسوط في موضعه من الكتاب (٣)

٢ - في سنة ثمانمائة واثنين للهجرة ظهرت نار في رباط يدعى رامشت الواقع بين باب إبراهيم وباب الوداع في الجهة الغربية من المسجد الحرام فاتصلت النار بسقف المسجد الحرام فالتهمت النار اسقف المسجد من الجهة الغربية وبدأت تلتهم سقوفه من الجهة الشمالية ولم يقف الحريق الا بعد ان وصل الى موضع كانت فيه اسطوانات مهدمة بفعل السيل الذى دخل المسجد في ذلك العام ، وصار ما تجمع

١- ٢٥٠ / ٢٥٤ نفس المصدر ٢ - ٢٥٦ - ٢٦٠ نفس المصدر . ٣ - ١١ - ١٥ نفس المصدر

من آثار الحريق يمنع رؤية الكعبة المعظمة لعظم ذلك كما منعت الصلاة في ذلك الجانب من المسجد الحرام وقد بلغ عدد الأعمدة الرخامية التي احترقت في هذا الحريق مائة وثلاثين عموداً تحولت كلها الى كلس فلما بلغ ذلك ملك مصر الناصر لدين الله بعث الامير بيسق الظاهري لعمارة المسجد الحرام وقد استمرت العمارة من عام ثمانمائة وثلاثة للهجرة الى ان انتهت في عام ثمانمائة وسبعة للهجرة (١)

٣- في سنة تسعمائة وتسعة وسبعين للهجرة ظهر الخراب في المسجد الحرام وبدي الرواق الشرقي للمسجد مائلاً الى جهة الكعبة المعظمة حتى برزت اخشاب السقوف من امكانها وظهر أن الخراب كان عظيماً بحيث لا يجدي فيه الاصلاح ولا الترميم فاسندت السقوف باخشاب تمنعها من السقوط ثم صدر امر السلطان العثماني سليم خان بالمبادرة ببناء المسجد الحرام جميعه وتقرر البدء بهدم البناء القديم وبدأت المعاول تهدم في جدران المسجد وشرفاته في منتصف ربيع الأول سنة تسعمائة وثمانين وانتهت العمارة في آخر عام تسعمائة واربع وثمانين في عهد السلطان مراد خان ابن السلطان سليم خان (٢)

وهناك مرمات كثيرة وتحسينات ادخلت على المسجد الحرام وعلى مقام إبراهيم وبثر زمزم وعلى المدارس التي انشئت في المسجد وغيرها وهي مبسطة في ثنايا هذا الكتاب الثمين.

لقد طال بنا الحديث عن كتاب تاريخ عمارة المسجد الحرام وأن لنا ان نقول الكلمة الاخيرة فيه - ان الميزة التي يمتاز بها الكتاب تتلخص في ان المؤلف قد حشد كلما توفر لديه من سجل الأحداث والمعلومات المتعلقة بالمسجد الحرام في كتاب واحد

وكانت هذه الحوادث متفرقة في كتب كثيرة، فالتاريخ لا يكتبه المؤرخون انشاءً من عندياتهم، وانما يتتبعون اخباره ويتحرونها من مصادرها والمصادر هي الكتب والوثائق والرواة الذين شاهدوا هذه الحوادث او سمعوا اخبارها ممن شهدوا ويأتي

١ - ٦٩ - ٧٥ عمارة المسجد الحرام - ١٢/٣ - ٩٦ عمارة المسجد الحرام .

بعد ذلك تمحيص هذه الاخبار سواء كانت مروية أو مكتوبة وترجيح الراجح منها،
والإشارة الى المشكوك فيه، وتحقيق ما فى الوسع تحقيقه، ولقد كان الشيخ حسين
بأسلامه مؤرخاً أميناً لأنه أجهده نفسه فى استخلاص هذه الحوادث والاخبار من
مصادرها الكثيرة المتفرقة ثم فى تحقيقها والتعليق عليها، كما قام بعمل مشكور فى
بعض هذه التحقيقات الخاصة بذرع المسجد الحرام وذرع شارع المسعى وغيرهما،
ولا اکتتم القارئ اننى مولع بهذه المباحث التاريخية وخاصة مايتعلق منها بالمسجد
الحرام والكعبة المعظمة والمسجد النبوي الشريف والمشاعر العظيمة التى خص الله
تعالى بلادنا بها، وكثيراً ماكنت اسجل المعلومات التى اصل اليها فى قراءتى،
لهذا فان سرورى بكتاب تاريخ عمارة المسجد الحرام وهو بالصفة التى ذكرتها لا يعدله
له سرور.

ان الشيخ حسين بأسلامه قد سد فراغاً عظيماً بكتابه القيم هذا وحبذا لو توفر من
المؤرخين من يقوم بالكمال ما بدأ به فيؤرخ لعمارة المسجد الحرام والكعبة المعظمة من
منتصف القرن الرابع عشر الهجرى حيث تمت العمارة السعودية العظيمة للمسجد
الحرام والترميم للكعبة المعظمة فى السبعينات والثمانينات من هذا القرن ليكتمل
تاريخ عمارة اقدس بيت على وجه الكرة الأرضية منذ بدء الخليفة وحتى آخر أيام
الزمان.

ولا يفوتنى ان اذكر ان الكتاب مزين بالصور الفوتوغرافية وبعض هذه الصور بل
معظمها اصبح نادراً لأن التغيير الذى احدثته العمارة السعودية ابدل الصور
القديمة بصور حديثة وحبذا لو أن العناية بهذه الصور كانت افضل مما ظهرت عليه
، كما ان الكتاب يخلو من الخريطة او الخرائط التى توضح تطور الزيادة فى مساحة
المسجد الحرام، وكان المؤلف دائماً يرجع القارئ اليها ولكن الطبعة التى بين يدي
كانت خالية من هذه الخريطة، وعلى اى حال فهذه الأمور فى الوسع تدراكها
ليكون العمل تاماً وسبحان من تفرد بالكمال.

العمارة السّعوديّة

مقدمة البحث

كنت حريصا بعد الحديث عن عمارة المسجد الحرام في العهود المختلفة كما وردت في كتاب الشيخ حسين باسلامة ان اكتب عن العمارة السعودية ولوبصورة موجزة ليكون تاريخ عمارة المسجد الحرام تاما امام القارئ ولقد سعيت للحصول على المعلومات الخاصة بهذه العمارة ولقد وفقني الله تعالى في هذا السعى فقدم إلي سعادة الأخ الأستاذ محمد أمين العطاس وكيل وزارة الحج والأوقاف لشئون الأوقاف الذى كتبت اليه أستعين به قدم لي ثلاث مجلدات أصدرتها وزارة المالية والاقتصاد الوطني وقام باعدادها وطبعها اتحاد المهندسين الاستشاريين الذي اشرفوا على عمارة المسجد الحرام لمدة عشر سنوات منذ عام ١٣٨٥ للهجرة وحتى نهاية العمارة السعودية في عام ١٣٩٦ هـ.

وقد ضمت هذه المجلدات معلومات وافية ومفصلة عن هذه العمارة واطوارها كما ضمت العديد من الصور والوثائق والخرائط ومن هذه المجلدات الثلاثة استقينا المعلومات التى نوجزها للقارئ في الصفحات التالية :-

بقى المسجد الحرام مايقرب من اربعة قرون بعد عمارة السلطانين سليم ومراد العثمانيين في عام ٩٨٤ الى ان بدأت العمارة السعودية في عام ١٣٧٥ وكان السبب الأول لهذه العمارة هو التكاثر المتصاعد في جموع الحجاج الوافدين الى مكة المكرمة

لاداء فريضة الحج، وقد اورد الكتاب الذى اصدره اتحاد المهندسين الاستشاريين
الباكستانيين فى عمارة المسجد الحرام بياناً لاعداد الحجاج الاجانب القادمين الى
مكة خلال خمسين عامنا نستطيع ان نستخلص منه الحقائق الآتية :

كان تعدد الحجاج الاجانب خلال السنوات ١٣٤٦ - ١٣٦٨ اقل من مائة
الف حاج واعلى الأرقام كان فى الاعوام ١٣٤٦ - ١٣٤٨ حيث كان تعداد
الوافدين على التوالى :

٩٦٢١٢	سنة ٤٦
٩٠٧٦٤	سنة ٤٧
٨١٦٦٦	سنة ٤٨

ثم هبط الرقم الى اقل من النصف خلال السنوات ١٣٥٠ - ١٣٥٤ اما عام
١٣٥٩ فقد سجل ادنى رقم وهو ٩٠٢٤ وذلك باسباب الحرب العالمية الثانية .
ومنذ عام ١٣٦٩ تجاوزت اعداد الوافدين مائة الف حاج واستمر التصاعد الى
ان واصل الى ذروته فى عام ١٣٧٤ حيث بلغ تعداد الوافدين ٢٣٢٩٧١ حاجاً .
وبهذا التصاعد الذى بدا انه سيستمر كانت الحاجة ماسة الى توسعة المسجد
الحرام توسعة كبيرة تستوعب هذه الاعداد المتزايدة بعشرات الألوف بل ومئاتها فى
قابل الاعوام .

وكانت عمارة المسجد الحرام من اغلى امانى جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود
رحمه الله وخاصة بعد ان وفقه الله تعالى الى عمارة المسجد النبوى الشريف لهذا
فقد اقترنت هذه الامنية العظيمة مع الحاجة الداعية الى توسعة المسجد الحرام ،
فصدر الأمر الملكى الى المعلم محمد بن لادن بنقل المعدات التى استعملت فى
عمارة المسجد النبوي الشريف الى مكة المكرمة استعداداً للشروع فى عمارة الحرم
المكي الشريف ، وقد بدأ المعلم محمد بن لادن باختيار المهندسين الذين يقومون
بعمل التصميم اللازم للعمارة الجديدة واسند هذا العمل فى بداية الامر الى
المهندس مصطفى مؤمن وكان من المتخصصين فى العمارة الاسلامية فقدم تصميماً

دائرياً للمسجد الحرام باعتبار ان القبلة هي الكعبة وان المصلين يدورون حولها ولكن هذا التصميم لم يحز القبول .

التصميم

فاسند الشيخ محمد بن لادن هذا العمل الى المهندس طاهر الجوينى فقدم تصميماً مئمناً يقتضى ازالة المسجد العثمانى القائم ازالة تامة وتخفيض مساحة الجزء المكشوف الى النصف ثم جرى تعديل هذا التصميم بحيث يزال القسم الغربى من المسجد العثمانى فحسب ولكن المرحوم الملك فيصل ابن عبدالعزيز ابدى رغبته فى الاحتفاظ بالمسجد العثمانى كاملاً وهذا هو الذى تم بالفعل

وبدأ العمل فى الرابع من شهر ربيع الثانى ١٣٧٥ من جهة المسعى واجباد وحول طريق القشاشية وتم نزع ملكية العقارات الكثيرة التى كانت قائمة فى هذه المناطق والتى كانت تحيط بالمسجد الحرام احاطة السوار بالمعصم وكان الساعون بين الصفا والمروة يؤدون نسكهم فى شارع تقوم الحوانيت المتصلة على جانبيه وتعتلى فوقها الدور فهدمت هذه الدور والدكاكين واصبح مكانها فضاء استعداداً للعمل الذى وضع الملك سعود بن عبدالعزيز حجره الاساسى فى شهر شعبان من سنة ١٣٧٥ هـ .

ثم بدأ العمل فى العمارة على مراحل :

المرحلة الأولى : تم فيها بناء القسم الخاص بالسعى بين الصفا والمروة وايصاله بالمسجد الحرام .

المرحلة الثانية : تم فيها توسيع منطقة المطاف الى شكلها الحالى كما اقيمت السلام الحالية لبئر زمزم .

ولقد كان المطاف حول الكعبة بيضاوي الشكل بمحاور كبيرة وصغيرة وكان موضعه فى مواجهة الكعبة يشكل عنق زجاجة تسبب ازدحام الطائفين كما كانت قبة زمزم التى يعتليها المؤذنون تواجه باب الكعبة والركن الذى به الحجر الأسود وقد

ازيل المبنى الخشي للمقام وابدل بالصندوق الزجاجي الذي وضع به المقام في موضعه السابق اما قبة زمزم فقد ازيلت تماما وجرى تأخير مدخلها الى ما بعد منطقة الطواف وعمل للبئر مدخل من الصحن ينزل اليه بسلاسل كثيرة ، اما المؤذنون فقد بنى لهم مبنى خاص على حدود المطاف ووسع هذا المبنى بحيث اصبح يشمل قسما خاصا للاذان والبث التلفزيوني . وقد تم عمل البدروم في شارع المسعى على عمق اربعة امتار لان اساسات التحميل وجدت على هذا العمق .

ثم تم تجديد الحرم القديم وشطفت اركانه لتسمح بانشاء البوابات الرئيسية الثلاثة وشقت الطرق المحيطة بالحرم الشريف كما انشئت الميادين المحيطة به وكذلك الدكاكين .

وقد استخلصنا البيانات الآتية للمعارة السعودية وهي تبين مساحة المسجد قديما وحديثا ومقدار استيعابه للمصلين والطائفين في الأوقات المختلفة .
كانت مساحة المبنى القديم للمسجد الحرام ككل ٢٩١٠٠ مترا مربعا وكان المسقف منها ١١٤٥٠ مترا مربعا .

اما العمارة السعودية الجديدة فقد اضافت الى المبنى السابق المساحات الآتية :-
٤٦١٠٠ المساحة المغطاة داخل الحرم والمتصلة بالأبواب .

٤٦١٠٠ المساحة المغطاة في الدور العلوى .

١٣٢٥٠ المناطق المكشوفة المبلطة حول الحرم الشريف

٣١٢٠٠ مساحة البدروم وفيه اماكن نسيحة للصلاة علاوة على ما مائتين وخمسين غرفة للخدمات وللزمزمة .

١٣٦٦٥٠

ويرتفع الدور الأول عن الدور الأرضي حوالى اثني عشر مترا يرقى اليها

بواسطة ثلاثة عشر سلما كبيرا . ويرتفع جدار مبنى الحرم للدورين أربعة وعشرين مترا .

اما مقدار استيعاب المسجد الحرام للمصلين فقد قدره تقرير مكتب الخبراء الاستشاريين الذى ننقل عنه هذه المعلومات كما يلى :

عدد المصلين

- ١١٤٥٠ مساحة المبنى القديم للحرم المسقوف .
- ٩٦٦٥٠ مساحة المبنى الجديد للحرم فى الدورين المسقوفين .
- ٢٣٣٥٠ صحن المسجد والمناطق المحيطة به .

١٣١٤٥٠

وقد قدرت اعداد المصلين على اساس حجم سجادة الصلاة العادية اذا مافرشت فى المسجد ولكن الحرم يتسع فى المواسم الدينية مثل شهر رمضان ومواسم العمرة الى مائتى ألف مصل ، أما فى زمن الحج فان عدد المصلين داخل المسجد والأرصفة المحيطة به يصل الى ٣٣٠ ألف بل الى أربعمائة ألف مصل فى وقت واحد - كما يقول تقرير الاستشاريين الباكستانيين .

عدد الطائفين

تبلغ سعة المطاف الحالي ٣٠٥٨ مترا مربعا حول الكعبة ويتسع المطاف لحوالى ثمانية آلاف وخمسمائة طائف .

اما فى وقت الحج فان المطاف يتسع لاربعة عشر ألف طائف حيث يستعمل الطائفون الممرين المؤديان الى المطاف وسعتها ٤١٥٤ مترا .

الرخام

ونورد فيما يلى بعض المعلومات الخاصة بالرخام الذى استعمل فى فرش المسجد وجدارنه واعمدته .

١ - يغطي الرخام المستعمل في الارضيات ما مساحته ١١٥٤٥٠ مترا مربعا كما يغطي ستين الف مترا مربعا من الجدران والاعمدة وحواجز السطح والشرفات والسلالم البالغ عددها ثمانية وستين سلما وكذلك الجزء السفلي من جدران المآذن السبع ، كما يغطي ثمانية آلاف مترا من المناطق المكشوفة حول الحرم وبذلك يبلغ مجموع الرخام المستعمل في العمارة الجديدة ١٨٣٥٥٠ مترا مربعا ويستخرج الرخام من محاجر في وادي فاطمة قرب مكة المكرمة ، ومن محاجر المدركة وفرسان في الشواطىء الجنوبية للمملكة العربية السعودية ويتم نقله الى جدة حيث يقطع ويلمع تحت اشراف خبير ايطالى وفنيين مصريين . اما الحجر الصناعى فتستخدم في صبه الاحجار المحلية ويقوم بهذا العمل صناع مصريون وسوريون .

صحن المسجد

يبلغ طول صحن المسجد مائة وستة امتار وعرضه مائة وثلاثة وستين مترا .

المسعى

يبلغ طول المسعى ٣٩٣ مترا وعرضه عشرون مترا وهو مكون من دورين ويبلغ ارتفاع المسعى ١١,٢٥ احدى عشر مترا وربع المتر .

ابواب المسعى

وللمسعى ستة عشر بابا منها خمسة ابواب في الجانب الغربى بعد باب السلام واحد عشر بابا في الجانب الشرقى في مواجهة شارع القشاشيه .

ابواب المسجد

اما ابواب المسجد الحرام الرئيسية فهي ثلاثة باب السلام في الجانب الشمالى ومنه يصل الداخل الى الركن العراقى للكعبة المشرفة وباب العمرة في الجانب

الغربي وهو يفضي الى الركن الشامي للكعبة ، وياب الملك عبدالعزيز في الجهة الجنوبية وهو يفضي الى محور الركن اليماني للكعبة ويقابل الحجر الاسود كما يقابل القبة على الصفا .

صناعة الأبواب

وقد تم صنع هذه الأبواب الرئيسية الثلاث في مصر كما صنع فيها باب صغير واحد اما بقية الأبواب فقد صنعت في ايطاليا خلال الفترة من عام ١٣٨٦ - ١٣٩٠ .

والأبواب مصنوعة من هيكل من الصلب مغطى بالنحاس المزخرف اما الجواجز فمصنوعة من الالمنيوم المؤكسد .

وتبلغ مساحة سطح الأبواب المعدنية اكثر من ستة الاف وستمائة متر مربع كما تبلغ مساحة الجواجز على واجهات الابواب الخارجية والدربزينات والفواصل خمسة آلاف واربعمائة متر مربع .

المآذن

وللمسجد الحرام سبعة مآذن ، مئذنتان عند كل باب من الأبواب الرئيسية الثلاثة والمآذنة السابعة عند باب الصفا ، وقد بنيت هذه المآذن بالخرسانة المسلحة وكسيت بالرخام وبالحجر الصناعي وبلغ ارتفاع المئذنة الواحدة ستة وتسعين مترا عن سطح الأرض ، وتمثل هذه المآذن معالم بارزة لقاصدى المسجد الحرام من مسافات بعيدة علاوة على ما ترمز اليه من المعاني الروحية حيث تنقل الاذان الى مسامع المسلمين .

الخطوط والذهب

بخط كوفي واضح ظاهر في القشرة الذهبية على ارضية بيضاء تتكرر رسوم خطية في كل انحاء المبنى الجديد للحرم وقد وضع فوق كل مدخل اطار مستطيل

كتبت فيه البسملة - بسم الله الرحمن الرحيم - وفي قاعة الصلاة الفسيحة كتبت كلمة - الله - لا اله الا الله محمد رسول الله .

اما في قبة الصفا فتوجد آيات قرآنية مذهبة على شريط متواصل متداخل . وقد استعملت قشرة ذهبية في كتابة الآيات كما استعمل الذهب في تغطية الأهلّة في أعلى المآذن فهي مغطاة بقشرة من الذهب كما كسيت قاعدة القبة الزجاجية لمقام إبراهيم بطبقة سميكة من الذهب .

المواد

وقد بلغت الكميات المستعملة من الاسمنت العادى فى المبنى الجديد مائة الف وسبعمائة طن كما استعملت كميات كبيرة من الاسمنت الأبيض فى صناعة الحجر الصناعى واعمال التبليط والموزاييك .

اما كمية الحصى الذى استعمل فى الخرسانات فقد بلغت مائتين واحد عشر الفا وثلاثمائة متر مكعب .

كما بلغت كميات الحديد الذى استعمل فى البناء سبعة عشر الف وثلاثمائة طن .

عدد العمال

وكان يعمل فى عمارة المسجد الحرام خلال الاعوام ١٣٧٥ - ١٣٧٧ ما بين الف ومائة الى الفين وخمسمائة عامل يوميا بينهم حوالى خمسمائة من العمال المهرة .

وقد نقص هذا العدد الى النصف خلال الاعوام ١٣٧٨ - ١٣٩٢ نصفهم تقريبا من العمال المهرة والفنيين . اما فى الاعوام الثلاثة الاخيرة للمشروع فكان عدد العمال نحو من مائتى عامل نصفهم من الفنيين والعمال المهرة .

تكاليف العمارة الجديدة

بلغت التكاليف الاجمالية للعمارة الجديدة ستائة وواحد وعشرين مليونا وستائة

واثنين وأربعين ألف ريال منها ثلاثمائة وثمانية وخمسين مليوناً وتسعمائة وخمسة عشر ألف ريال قيمة ملكيات العقار المنزوع ومائتين واثنين وستين مليوناً وسبعمائة وعشرين ألف ريال تكاليف العمارة .

اصلاح الكعبة المشرفة

وقد جرى اصلاح الكعبة المشرفة بعد عامين من بدء العمل في العمارة حيث كانت الاحشاش الحاملة لسقف البيت العتيق قد تآكلت بفعل القدم وتقلبات الجو، بعد ان مضى على آخر اصلاح لسقف الكعبة ثلاثمائة وثمانية وثلاثين عاماً . وقد تم ازالة سقف الكعبة المصنوع من الخشب وصنع بدله سقف من الخرسانة المسلحة وكذلك تم اصلاح الكمر الخشبي الذي يقع تحت السقف العلوي بمقدار ١,٣٥ وهذا الكمر الخشبي في الواقع هو السقف الثاني للكعبة وكذلك تم اصلاح الجدران الداخلية وواجهاتها الرخامية وبدأ الاصلاح في يوم الثامن عشر من شهر رجب وانتهى في الحادى عشر من شهر شعبان عام ١٣٧٧ للهجرة .

تاريخ بدء العمل ونهايته

استغرق العمل في العمارة السعودية للمسجد الحرام عشرين عاماً حيث بدأ العمل الفعلى في الرابع والعشرين من شهر ربيع الثانى سنة ١٣٧٥ هـ وتم الانتهاء من هذه العمارة المباركة العظيمة في شهر رجب من سنة ١٣٩٦ للهجرة . ان العمارة السعودية للمسجد الحرام هى من أعظم المآثر التاريخية للدولة السعودية ممثلة في مؤسسها العظيم المغفور له الملك عبدالعزيز وابنائاه الملك سعود والملك فيصل والملك خالد رحمهم الله جميعاً وجزاهم خير الجزاء على عملهم الطيب انه على ما يشاء قدير .

واود ان اذكر ان يد الاصلاح والعناية لاتزال ممتدة الى المسجد الحرام حتى الآن فهناك التوسعة المقررة لعمل الميادين حول المسجد الحرام والتي جرى الأعداد لها

وبدأ العمل فى نزع ملكيات الدور والعمائر المنوى انشاء هذه الميادين فى مكانها ليكون المسجد الحرام محاطا بالميادين الفسيحة التى ستكون مكانا طبيعيا لاستيعاب المصلين فى زمن الحجاج علاوة على المنظر الجمالى الذى ستظهر معالمه بعد احداثها .

وإذا كان من كلمة اخيرة يقال فى هذا الشأن فهى ان لجلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله الفضل فى الاحتفاظ بالعمارة العثمانية للمسجد الحرام باصراره على ابقائها وعدم المساس بها الأمر الذى يستطيع به المشاهد رؤية تطور العمارة الاسلامية عبر القرون ممثلة فى اقدس بقعة على سطح الأرض .



تاريخ الكعبة المعظمة

للشيخ حسين عبدالله باسلامه كتاب آخر اسمه (تاريخ الكعبة المعظمة) يتحدث عن عمارة الكعبة وكسوتها وسدانتها وكلما يتعلق بشؤونها وهو كتاب ضخم يقع في اربعمائة صفحة ، وهذا الكتاب مكمل لكتابه الذى تحدثنا عنه «تاريخ عمارة المسجد الحرام» وقد اصدره بعده بعام أو عامين ثم اعادت تهامة طبعه مرة اخرى فى عام ١٤٠٢ هـ .

والكتاب فريد فى موضوعه فهو خاص بالكعبة المعظمة قبله المسلمين فى صلواتهم ومهوى افئدتهم فى دعائهم وتوجههم الى ربهم ، وهي أمل كل مسلم على سطح هذه الأرض فى الوفود اليها حاجا ومعتمرا وزائرا لبيت الله ، مطوفا به ومصليا فيه ، وساعيا بين الصفا والمروة وواقفا بعرفات والمشاعر الكريمة المقدسة . يتحدث الكتاب حديثا طويلا عن البيت الحرام منذ فجر التاريخ بل من قبل التاريخ المعروف فيتحدث عن بناء آدم للبيت كما يتحدث عن بناء الملائكة له ثم بناء شيث فبناء ابراهيم عليه السلام وهو البناء الذى نجد سنده التاريخي الصحيح فى القرآن .

وقد خلص المؤلف من استعراض جميع الروايات التى تتعلق ببناء الكعبة المعظمة قبل بناء ابراهيم عليه السلام الى إنها روايات لا يمكن القطع بصحتها ،

كما لا يمكن القطع بانها غير صحيحة والشيء الثابت الوحيد انه كان هناك بناء للبيت قبل بناء ابراهيم عليه السلام الا انه لا يمكن القطع بنسبته تاريخيا الى من قام ببنائه ، ولهذا فان الامر الثابت الذى اعتمد عليه المؤلف هو بناء ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه للبيت حيث يمكن اعتباره الاساس الذى تؤيده النصوص القرآنية والاحاديث الواردة فى الصحيح من السنة النبوية ثم فى كتب التاريخ والسير .

والكتاب كما ذكرت يستعرض تاريخ الكعبة المعظمة وكلما يتعلق بها وما ينسب اليها حتى يصل الى منتصف القرن الرابع عشر للهجرة الذى اصدر فيه المؤلف هذا الكتاب الفريد . وقد رأيت ان الخص للقارئ الاطوار التاريخية المختلفة للكعبة المعظمة منذ بناء الخليل عليه السلام لها الى عصرنا الحاضر كما وردت فى كتاب الشيخ باسلامه لاهمية الموضوع لكل مسلم ، ولأهل هذه البلاد خاصة حيث شرفهم الله تعالى ان يكونوا من اهلها فلا اقل من ان يعرفوا ولو بصورة موجزة تاريخ اقدس بقعة فيها .

وسيرى القارئ ان هذا التاريخ مملوء بالعبر كما انه لا يخلو من الحوادث والطرائف التى تستثير شوق القارئ الى المزيد .

بناء ابراهيم للكعبة

كان مكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية وكانت السيول تأتيه فتأخذ عن يمينه وشماله .

وجاء ابراهيم عليه الصلاة والسلام الى مكة من الشام وخاطب ابنه اسماعيل .

يا اسماعيل إن الله أمرنى بأمر

قال اسماعيل فاصنع ما أمر ربك

قال إبراهيم وتعيننى / قال اسماعيل وأعينك .

قال إبراهيم فإن الله امرنى أن أبنى بيتاً هنا ، وأشار إلى اكمة ترتفع على

ماحولها، بدأ البناء وجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر.

مقام إبراهيم

فوضعه فقام عليه إبراهيم - فسمى ذلك الحجر - مقام إبراهيم ، واقdamه عليه السلام ظاهرة فيه واستمر يناول الحجارة لابراهيم وهو يبني البيت وهما يقولان :
ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وجعلا يدوران بالبناء للبيت وهما يرددان هذا الدعاء .

صفة بناء ابراهيم

بلغ ابراهيم من الاساس أساس آدم عليه السلام ، وجعل طول البيت في السماء تسعة اذرع وعرضه في الأرض - المقصود دورة البناء - ثلاثين ذراعا وذلك بذراعهم ، وكان موضع الحجر في بناء ابراهيم داخل في البيت ، وبناه بحجارة بعضها على بعض - المقصود ان البناء كان رضياً لم تدخله مواد اخرى كالاخشاب وغيرها مما يتماسك به البناء - ولم يجعل له سقفا ، وجعل للبيت بابا ، وحفر له بئرا عند باب خزانة البيت يلقي فيها ما يهدى الى البيت .

وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت

ورأى إبراهيم عليه السلام على رأسه في موضع البيت مثل الغمامة ، واطل من هذه الغمامة مثل الرأس فكلمه فقال / يا إبراهيم ابن على ظلي أو على قدرى ، ولا تزدد ولا تنقص وفي ذلك يقول الله تعالى وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود .

الحجر الأسود

بنى إبراهيم البيت وبقي موضع يحتاج إلى حجر لاكمال البناء وأمر إبراهيم

إسماعيل أن يذهب إلى الوادى فيحضر الحجر المطلوب وذهب إسماعيل إلى الوادى فنزل جبريل عليه السلام من السماء بالحجر الأسود وكان قد رفع الى السماء حين غرقت الأرض بالطوفان وعاد اسماعيل فرأى الحجر الأسود وقد وضع فى مكانه وسأل أباه من جاءك بهذا؟ قال إبراهيم من لم يكلنى إليك ولا إلى حجرك. (١)

جرهم والعماليق

انتشر العمران فى مكة بعد بناء البيت ومرت اطوار تاريخية اصبحت فيها امرمكة الى قبيلتي جرهم والعماليق وكانت تشور الحروب بين القبيلتين فتارة تكون الغلبة لهذه القبيلة واخرى لتلك ومما يذكر عن هاتين القبيلتين ان ملك جرهم الحارث ابن مضاض هو أول من ولي البيت وكان ينزل بقيقعان وهو جبل شهير بمكة يقع فى الجهة الغربية من المسجد الحرام ويقابل جبل ابي قبيس المطل على المسجد الحرام وكان كل من دخل مكة بتجارة عشرينا عليه ملك جرهم . وذلك للداخل من اعلام مكة، وكان ملك العماليق السמידع بن هود بن حذرة بن مازن وكان ينزل اجياد من اسفل مكة وكان يعشر التجارة الداخلة الى مكة من اسفلها .

ومن هذا يتبين لنا ان الرسوم الجمركية على البضائع الداخلة الى البلاد يرجع تاريخها الى ازمان ممعنة فى القدم . وكان آخر ملوك مكة هو الحارث بن مضاض الاصغر الذى تنسب اليه القصيدة الشهيرة .

كان لم يكن بين الجحون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر (٢)

بناء قصي للكعبة

وقد انتهى امرمكة إلى قصي بن كلاب الذى اجتمع أمر قريش على ولايته عليهم ويبدو أن البيت قد تخرب بعوامل القدم ومرور الزمان فجمع قصي نفقة ثم

١ - (٣٤ - ٣٩ تاريخ الكعبة المعظمة)

٢ - (٤٦ تاريخ الكعبة المعظمة)

هدم الكعبة فبناها بنيانا لم يبن أحد من بناها قبله مثله وسقفها بخشب الدوم الجيد
وبجريد النخيل . (١)

أقول وإذا صح ما ورد عن بناء قصي للكعبة فإن هذا البناء لم يتجاوز الحد الذي
قام عليه بناء إبراهيم عليه السلام ، وسرى أن قريشا حينما قامت ببناء الكعبة إنها
اعتمدت على بناء إبراهيم لها وزادت ارتفاعها تسعة أذرع حيث كان بناء إبراهيم
يرتفع تسعة أذرع فرفعت قريش البناء تسعة أذرع أخرى فكان طوله في السماء
ثمانية عشر ذراعاً ، واقتصروا من عرضها ستة أذرع وشبر لقصور النفقة لديهم
وجعلوا مكانها الحجر - حجر اسماعيل عليه السلام بسكون الراء - ورفعوا بابها
وجعلوا في داخلها ستة دعائم في صفين ثلاثة في كل صف من الشق الذي في الحجر
الى الشق اليساري وجعلوا في ركنها الشامي عند مدخلها درجة يصعد منها الى
اسطحها وجعلوه سطحا وجعلوا فيه ميزابا يصب في الحجر (٢)

بناء قريش للكعبة

اجمرت امرأة الكعبة فطارت شارة من مجمرها في ثياب الكعبة فاحترقت
فتشاورت قريش في أمر هدمها وهابوه فقال الوليد وفي رواية أبو وهب بن عمرو بن
عائد المخزومي وهو خال النبي ﷺ وكان شريفاً إن الله لا يهلك من يريد
الاصلاح فارتقى على ظاهر البيت ومعه العباس فقال اللهم لا نريد الا الاصلاح
ثم هدم فلما رآوه سالما تابعوه .

قالوا وأقبلت سفينة من الروم حتى اذا كانوا قريبا من جده انكسرت فخرجت
قريش لتأخذ خشبها فوجدوا الرومي الذي فيها نجارا وكان اسمه باقوم وكان يتجر
الى بندر وراء ساحل عدن فانكسرت سفينته بالشعبية فقال لقريش ان اجريتم
عيرى من عيركم الى الشام اعطيتكم الخشب ففعلوا وقدموا به وبالخشب لينوا به

١ - «٤٧ تاريخ الكعبة المعظمة»

٢ - «٥٧ تاريخ الكعبة المعظمة»

البيت فهدمت قريش الكعبة وكانت مبنية بالرضم ليس فيها مدر وكانت قد رما
تقتحمها العناق وكانت ثيابها توضع عليها تسدل سدلا وكانت ذات ركنين كهية
الحلقة وذكروا ان السيل كان يأتى فيصيب الكعبة فيتساقط من بنائها وكان رضماً
فوق القامة وبنوها بحجارة الوادى فرفعوها فى السماء عشرين ذراعاً وكان قد سرق
كنز الكعبة فأرادوا تسقيفها .

النبي ﷺ يشارك فى بناء الكعبة

عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنها يقول - لما بنيت
الكعبة ذهب العباس والنبي ﷺ ينقلان الحجارة فقال العباس للنبي ﷺ
اجعل ازارك على رقبتك فخر الى الأرض فطمحت عيناه السماء فقال أرني ازارى
فشده عليه ، وكانوا يضعون ازهرهم على اعناقهم يحملون عليها الحجارة فاذا دنوا
من الناس لبسوا ازهرهم فلما وقع ما وقع للنبي ﷺ سألته عمه ما شأنك؟ قال
نهيت أن أمشي عريانا قال العباس فكتمته حتى أظهر الله نبوته .

قريش تبني الكعبة من طيب ما لها

ولما أجمعت قريش أمرها فى هدم الكعبة وبنائها قام أبو وهب بن عمرو عائد
المخزومي فتناول من الكعبة حجراً فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال
يامعشر قريش لاتدخلوا فى بنائها من كسبكم الا طيباً لا يدخل فيه مهر بغي ولا بيع
ربا ولا مظلمة لاحد من الناس قال ابن اسحق وذهب خال النبي ﷺ وكان
شريفاً، وكانت النفقة على الكعبة قد قصرت بقريش فتركوا موضع الحجر وحاطوه
بجدار وقد جاء ذلك فى حديث عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها قالت سألت
رسول الله ﷺ عن الجدار أمن البيت هو؟ قال نعم قلت فما لهم لم يدخلوه فى
البيت قال لم ترى قومك قصرت بهم النفقة ، قلت فما شأن بابيه مرتفعاً؟ قال
ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ، ولولا ان قومك حديثو
عهد بجاهلية فآخاف ان تنكسر قلوبهم ان ادخل الجدار فى البيت وان الصق بابيه
بالأرض .

الحجر الأسود

لما بلغ البناء موضع الركن أرادت كل قبيلة أن تستأثر بوضع الحجر الأسود في مكانه فاختصموا حتى وصل بهم الأمر إلى الاعداد للقتال ففرت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما وتعاقدواهم وبنو عدى بن كعب على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة فسموا لعقة الدم ثم اجتمعوا وتشاوروا واتفقوا ورضوا بأول داخل من باب بني شيبه فدخل النبي ﷺ فقالوا هذا الأمين كلنا نرضى به فحكموه في ذلك فوضع الحجر في ثوب وأمر واحدا من كل قبيلة أن يأخذ بطرف الثوب ثم وضعه في موضعه بيده الكريمة .

وقريش تقسم البناء اجزاء

وتجزأت قريش الكعبة فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة ومابين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا اليهم وكان ظهر الكعبة لبني جمح وسهم ابني عمر بن هصيص بن كعب بن لؤى ، وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ولبني اسد بن عبد بن قصي ولبني بن كعب بن لؤى وهو الحطيم .

كنوز الكعبة

وكان في بطن الكعبة جب تحفظ فيه الهدايا التي تهدى للكعبة وقد سرق من الكعبة حلة وغزال من ذهب كان عليه در وجوهر قالوا وكان فيها قرني الكبش الذي افتدى به إسماعيل عليه السلام فلما عزموا على هدم الكعبة اخرجوا هذه الكنوز وجعلوها عند أبي طلحة عبدالله ابن عبدالعزيز بن عثمان بن عبد الدار بن قصي ، واخرجوا هبل وكان على الجب الذي في داخل الكعبة نصبه عمرو بن لحي - ونصب عند المقام ، وهناك رواية تقول انه كان في داخل الكعبة افعى كبيرة مخيفة فلما اذن الله بهدم الكعبة أرسل اليها طائرا عظيما فاخذها من الكعبة ففذف بها في اجياد . (١)

١ - «٤٦ - ٦٧ تاريخ الكعبة المعظمة» .

بناء عبدالله بن الزبير للكعبة

أرسل يزيد بن معاوية جيشا إلى مكة لحرب عبدالله بن الزبير الذى استولى على الحجاز وبايعه أهله خليفة عليهم بعد موت معاوية ووصل هذا الجيش بقيادة الحصين بن نمير فاستولى على مكة كلها إلا المسجد الحرام ، ولجأ ابن الزبير وأصحابه الى المسجد فبنوا حول الكعبة خصاصا (بيوتا من القصب) ورفافا من الخشب كما نصبوا خياما يكتنون فيها من حجارة المنجنيين الذين نصبوا على اخشى مكة ابي قبيس وقعيقعان وكان الحصين قد قدر على اصحابه عشرة آلاف حجر يرمون بها الكعبة وكانوا يرمون ويرتجزون ، واخذت حجارة المنجنيين تنصب على الكعبة حتى تحرقت كسوتها فصارت كأنها جيوب النساء ترتج من اعلاها الى اسفلها ، واستمرت الحجارة تتساقط على الكعبة أياما .

إحترق الكعبة

وفى ليلة السبت لثلاث خلون من ربيع الأول عام ٦٤ ذهب رجل من اصحاب الزبير يوقد نارا فى بعض تلك الخيام بين الركن الأسود والركن اليمانى ، والمسجد يومئذ ضيق فطارت شرارة فى الخيمة فاحترقت الخيام والتهب المسجد حتى تعلقت النار بالبيت فاحترق ، وكان يوما شديد الرياح والكعبة يومئذ مبنية ببناء قريش مدماك من خشب الساج ومدماك من حجارة من اسفلها الى اعلاها وعليها الكسوة فطارت الرياح بلهب تلك النار ، واحترقت كسوة الكعبة واحترق خشب الساج الذى بين البناء .

وهناك رواية اخرى تقول ان اصحاب الحصين بن نمير رموها بالنفط فاحترقت ولكن الحصين وجماعته من اهل الشام ينكرون ذلك . وقد احترق مع الكعبة الحجر الاسود حتى اسود لونه ، وكان لونه مثل لون المقام وتصعد الحجر ثلاث فرق فانشطرت منه شظية كانت عند بعض آل شيبه بعد ذلك بدهر طويل ، وقد شده

ابن الزبير بعد ذلك بالفضة إلا تلك الشظية من أعلاه وضعفت جذر الكعبة حتى أنها لتنفض من أعلاها الى أسفلها ويقع الحمام عليها فتتناثر حجارتها، وهي مجردة متوهية من كل جانب.

فزع اهل مكة وأهل الشام جميعا لما اصاب الكعبة، وتركها ابن الزبير ليراها الناس، ويروا ماصنع اهل الشام بها.

موت يزيد بن معاوية

وبقي الحصين بن نمير محاصرا ابن الزبير حتى وصل الخبر إلى مكة بنعي يزيد بن معاوية في ليلة الثلاثاء هلال ربيع الآخر. وعلم عبدالله بن الزبير بوفاة يزيد قبل أن يعلم الحصين بذلك، عندها أرسل ابن الزبير رجالا من أهل مكة من قريش وغيرهم فيهم عبدالله بن خالد بن أسيد ورجال من بني أمية إلى الحصين بن نمير فكلموه وعظموا عليه ما أصاب الكعبة وقالوا إن ذلك منكم وقد رميتموها بالنفط فانكروا، وقالوا للحصين لقد توفي امير المؤمنين فعلى ماذا تقاتل؟ ارجع الى الشام حتى ترى ماذا يجتمع عليه رأى صاحبك يعنون معاوية بن يزيد.

والحصين يرتحل

ولم يزالوا به حتى لان لهم ثم ارتحل الحصين من مكة الى المدينة لخمس ليال خلون من ربيع الآخر.

وعبدالله بن عمرو بن العاص يبكى

لما ارتحل جيش الحصين بن نمير دخل عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما المسجد الحرام والكعبة محترقة تتناثر حجارتها فوقف ومعه ناس غير قليل فبكى حتى ان دموعه تحدر كحلا في عينه من اثم كآنه رؤوس ذباب على وجنته.

ويعظ الناس

وقال يا أيها الناس والله لو أن أبا هريرة أخبركم أنكم قاتلوا ابن نبيكم بعد نبيكم ومحرقوا بيت ربكم لقلتم ما من أحد أكذب من إبي هريرة، انحن نقتل ابن نبينا ونحرق بيت ربنا فقد فعلتم، لقد قتلتم ابن نبيكم وحرقتم بيت الله فانتظروا النعمة، فوالله الذي نفس عبدالله بن عمرو بيده ليلبسكنكم الله شيئا وليذيقن بعضكم بأس بعض يقولها ثلاثا.

رفع عبدالله بن عمرو رضى الله تعالى صوته في المسجد فما في المسجد أحد إلا وهو يفهم ما يقول فان لم يكن يفهم فانه يسمع هذا الصوت. ثم قال عبدالله بن عمرو: أين الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، فوالذي نفس عبدالله بن عمرو بيده لو قد البسكنم شيئا واذق بعضكم بأس بعض لبطن الأرض خير لمن عليها لمن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر.

ابن الزبير يستشير الناس في هدم الكعبة

وجمع ابن الزبير وجوه الناس وأشرفهم فشاورهم في هدم الكعبة. انقسم الناس في آرائهم فأشار فريق بهدمها منهم جابر بن عبدالله وكان قد جاء معتمرا، وعبيد بن عمير، وعبدالله بن صفوان بن أمية وغيرهم. ولكن أكثر الناس لم يوافقوا على الهدم، وكان أبرز هؤلاء عبدالله بن عباس رضى الله عنها قال لابن الزبير دعها على ما أقرها رسول الله ﷺ فأني أخشى أن يأتي بعدك من يهدمها، ثم يأتي بعد ذلك آخر فلا تزال أبدا تهدم وتبنى، وأمر عبدالله ابن الزبير بالخصاص التي كانت حول الكعبة فهدمت وبالمسجد فكنس مما فيه من الحجارة والدمار وتبين أن الكعبة قد مالت حيطانها مما أصابها من حجارة المنجنيق كما تبين أن الركن قد اسود واحترق وتقطع ثلاثة أجزاء. فتذهب حرمة هذا البيت من قلوبهم ويتهاون الناس بحرمتها ولا أحب ذلك ولكن أرقعها.

ابن الزبير يرد على ابن عباس

قال الزبير ، والله ما يرضى أحدكم أن يرفع بيت أبيه وأمه فكيف أرفع بيت الله سبحانه وأنا أنظر إليه ينقض من أعلاه إلى أسفله حتى إن الحمام ليقع فتتناثر حجارته .

ابن الزبير يحزم أمره على الهدم

أقام ابن الزبير أياما وهو يفكر ويشاور ثم أجمع أمره على الهدم ، وكان يجب أن يكون هو الذي يعيد البيت على قواعد ابراهيم كما قال رسول الله ﷺ في وصفه لعائشة رضى الله تعالى عنها .

ابن الزبير يجمع المؤن قبل مباشرة الهدم

سأل ابن الزبير رجلا من أهل العلم عن المواضع التي اخذت قريش حجارة الكعبة منها حين قامت بنائها ، قالوا له أن حجارة الكعبة اخذت من حراء ومن ثبير والمقطع وهو الجبل المشرف على الطريق ومن قافية الخندمة ، ومن جبل حلحلة المشرف على ذى طوى وهو عند الثنية البيضاء في طريق جده ومن جبل باسفل مكة على يسار ما انحدر من ثنية بنى عضل ويقال له مقطع الكعبة - يقول الشيخ باسلامه والظاهر ان هذا الجبل هو المسمى في العصر الحاضر - جبل الكعبة - وهو واقع على يمين الداخل ومن مردلة من حجرها يقال له الملجوى

امر ابن الزبير بنقل الاحجار التي يحتاج إليها في بناء الكعبة من الجبال التي ذكرنا وارسل رجلا إلى صنعاء فاشترى قصة باربعمائة دينار ليكون بناء الحجارة بها .

ابن الزبير يخرج كنوز الكعبة

لما استكمل ابن الزبير اعداد المؤن اللازمة للبناء عمد الى كنوز الكعبة وكان

فيها الحلي والثياب والطيب فوضعها في خزانة الكعبة في دار شيبة ابن عثمان .

وأهل مكة يغادرونها الى منى والطائف

ثم عزم على هدم الكعبة فخاف بعض أهل مكة ان ينزل عليهم العذاب لهدمها ففارقوا مكة الى منى والبعض ذهب الى الطائف، ولم يعودوا اليها إلا بعد ان تم الهدم وبوشر في البناء وكان ممن ترك مكة ابن عباس ولم يعد إليها حتى اكتمل بناؤها .

ابن الزبير يباشر هدم الكعبة بنفسه

امر ابن الزبير العمال يهدم الكعبة فتلكأوا ولم يجترئ أحد منهم على مباشرة الهدم فعلاها بنفسه واخذ المعول وأعمله في الهدم وبدأت الحجارة تتساقط والناس ينظرون إليه فلما رأوا أنه لم يصب بسوء اجتروا على الهدم، وارقى ابن الزبير فوق الكعبة عبيدا من الاحباش يشاركون في هدمها، رجاء ان يكون فيهم الحبشى الذى قال فيه رسول الله ﷺ - يخرب الكعبة ذو السريقتين من الحبشة - عملت المعاول في هدم الكعبة فلم تترجل الشمس حتى الصقت بالأرض وجعل ابن الزبير الحجر الأسود في ديباجة وادخله في تابوت وقفل عليه ووضعه عنده في دار الندوة، وكان في بعض جدار الكعبة قرنا الكبش الذى فدى به إسماعيل بن إبراهيم عليها السلام، فلما هدمت الكعبة كشف ابن الزبير عن القرنين فوجدهما مطليين بمشق فتناولهما فلما مسهما هدا من الأيدي، وقيل ان قرني الكبش احترقا لما احترقت الكعبة وقد تم هدم الكعبة في يوم السبت نصف جمادى الآخرة من ذلك العام عام ٦٥ للهجرة .

نصب الخشب حول الكعبة وتغطية بالستور

وأرسل عبد الله بن عباس رضى الله عنها الى ابن الزبير يقول : لاتدع الناس

بغير قبلة انصب لهم حول الكعبة الخشب واجعل عليه الستور حتى يطوف الناس من ورائها ويصلون اليها ففعل ذلك ابن الزبير وقال اشهد لسمعت عائشة رضى الله تعالى عنها تقول - وذكر حديثها المتقدم .

الكشف عن أساس ابراهيم

لما تم الهدم كشف ابن الزبير عن أساس بناء إبراهيم عليه السلام للكعبة فوجده داخلًا في الحجر نحوًا من ستة أذرع وشبر كأنها اعناق الأبل أخذ بعضها ببعض فاذا تحرك الحجر من القواعد تحركت الأركان كلها . فدعى ابن الزبير خمسين رجلاً من وجوه الناس وأشرفهم وأشهدهم على ذلك الأساس فادخل رجل من القوم يقال له عبدالله بن مطيع العدوى عتلة كانت في يده في ركن من أركان البيت فتزعزعت الأركان كلها جميعاً .

أشهد ابن الزبير أشرف الناس ووجوه أهل مكة على أساس إبراهيم عليه السلام للكعبة ، ثم أمر بالبناء على ذلك الأساس ، ووضع حدث باب الكعبة على مدماك الشاذروان الملاصق بالأرض ، وجعل الباب الآخر بازائه في ظهر الكعبة مقابله ، وجعل عتبته على الحجر الأخضر الطويل الذى فى الشاذروان الذى فى ظهر الكعبة قريباً من الركن اليماني وكان الناس يطوفون من وراء الستور والبناء بينون فى الداخل .

وضع الحجر الأسود فى الركن

فلما بلغ البناء موضع الركن أمر ابن الزبير بنقر موضعه فى حجرين من تحته ومن فوقه بمقدار حجم الركن وأمر ابنه عباد بن عبدالله ابن الزبير وجبير بن شيبه بن عثمان ان يجعلوا الركن فى ثوب وخاطبهم قائلاً ، اذا دخلت صلاة الظهر فاحملوه واجعلوه فى موضعه واخبرهم انه سيطيل فى صلاته فإذا فرغتم من وضعه فكبروا حتى اخفف صلاتي ، وكان ذلك فى يوم شديد الحر ، فلما أقيمت الصلاة كبر ابن

الزبير وصلى الركعة الأولى خرج عباد وجبير بالحجر من دار الندوة واخترقا الصفوف حتى ادخلاه في موضعه من البناء فلما اقراه في موضعه وطرقا على الحجرين كبرا، لما سمع ابن الزبير التكبير خفف صلاته، وهكذا تم وضع الحجر الأسود في مكانه من الركن وقد ذكرنا ان الحجر الأسود انقسم الى ثلاثة شظايا من تأثير الحريق فشد ابن الزبير الشظيتين اللتين وجدتهما من الحجر بالفضة أما الشظية الثالثة فقد بقيت عند بعض آل شيبه دهرا طويلا.

غضب بعض الناس لعدم اشراك القبائل في وضع الحجر الأسود

تسامع الناس بما كان من أمر وضع الحجر من قبل عباد ابن الزبير وشيبة ابن جبير والناس في صلاة الظهر فغضب بعضهم ان لم تدع قبائل قريش لوضع الحجر كما تم حين بناء قريش للكعبة، ولكن ابن الزبير انفذ الأمر في هدوء وسرية تامتين منعا للخوض في الأمر.

زيادة ابن الزبير في طول البناء

هذا وقد ابلغ ابن الزبير طول بناء الكعبة سبعة وعشرين ذراعا وكانت ثمانية عشر ذراعا في بناء قريش وتسعة اذرع قبل بناء قريش فكانت زيادته في طولها تسعة اذرع عن بناء قريش وجعل عرض جدارها ذراعا، وجعل فيها ثلاث دعائم في صف واحد وكانت قريش في الجاهلية جعلت فيها ست دعائم في صفين وبنائها بالرصاص المخلوط بالورس.

تزيين الكعبة بالرخام

واستقدم ابن الزبير رخاما من صنعاء اسمه البلق فجعله في الروزن الذي في سقف الكعبة للضوء.

الأبواب والميزاب

قالوا وكان باب الكعبة قبل بناء ابن الزبير مصراعا واحدا فجعله ابن الزبير مصراعين طولها احد عشر ذراعا من الأرض الى منتهى اعلاها اليوم وجعل الباب الآخر الذى فى ظهرها بازائه وجعل اليها درجة فى بطنها فى الركن الشامي من خشب معرجة تصعد فيها الى ظهرها وجعل فى سطحها ميزابا يصب فى الحجر .

تطيب الكعبة وكسوتها

لما اتم ابن الزبير بناء الكعبة خلق - طيّب - جوفها بالعنبر والمسك ولطح جدارها بالمسك من الخارج من اعلاها الى اسفلها، وسترها بالديباج وقيل بالقباطي .

ويفرش حول الكعبة بالحجارة

وبقيت حجارة من بناء الكعبة ففرشت حول البيت واديرت بمقدار عشرة أذرع تأريخ انتهاء البناء .
وكان الفراغ من عمارة الكعبة المعظمة فى سابع عشر من شهر رجب من نفس العام عام خمس وستين للهجرة .

ابن الزبير يطلب من الناس ان يعتمروا ويتصدقوا

لما اتم ابن الزبير عمله العظيم خاطب الناس قائلا : من كان لي عليه طاعة فليعتمر من التمتع شكرا لله عز وجل ، ومن قد ان ينحربدنة فليفعل ، ومن لم يقدر فليذبح شاة ، فمن لم يقدر فليصدق بقدر طوله
خرج ابن الزبير يمشى حافيا وخرج معه رجال من قریش مشاة منهم عبدالله بن صفوان وعبيد بن عمير فأحرم وأحرم الناس معه من اكمة أمام مسجد عائشة بمقدار غلوة - ومسجد عائشة على مقربة من المسجد المنسوب لعلي - وجعل ابن الزبير طريقه على ثنية الحجون المفيضة الى المعلاة ، ولبي حتى نظر البيت فلما

طاف بالكعبة استلم الاركان الأربعة جميعا، وقال انما كان ترك استلام هذين الركنين الشامي والغربي لان البيت لم يكن تاما. يقول ابن فهد القرشي وبقيت هذه العمرة سنة عند أهل مكة في هذا اليوم يعتمرون في كل سنة من هذه الاكمة يقصد من ينبوع فما دونها.

ابن الزبير ينحر مائة بدنه

وكانت فرحة ابن الزبير وأهل مكة فرحة عظيمة بإعادة بناء الكعبة فاهدى ابن الزبير في ذلك اليوم مائة بدنة نحر بعضها في جهة التنعيم والبعض الآخر في طرف الحل ولم يبق من أشراف مكة وذوى الاستطاعة فيها الا من اهدى ونحر، ولم يروى كان اكثر عتيقا ولا اكثر بدنة منحورة أو شاة مذبوحة، ولا صدقة من ذلك اليوم، واقام اهل مكة يطعمون، ويتنعمون وينعمون شكرا لله على ما انعم من التيسير في بناء بيته الحرام على الصفة التى كان عليها حين بناه إبراهيم الخليل عليه السلام.

تحلية اساطين الكعبة بالذهب

قالوا وجعل ابن الزبير على الكعبة وأساطينها صفائح الذهب كما جعل مفاتيحها ذهبا، كما قالوا انه ادخل الرصاص والورس في بناء الكعبة. هكذا أعاد ابن الزبير رضى الله تعالى عنه بناء الكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام وكان الاختلاف هو ان طول جدار الكعبة في بناء إبراهيم تسعة أذرع فجعلها ابن الزبير سبعاً وعشرين ذراعا وجعل لها سقفا ولم يكن لها سقف في بناء الخليل عليه السلام، وجعل في ركنها الشمالي درجا يصعد عليه الى سطحها وحلاها بالذهب وغير ذلك مما اسلفنا بيانه فجراه الله على عمله الطيب خير الجزاء. (١)

بناء الحجاج للكعبة المعظمة

تأبى السياسة ألا أن تدس أنفها في كل أمر فلم تمض عشر سنوات على بناء

عبدالله ابن الزبير للكعبة المعظمة حتى اختلفت الأمور فعادت جيوش الشام مرة اخرى إلى مكة بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفى وحاصرت ابن الزبير فى المسجد وضربت الكعبة بالمنجنيق مرة أخرى وحارب ابن الزبير حتى قتل فلما استتب الأمر فى مكة للخليفة الأموي عبدالمملك بن مروان كتب إليه الحجاج بن يوسف عن الزيادة التى أحدثها ابن الزبير فى بناء الكعبة ووصف حديث عائشة رضوان الله تعالى عنها الذى اعتمد عليه الزبير فى إعادة بناء الكعبة على قواعد ابراهيم وصف هذا الحديث بأنه مفترى على عائشة وإن الزبير يزعم أنه سمعه منها فكتب إليه عبدالمملك ، إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير فى شيء أما ما زاد فى طوله - طول بناء البيت - فاقره ، وأما ما زاد فيه من الحجر فرد إلى بنائه ، وسد الباب الذى فتحه ، ولم يكذب الحجاج خبراً فسارع إلى نقض الزيادة التى ادخلها ابن الزبير رضى الله تعالى فى الكعبة ، والتى أعادها بها إلى ماكانت عليه حين بناها الخليل عليه السلام وأعاد بناء الكعبة فى الجدار الذى من جهة الحجر - حجر إسماعيل وهو بمقدار ستة أذرع وشبر كما قام بسد الباب الغربى فى ظهر الكعبة عند الركن اليماني وهكذا أعيدت الكعبة إلى ماكانت عليه حين بناء قريش لها ، أما ما أحدثه ابن الزبير من الطول فى البناء فبقي على حاله .

عبدالمملك يندم بعد فوات الآوان ويلعن الحجاج

ولقد ندم عبدالمملك بن مروان على تعجله فى الأذن للحجاج بنقض ما بناه الزبير من الكعبة فقد وفد عليه الحارث بن عبدالله فى خلافته فقال له عبدالمملك : ماأظن أبا خبيب - يقصد ابن الزبير سمع من عائشة ماكان يزعم أنه سمعه منها؟ قال الحارث : بلى أنا سمعته منها .

قال عبدالمملك : سمعتها تقول ماذا؟

قال الحارث : قالت : قال رسول الله ﷺ : إن قومك استقصروا من بنيان البيت ، ولولا حداثة عهدهم بالشرك أعدت ماتركوا منه فان بدالقومك من بعدى

ان بينوه فهلمي لاريك ماتركوا منه - فاراها قريبا سبعة اذرع - وتكملة هذا الحديث انه قال ﷺ لها - ولجعلت لها بابين موضوعين في الأرض شرقيا وغربيا، وهل تدريين لم كان قومك رفعوا بابها؟

قالت عائشة : لا

قال النبي صلوات الله وسلامه عليه تعززا أن لا يدخلها إلا من ارادوا فكان الرجل اذا هو اراد ان يدخلها يدعونه حتى يرتقي حتى اذا كاد ان يدخلوه دفعوه فسقط .

قال عبدالمملك للحارث : أنت سمعتها تقول هذا

قال الحارث : نعم .

فنكت ساعة بعصاه ثم قال وددت أنى تركته - يقصد ابن الزبير وما تحمل ، وقال أبوأويس أخبرني غير واحد من أهل العلم ان عبدالمملك ندم على اذنه للحجاج في هدمها ولعن الحجاج .

والحقيقة أن حديث عائشة رضوان الله تعالى عليها ثابت في كتب السنة ، وكان الأخرى بعبدالمملك بن مروان أن يتقصى الأمر قبل ان يحكم فيه وهو يعرف الحجاج وما جبل عليه من الحقد والبطش فالمسألة تتعلق هنا بهيبة البيت وقديسيته ، حيث يجب عدم تعرضه للهدم والتغيير في غير موجب ، وقد رأينا ابن العباس وهو من هو في فقهه وعلمه ينصح ابن الزبير ان يقوم بترقيع الكعبة ، أى ترميمها وأن لا يقوم على الهدم ، ثم يترك مكة إلى الطائف فلا يعود إليها إلا بعد اتمام بناء البيت مرة اخرى .

لا تجعل كعبة الله ملعبة للملوك

وهذا الذى فعله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هو ما افتى به الامام مالك ابن أنس امام دار الهجرة حينما سأل هارون الرشيد وقيل أبوه المهدي العباسي ماذا يرى في هدم الكعبة وردھا إلى بناء عبد الله بن الزبير .

قال الامام مالك - يا أمير المؤمنين لا تجعل كعبة الله ملعبة للملوك ، لا يشاء أحد

أن يهدمها إلا هدمها، فتذهب هيئة البيت من صدور الناس فتركها الرشيد.

الطواف من خارج الحجر

ولهذا فإن الطواف يكون من خارج الحجر - حجر إسماعيل - لأن ستة أذرع من الحجر مما يلي البيت تعتبر محسوبة من البيت بلا خلاف

خلاصة القول

وخلاصة القول كما يقول المؤلف ، فكل شيء فيها - الكعبة - بناء ابن الزبير الا الجدار الذى فى الحجر - حجر اسماعيل - فانه بناء الحجاج - كما سد الحجاج الباب الذى ظهر فى الكعبة ، كذلك رفع الباب الشرقى الذى يدخل منه اليها اليوم بمقدار اربعة اذرع وشبر وكان يصل الى الأرض ، وكذلك الدرجة التى فى باطن الكعبة والبابان اللذان عليها اليوم هما ايضا من عمل الحجاج .(١)

السييل يهدم الكعبة

بقيت الكعبة المعظمة على بناء ابن الزبير لها والتعديل الذى احدثه بها الحجاج ابن يوسف تسعمائة واربع وستين عاما لم يصيبها وهن ولا خراب باستثناء بعض المرمات البسيطة ، بقيت الكعبة المعظمة كذلك الى عام ١٠٣٩ للهجرة ، ففى يوم الأربعاء التاسع عشر من شعبان عام تسع وثلاثين والى للهجرة ، هطل بمكة المكرمة مطر عظيم ابتداء فى الساعة الثانية صباحا - بالتوقيت الزوالى - واشتد نزوله بين صلاتي الظهر والعصر واتصل المطر الى ليلة الخميس ، يصاحبه برد عظيم . وفى آخر النهار من يوم الأربعاء هبط من جراء هذه الأمطار سيل عظيم لم يرد مثله فى الأزمان القريبة ، دخل السيل الى المسجد الحرام وامتأل المسجد بالماء ، ودخل الماء الى الكعبة المشرفة من بابها ووصل ارتفاع الماء الى نصف جدار الكعبة ، كما بلغ ارتفاعه الى طوق القناديل ، ودخل السيل بيوت أهل مكة المكرمة

١ - ٨٦٥ - ٩١ تاريخ عمارة الكعبة المعظمة .

وأخرج امتعة هذه البيوت وذهب بها الى اسفل مكة، ومات فيه خلق كثير من مختلف طبقات الناس وصل تعدادهم كما يقول أحمد بن علان ألف إنسان من كبير وصغير وجليل وحقير، وبقي ماء السيل تلك الليلة بالمسجد الحرام إلى الصباح. . وفي عصر يوم الخميس عشرين من شعبان عام ١٠٣٩ هـ سقط الجدار الشامي للكعبة، كما سقط بعض جداريها الشرقي والغربي كما سقطت درجة السطح بعد ذلك، ذعر الناس لما حدث من سقوط جدار الكعبة وضجوا وارتاعت القلوب لهول ذلك. وكان أمير مكة الشريف مسعود ابن ادريس ابن حسن قد حضر الى المسجد صباح الخميس، وامر بفتح سراديب المياه الخاصة بالحرم مما يلي باب إبراهيم وبعد ان تم تصريف معظم المياه عاد الى داره باجساد ولكنه ما لبث ان عاد الى المسجد فزعا حينما علم بسقوط جدار الكعبة وحضر معه أشرف مكة وعلماءها وسادن البيت الشيخ محمد بن أبي القاسم الشيباني .

أمر الشريف مسعود بايقاد الشموع فاوقدت وأمر السادن بالدخول الى الكعبة واخراج القناديل الثمينة الخاصة بالكعبة، وكانت عشرين قنديلا من الذهب احدها مرصع باللؤلؤ، كما اخرج الميزاب والمعادن الثمينة، وحفظت جميعها في دار سادن البيت بعد ان تم ضبطها .

وفي اليوم التالي وهو يوم الجمعة ٢١ شعبان ١٠٣٩ حضر أمير مكة الشريف مسعود إلى المسجد الحرام ومعه أشرف مكة وعلماءها واعيانها وباشروا في تنظيف المطاف وماحوله فباشروا الخطيب خطبة الجمعة وأقام صلاتها بالناس في موضع المطاف. وبعد الفراغ من الصلاة شرعوا في جمع الحجارة التي سقطت من الكعبة المشرفة فنقلوها من المطاف ووضعوها في اماكن قريبة حتى تكون في متناول اليد عند اعادة البناء .

كان الحجاز في ذلك العهد ضمن البلاد الاسلامية التابعة للخليفة العثماني ولكنه كان مرتبطا في ادارته بمصر، وكان مقر الشرفاء امراء مكة في مكة المكرمة، وكان مقر الولاة سواء اكان الوالي من قبل الخلافة العثمانى او من قبل صاحب مصر

في جدة ، وقد استدعى ماحدث السعي لانفاذ الكعبة باحضار مال عاجل من جدة
فارسل الى صاحب مصر فيها فبعث خمسمائة دينار بصورة عاجلة .

استفتاء الشريف علماء مكة في اصلاح الكعبة

وقد حضر الشريف مسعود امير مكة الى المسجد الحرام وحضر لحضوره علماء
البلد الأمين واعيان الناس ومندوب من صاحب مصر فسأل أمير مكة العلماء
الحاضرين الفتوى في إصلاح ماوهى من الكعبة وهل يجوز استعمال مال الكعبة في
اصلاحها - والمقصود بيع القناديل الثمينة التى تحتويها خزانة الكعبة وغيرها مما
اهدى الى الكعبة - ام لايجوز ، ووجه السؤال مكتوبا الى العلماء وعين لهم مكانا
خاصا في باب الرحمة وقد اجتمع العلماء وتداولوا الأمر ثلاثة أيام رجعوا فيها الى
المراجع الفقهية ثم اجابوا على السؤال بان تعمر الكعبة من مالها ، كما يجب المبادرة
الى العمارة ممن له امانة على الحرمين الشريفين وان المخاطب بهذا هو السلطان
مراد خان ثم نائبه الشريف مسعود أمير مكة .

وقد جهز امير مكة وفدا للسفر الى مصر لمقابلة صاحب مصر وعرض الأمر عليه
مصحوبا بفتاوى العلماء وشهادة اعيان مكة لرفع الأمر الى السلطان مراد خان .

تنظيف المسجد واحاطة الكعبة بسور

من الأخشاب

وفى نفس اليوم أمر الشريف مسعود المهندسين والفعلة بمباشرة تنظيف المسجد
الحرام وباطن الكعبة مما أصابها من الأحجار والوحول المتراكمة ، ووصلت
من والي جده خمسمائة دينار اخرى لصرفها كذلك على التنظيف والاصلاح
الابتدائي . وقد استغرف تنظيف المسجد الحرام مما أصابه من الوحول مايقرب من
شهر كامل فتم تنظيف المسجد والكعبة ثم احيطت الكعبة بستارة من الخشب بعد
احضاره من جده وغيرها ، وامر الشريف مسعود بعمل ثوب اخضر كسيته به
الاخشاب المحيطة بها ودخل الأمير الى داخل الستار الخشبي فصلى في داخل

الكعبة ثم خرج وطاف بالبيت وذلك في السابع من شهر شوال عام ١٠٣٩ هـ .

الاهتمام باصلاح الكعبة

وصل الوفد المرسل من مكة الى مصر وقابل واليها محمد باشا الألباني فاهتم بالامرا اهتماما عظيما ورأى المباشرة بعمارة الكعبة حتى قبل ورود امر السلطان بذلك ، فبعث من قبله مندوبا إلى مكة وخوله صلاحية تامة لاتخاذ التدبير المستعجلة للاصلاح ، ووصل هذا المندوب الى مكة المكرمة يوم ١٦ شوال وفي اليوم التالي لوصوله قابل امير مكة الشريف مسعود وكان يصطحب معه خلعة سلطانية البسها لامير مكة في المسجد الحرام . وكما اهتم صاحب مصر بالأمر فقد اهتم به السلطان مراد حينما وصل اليه الخبر فارسل السلطان في شهر ربيع الثاني من عام اربعين بعد الألف رجلا اسمه السيد محمد افندي قاضيا للمدينة المنورة ومعينا لعمارة الكعبة المشرفة وحينما وصل الى مكة كان الشريف مسعود امير مكة مريضا فاستقبله في بستان له خارج مكة المكرمة والبسه الخلعة السلطانية وتوفي الشريف مسعود في الثامن عشر من ربيع الثاني عام أربعين وألف وقام بالأمر بعده الشريف عبدالله بن حسن بن أبي نمي .

ووصلت المؤن اللازمة للعمارة من مصر في ٢١ من الشهر نفسه .

العمل في بناء الكعبة

وقد بدأ الاستعداد للعمل الجاد في بناء الكعبة في الأسبوع الأخير من شهر ربيع الثاني فاحاط النجارون الكعبة بسياج من الخشب للعمل من داخله واخذوا من مدار المطاف نحو ستة اذرع لهذه الغاية . وكانت الاحجار الكبيرة التي اقتطعوها من جبل الكعبة المعروف حاليا قد احضرت قريبا من باب العمرة وشرع النحاتون في نحتها . وهطل مطر بمكة في يوم السابع والعشرين من ربيع الثاني سقط على أثره حجران من الجدار الغربي واحجار صغيرة اخرى مما دل على ان بناء الكعبة

جميعة قد وهى . وبالكشف على ماتبقى من بناء الكعبة ظهر ان الحاجة تدعو الى ازالة البناء القديم جميعه وتشييدها على أسس جديدة واختلف الناس فى ذلك

فالبعض يجذ الهدم والبعض يميل الى البناء على ماتبقى من البناء ولكن تغلبت فكرة الهدم الكامل فى النهاية ، فتم الشروع فى الهدم فى آخريوم من شهر جمادى الأولى واستمر المهندسون والعمال فى إزالة البناء القديم كله وهوبناء ابن الزبير الى الثانى والعشرين من شهر جمادى الثانية ولم يبق فى مكانه من بناء ابن الزبير الا الحجر الأسود وذلك خشية عليه من التفتت ، وقد تم قلع احجار الشاذروان - الشاذروان هو حجر الاساس - كما نقضوا سقف الكعبة وحفظوا كسوتها وأبوابها ومازينت به من النحاس المموه بالذهب والرخام فى مواضع أمانة .

وفى ضحى يوم الأحد الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربعين بعد الألف بدأ العمل فى صب الاساسات فى جدار الكعبة الشامى ، واقيم لذلك احتفال حضره أمير مكة الجديد الشريف عبد الله ومعه اولاده كما حضر هذا الاحتفال مندوب السلطان مراد خان ومندوب صاحب مصر وكثير من علماء مكة واعيانها وسادن البيت وشارك الجميع على سبيل التبرك فى عمل الاساسات كما جرى ذبح الذبائح عند باب السلام وباب الصفا وباب إبراهيم تقربا إلى الله تعالى رجاء قبوله وتوفيقه .

وقد استعملت الاحجار فى المدماك الأول من البناء بسمك أربعة وعشرين قيراطا وفى المدماك الثانى بسمك اثنين وعشرين قيراطا وجرى صب الرصاص المذاب بين الاحجار لمساواتها وتقويتها .

ولما بلغ البناء الى موضع الحجر الذى يستلمه الطائف فى الركن اليماني وضع

ذلك الحجر فى مكانه بعد ان ضخمه السادن بالعنبر والمسك وبخره بالعود وكان طرف الحجر الذى نحتته انكسر من اعلاه فوضع فى محل ذلك رصاص مذاب

ليكون مسامتا لباقي الاحجار واستمر البناء بغاية الدقة والاتقان الى موضع الحجر الأسود فحضر مندوب السلطان مراد خان والشريف عبدالله ابن الحسين بن ابي نمي امير مكة واولاده وجمع كبير من العلماء والاعيان واصحاب الوظائف الكبيرة في الحرم وسادن بيت الله الحرام وذلك للاحتفال بتثبيت الحجر الأسود في موضعه من الركن .

حادث مثير للحجر الأسود

أخذ كبير المهندسين ومعه المعلم عبدالرحمن زين الدين باصبع الحديد ما طاف بالحجر الأسود والفضة التي احيطت بالحجر وكذلك بالجير الذي الصق به وكان ولد امير مكة الشريف محمد يتلقى هذه المواد بمحرمة في يده وهم يتلففون في الامر ولكن الذي كان بيده المعمول ضغط دون قصد على الحجر فإذا به ينقسم الى أربع شظايا وكادت هذه الشظايا ان تسقط فلما رأوا ذلك احضروا السيد علي ابن بركات فهاله ما رأى من امر الحجر كما هال الحاضرين ما علموا من ذلك وما شهدوا واخيرا اجمع الرأي على ابقاء الحجر في مكانه من الركن واصلاحه دون اخراجه من موضعه خشية ان يتحول الى شظايا صغيرة متفرقة ان هم اخرجوه من الركن، واصلاحه دون اخراجه من العنبر واللاذن واعادوا الفتات التي خرجت من الحجر اثناء التنظيف الى مكانها منه ووضعوا عليه طوق الفضة الذي أعدله وياشر اتمام ذلك امير مكة وأكابر الحاضرين ، ولكن مركب العنبر واللاذن لم يدم طويلا فلما حميت الشمس ذاب هذا المركب فأوقدت الشموع ليلا وعملوا مركبا آخر من كثير من المواد الثابتة و اضافوا اليها المسك والعنبر وتم الصاق الشظايا مرة اخرى بهذا المركب الذي انتهى العمل فيه عند منتصف الليل وقد بلغت شظايا الحجر ثلاثة عشر فلقة الكبار منها أربعة وقد حدث في التاسع من شهر شوال انه لوحظ تحرك طوق الفضة المطيف بالحجر الأسود وتخلخل احجاره وربما كان ذلك من كثرة اللمس والتقيل للحجر بعد ان كان محجوبا عن الناس بضعة شهور فاعيد صنع مركب آخر ملئت به الثغرات بين احجاره ليتم تماسكها ، وفي أول يوم من ذى

الحجة من هذا العام جرى دهن الحجر وطلّى بالسندروس فصلح ماتخلخل منه .

تاريخ انتهاء البناء في الكعبة

هذا وقد استمر العمل في بناء الكعبة المعظمة ستة شهور ونصف ، أورد الشيخ بإسلامه تفاصيلها نقلا عن المصادر التاريخية الكثيرة يوما بيوم الى ان انتهى العمل النهائي فيها ثاني أيام ذى الحجة من عام أربعين وألف وهذه العمارة التي قام بها السلطان مراد خان هي الباقية حتى هذا اليوم ولم يطرأ عليها سوى بعض الترميمات التي كان آخرها في سقف الكعبة في العهد السعودي عام ١٣٧٧ للهجرة .

ونكمل الحديث عن بناء السلطان مراد للكعبة ببعض المعلومات المتعلقة بالموضوع :

١ - الباب الذي جعل للكعبة في هذه العمارة اشترك فيه اكثر من سلطان فقد ارسل السلطان بيبرس سلطان مصر بابا ثميناً من الخشب للكعبة ، ثم قام السلطان سليمان العثماني بتلييسه بالفضة المموهة بالذهب .

٢ - تم تسقيف الكعبة بالآخشاب وبلغت الاعواد التي استعملت كحامل للسقف ثمانية وثمانين عوداً وتم تلييس هذه الاعواد بصفائح الخشب .

٣ - جعلت للكعبة ثلاثة بساتل من الخشب القوي وقد وصل البستل الأول وهو قطعة من دقل مركب وحمل من جده على عجل وجُرَّتْ باثني عشر رجلاً ، ولما وصلت الى باب الصفا حملها اثنا عشر رجلاً ثم ركبوا اربع بكرات بحبال قوية ليرفعوا البستل الى سقف الكعبة وهكذا فعلوا في البساتل الباقية ، والبستل هو عمود ضخّم من الخشب القوي الصالح لحمل الاثقال وقد تم دهن هذه العمود بالجير والزعفران وطلّيت بغراء الجلود .

٤ - للكعبة سقفان سقف يعلوه سقف .

٥ - الميزاب المركب في سطح الكعبة ارسله السلطان العثماني أحمد خان هدية الى الكعبة في سنة ألف وعشرين للهجرة وطوله ثلاثة اذرع ونصف الجزء البارز منه

مصفح بالفضة المحلاة بالذهب وعليه اسم السلطان أحمد خان وقد بقي في مكة عشرين عاما ثم جرى تركيبه في العمارة الاخيرة التي اجراها السلطان مراد خان .
٦ - تم فرش سطح الكعبة بالرخام وكان قد تكسر من رخامه عشر رخامات ابدلت بعشر رخامات جديدة .

٧ - كان الجدار الذي بني به الحجر تم بناؤه في عمارة الملك الأشرف قانصوه الغورى من ملوك الجراكسة بمصر في القرن العاشر الهجرى ، وقد اعيد بناء هذا الجدار في العمارة الاخيره وفقدت رخامة من الرخام الملبس به البناء فابدلت بغيرها . وكذلك أبدل الرخام المكسر في المطاف برخام سليم .

٨ - كان السلطان أحمد خان العثماني قد بعث لوحا ذهبيا يعلق على اعلى باب الكعبة مكتوبا عليه باللون اللازوردى . - الأزرق الفاتح - ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا - وتحت هذه الآيات ثلاث ابيات فيها تاريخ بعمل الحزام للسلطان أحمد خان وهو عام عشرين الف وهذه الثلاث أبيات تدل على الحالة التى كان فيها النظم الركيك يعتبر شعرا وكان هذا هو التفكير السائد في ذلك الوقت .

اللوح ذا لما استرم فجدا قد بدل السلطان أحمد عسجدا
فبدا له من جديد ذو جدا الله انعم بالمجدد وايدا
الهمت في تاريخه لما بدا اللوح للسلطان أحمد جددا

٩ - لما تم تجديد بناء الكعبة المعظمة كتب تاريخ العمارة على لوحة رخامية كتب فيها «بسم الله الرحمن الرحيم» ، (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) ، تقرب بتجديد هذا البيت العتيق الى الله سبحانه وتعالى خادم الحرمين ، وسائق الحجاج

بين البرين والبحرين السلطان ابن السلطان مراد خان بن السلطان أحمد خان بن السلطان محمد خان خلد الله تعالى ملكه وايد سلطنته في أواخر شهر رمضان المبارك المنتظم في سلك شهور سنة أربعين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل التحية .

وقد الصقت تلك اللوحة على الجدار الغربي بداخل الكعبة المشرفة ومن المعلوم ان هذا التاريخ ليس هو التاريخ النهائي للعمل في البيت وربما كان تاريخ الانتهاء من البناء ، لان التاريخ النهائي لعمارة البيت كان في الثاني من ذى الحجة من نفس العام المذكور كما اسلفنا بيانه .

١٠ - زينت أرض الكعبة وجدرانها بالرخام الملون وفيها أربعة دعائم ، والدرجة الصاعدة الى السطح في بطن الجدار الشامي عليها باب صغير وعلى يسار الداخل كرسي من الخشب يجلس عليه فاتح البيت وقد كسيت من الداخل بحرير أحمر .

١١ - تبلغ مساحة الكعبة بالامتر كما وردت في الكتاب كالتالى :-

أ - طول الكعبة من وسط الجدار اليمني الى وسط الجدار الشامي ١٥ , ١٠

ب - طول الكعبة من وسط الجدار الشرقي الى وسط الجدار الغربي ١٠ , ٨

ج - يبلغ عرض جدار الدرجة التي بداخل الكعبة الواقعة في الركن الشمالي الشرقي المصعدة الى سطح الكعبة من الشرق الى الغرب مترين وثلاثين سنتما ومن الشمال الى الجنوب مترا ونصف المتر .

١٢ - يوجد في داخل الكعبة سبعة الواح من الرخام تحمل اسماء السلاطين والملوك الذين قاموا بعمارة فيها وهي كالتالى حسب الترتيب الذى اورده المؤلف .

١ - السلطان الملك الأشرف ابوالنصر قايتباى في مستهل رجب عام أربع وثمانين وثمانمائة للهجرة .

٢ - والدة السلطان العثماني خان مصطفى بمباشرة أحمد بيك شيخ الحرم المكي في عام مائة وتسع بعد الألف .

٣ - الخليفة العباسي أبوجعفر المنصور عام تسع وعشرين وستمائة .

٤ - الملك المظفر صاحب اليمن الذى قام بتجديد رخام البيت المعظم عام ثمانى وستائة .

٥ - السلطان مراد خان بن السلطان محمد خان فى شهر رمضان سنة أربعين والف من الهجرة .

٦ - السلطان محمد خان الذى قام بتجديد سقف البيت الشريف وجميع داخل الحرم وخارجه سنة سبعين والف .

٧ - السلطان الملك الأشرف أبوالنصر برسباي سنة ستة وعشرين وثمانائة .

١٣ - توجد فى وسط الكعبة ثلاثة اعمدة من الخشب القوى التخين يقدر قطر تخن الواحدة منها بنصف متر ولون هذه الاعمدة بين الحمرة والصفرة وقد بقيت هذه الأعمدة ثلاثة عشر قرنا حيث وضعها عبدالله ابن الزبير فى بنائه للبيت وقد عمل لهذه الأعمدة قبل اربعين عاما دوائر من الخشب من اسفلها بإرتفاع متر ونصف من أرض الكعبة بعد ان ظهر بعض التصدع فى هذه العمد التى عاشت طيلة هذه القرون كما يقول المؤلف فى منتصف القرن الماضى .

١٤ - أرض الكعبة مفروش بالرخام الأبيض والقليل منه ملون اما جدارها فهو مكسور برخام ملون ومزركش بنقوش لطيفه .

١٥ - وصف المؤلف الستارة الحمراء التى بداخل الكعبة والتى اهديت لها من السلطان عبدالعزيز خان عام ١٢٩٠ للهجرة ومكتوب عليها بالنسيج الأبيض - لا إله إلا الله محمد رسول الله جل جلاله ، ثم سبحان الله ويحمده ، سبحان الله العظيم ، ثم يا حنان يا سلطان يا حنان يا سبحان - وهذه الأسماء مكتوبة على شكل دوائر وتوجد ستارة أخرى على باب الدرجة المصعدة الى سطح الكعبة من الداخل وهى من الحرير الأسود ومطرزة بالقصب الفضى المذهب (١).

الحجر الأسود

أفرد المؤلف فصلا خاصا فى كتابه تحت عنوان - خبر الحجر الأسود - استعرض

١- ٩٢- ١٤٣ تاريخ عمارة المسجد الحرام

فيه الحوادث للحجر ونبدأ بالحادثة الشهيرة التي اخذ فيها القرامطة الحجر من مكة وساروا به إلى هجر وغيبوه هناك اثنتين وعشرين عاما - يقول المؤلف نقلا عن التقي القاسي في شفاء الغرام وعن ابن فهد في تحاف الوري ماملخصه . ان أبا طاهر سليمان ابن ربيعة الحسن القرمطي صاحب البحرين دخل مكة في شهر ذي الحجة سنة ثلاثمائة وسبعة عشرة للهجرة . وكان قد حضر للحج بالناس نيابة عن الخليفة العباسي عمر بن الحسن بن عبدالعزيز وفاجأ القرمطي هذا الناس بان دخل المسجد الحرام يوم التروية ومعه تسعمائة رجل من أصحابه وكان يمتطي فرسا له ويده سيف مسلول يقول ابن فهد فصفر القرمطي لفرسه فبال عند البيت واسرف هو أصحابه في قتل الحجاج واسرهم ونهبهم وكان الناس يطوفون والسيوف تأخذهم وقد بلغ عدد القتلى في المسجد الحرام ألفا وسبعمئة شخص في احدى الروايات بينما بلغ في رواية اخرى ثلاثة عشر ألفا وايا كان العدد فقد كانت حادثة هيبية وفظيعة وقد امتلأ المسجد الحرام بجثث القتلى بعد ان امتلأ بهم بثر زمزم وحينما سمع ابوطاهر هذا الناس يصيحون - تقتل جيران الله في حرم الله؟ قال لعنه الله - ليس بجار من خالف أوامر الله ونواهيه وتلا الآية الكريمة - انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية . .

ثم صعد على باب الكعبة واستقبل الناس بوجهه وهو يقول :-

إنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا

قالوا وضرب بعض أصحابه الحجر بدبوس فانكسر، وقيل ان الذي ضرب الحجر الأسود بالدبوس أبوطاهر نفسه وصاح ياحمير - أنتم تقولون من دخل هذا البيت كان آمنا فأين الأمن وقد فعلت ما فعلت؟ وعطف دابته ليخرج فاخذ بعض الحاضرين بلجام فرسه وقد استسلم للقتل فقال له - ليس معنى الآية ما ذكرت وانما معناها من دخل فامنوه فلولى القرمطي فرسه ولم يرجع اليه .

ثم استمر القتل والنهب من القرمطي واصحابه في سكك مكة وظاهرها وشعابها من الحجاج المغاربة والخراسانيين نيفا وثلاثين ألفا وسبى من النساء والصبيان مثل

ذلك ولم يقف احد هذه السنة بعرفه ولا وفي نسكا الا قوم يسرون غرورا فاتموا حجهم دون إمام وكانوا رجالة .

ونهب أبوطاهر ورجاله اموال الناس وحلي الكعبة ، وهتك استارها وقسم كسوتها بين أصحابه قال ابن فهد ونهب دور مكة وقلع باب الكعبة ، وامر بقلع الميزاب وكان من الذهب الابريز فصعد احد رجاله ليقبله فاصيب بسهم في عجزه اطلق عليه من جبل أبي قبيس فسقط فمات ، وقيل ان الرجل وقع على رأسه فمات .

فقال القرمطي - اتركوه على حاله - يعني الميزاب فانه محروس حتى يأتي صاحبه يعنى المهدي قالوا وأراد أخذ المقام فلم يظفر به لان سدنة المسجد غيبوه في بعض شعاب مكة ، فتألم لفقده فعاد عند ذلك على الحجر الأسود فقلعه جعفر بن أبي علاج البناء المكي بأمر القرمطي بعد صلاة العصر من يوم الاثنين رابع عشر ذي الحجة قالوا وقال عند ذلك شعرا يدل على عظيم زندقته حيث يقول :

فلو كان هذا البيت لله ربنا لصب علينا النار من فوقه صبا
لانا حججنا حجة جاهلية محلة لم تبق شرقا ولا غربا
وانا تركنا بين زمزم والصفاء جنايز لا تبغى سوى ربها ربا

قالوا وقلع القرمطي قبة زمزم واقام هو واصحابه بمكة احد عشر يوما ثم انصرف الى بلده هجر وحمل معه الحجر الأسود يريد ان يجعل الحج عنده ، قال ابن فهد وهلك تحت الحجر اربعون جملا وبقي موضع الحجر الأسود من الكعبة خاليا يضع الناس فيه ايديهم للتبرك .

وكان القرمطي يخطب بمكة لعبد الله المهدي صاحب المهديّة بافريقية .

أقول - ان مايلفت النظر في هذه الروايات التي سقناها عن القرمطي والمنقولة

عن ابن فهد ان تعداد جيش القرمطي كان تسعمائة رجل وقد عاث هذا الفساد كله في اقدس بقعة على وجه الأرض وقتل الألو ف من الحجاج والاهليين ، وسبى الألو ف المؤلفة كذلك من الصبيان والنساء ، وهتك حرمة البيت الحرام وبقي احد عشر يوما ولم يتصد لقتاله ومناجزته احد ترى الم يكن لدى امير مكة من الجنود والحرس من يتصدى لهؤلاء المفسدين في الأرض وقد حضر الحج مندوب الخليفة ومعه حتما من الجند والحرس من كان ينضم الى أمير مكة وجنده ، كما ينضم اليهم المتطوعون من أهل مكة والحجاج .

ولقد ذكر ابن فهد ضمن أسماء القتلى أمير مكة ابن محارب كما ذكر أسماء كثير من الأعلام الذين قتلوا في هذه المعركة الفظيعة .

على اي حال - يبدو ان هذا القرمطي اعتمد على مفاجأة الناس باعتدائه الفظيع الغاشم الذي تم في اليوم الثامن من ذي الحجة ، وفي قلب المسجد الحرام ، ويبدو ان هذه المفاجأة اذهلت الناس فشلت عقولهم كما شلت حركتهم ، كما ان مقتل ابن محارب أمير مكة كان من أكبر الأسباب في استرسال القرمطي هذا وأصحابه في القتل والافساد دون رادع أو واعز ، اما تعداد القتلى والاسرى والسبايا فان المبالغة فيه واضحة لا يفتقر تبينها الى عناء ، والناس في امثال هذه الحوادث يعظمون الأمور ويبالغون في الروايات وقد ينطقون الناس ما لم ينطقوا او يقولوا ، ولكن الحادثة مهما صاحب روايتها من المبالغة والتحويل كانت من أسوأ الحوادث التي مرت في تاريخ المسجد الحرام وافطعها ، وهي سبة لهذا القرمطي واصحابه ولعنة تلحقهم عبر الازمان والدهور .

إعادة الحجر

ذكرنا ان هذا القرمطي الفاجر اللعين كان يخطب لعبد الله المهدي صاحب افريقية قالوا فلما بلغ المهدي ذلك كتب الى القرمطي يقول - والمعجب من كتبك

الينا ممتنا علينا بما ارتكبت واجترت باسمنا من حرم الله وجيرانه بالأماكن التي لم تنزل الجاهلية تحرم الدماء فيها وإهانة أهلها ثم تعدت ذلك إلى أن قلعت الحجر الذي هو يمين الله في الأرض يضاف بها عباده ، وحملته إلى أرضك ورجوت أن نشكرك على ذلك ، فلعنك الله ثم لعنك الله ثم لعنك ، والسلام على من يسلم المسلمون من لسانه ويده .

لما وصل هذا الكتاب من الخليفة العبيدي عبدالله المهدي انحرف القرامطة عن طاعة العبيدين قالوا وأقام الحجر بالاحساء اثنتين وعشرين سنة يستميلون الناس اليهم ، ثم يثسوا فردوه فلما كان يوم النحر من سنة ثلاثمائة وتسعة وثلاثين وافى سنبر بن الحسن القرمطي مكة ومعه الحجر الأسود فلما صار بفناء الكعبة ومعه امير مكة أظهر الحجر من سقطة وعليه ضباب فضه .

وقد قيل ان الخليفة المقتدر العباسي اشترى الحجر من ابي سعيد الجنابي بثلاثين ألف دينار ولكن الناقل لهذه الرواية نجم الدين ابن فهدردها . قالوا ولما رد سنبر هذا الحجر الى مكانه جرى شدة بالخص الذي احضره معه قال سنبر - اخذناه بقدرة الله ، ورددناه بمشيئة الله .

ونظر الناس الى الحجر فبينوه واقبلوا عليه يقبلونه ويحمدون الله تعالى على رده الى مكانه من البيت الحرام .

وقد جرى اخراج الحجر بعد بضعة شهور من اعادته الى مكة وتطويقه بالفضة كما كان عليه الحال في خلافة عبدالله ابن الزبير وقد وقعت حوادث كثيرة للحجر الأسود عبر التاريخ نذكر منها مايلي :

١ - ذكر ابن فهد القرشي في حوادث سنة ٣٦٣ انه بينما كان الناس في وقت القيلولة وشدة الحر وانقطاع حركة الطواف بالبيت إلا من رجل او رجلين شهود رجل عليه ملابس بالية يغطي رأسه ويسير رويدا حتى دنا من الركن فاخذ معولا وضرب به الركن ضربة شديدة حتى ظهر اثرها فيه ورفع يده ليضرب الضربة الثانية فابتدريه رجل من السكاسك من أهل اليمن وكان يطوف بالبيت فطعنه

بخنجر طعنة عظيمة فسقط ارضا واقبل الناس من نواحي المسجد ونظروه فاذا هو رجل رومي يحمل معولا عظيما حديد السن وقد جعل له مال كثير على ذهاب الركن فاخرج من المسجد الحرام وجمع الحطب الكثير فاحرق بالنار.

٢ - وذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٤١٤ هـ جاء الى المسجد في يوم النفر الأول ولم يكن الناس عادوا من منى رجل أحمر اللون اشقر الشعر تام القامة جسيم طويل وبإحدى يديه سيف مسلول وبالأخرى دبوس فقصد الحجر الأسود بعد أن اتم الأمام صلاته يظهر كان يريد استلامه فضرب وجه الحجر ثلاث ضربات متواليات بالدبوس فتقشر وجه الحجر من تلك الضربات وسقطت منه شظايا صغيرة.

واقبل الرجل بوجهه متسائلا ، إلى متى يعبد هذا الحجر الأسود ولا محمد ولا علي يمنعني عما أفعله فأنى أريد اليوم أهدم هذا البيت فتهيب الحاضرون الأقدام على الرجل ، وكان قد وضع على باب المسجد عشرة من الفرسان لينصروه ، ولكن رجلا من أهل مكة احتسب حياته فثار به فطعنه بخنجر وتكاثر عليه الناس فقتلوه وقطعوه اربا واحرقوه بالنار وقتل جماعة ممن شاركوه واعانوه واحرقوا بالنار.

قالوا وكان الظاهر منهم عشرين رجلا فثارت الفتنة وعلم ابو الفتوح أمير مكة بالأمرفاطفاً الفتنة التى كادت ان تعم المصريين لان الرجل كان كما يقول ابن الاثير ممن استغواهم العبيدى حاكم مصر.

٣ - وجاء في منائح الكرم نقلا عن الشيخ محمد بن علان المكي انه في عشر التسعين والتسمائة جاء رجل اعجمي بدبوس فضرب الحجر الأسود ، وكان الأمير ناصر جاوش حاضرا فطعن ذلك الاعجمي بالخنجر فقتله واراد العجم المقيمون بمكة ان يثأروا له وزعموا انه شريف فحال بينهم وبينه قاضي مكة حسين المالكي .

٤ - وقد اورد الشيخ باسلامه آخر الحوادث التى شهد بها عن الحجر الأسود فقال : جاء رجل فارسي من بلاد الأفغان فى آخر شهر المحرم سنة ١٣٥١ فاقطلع قطعة من الحجر الأسود وسرق قطعة من ستارة الكعبة ، وقذعة فضة من مدرج

الكعبة الذى هوبين بئر زمزم وباب بني شيبه فشعر به حرس المسجد الحرام فاعتقلوه ثم اعدم عقوبة له كما حدث لامثاله ممن تجرأوا على الحجر الأسود فى مختلف ازمان التاريخ بحيث اصبح ذلك سنة متبعة .

يقول الشيخ باسلامه ثم لما كان يوم ٢٨ ربيع الثانى من عام ١٣٥١ حضر جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود من مصيفه بالطائف قبل توجهه الى الرياض ومعه رئيس هيئة القضاء الشرعي الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ ، وحضر أيضا الشيخ عبدالله الشيبى نيابة عن والده رئيس السدنة المرحوم الشيخ عبدالقادر الشيبى وحضر كذلك بعض الاعيان ، ثم احضر مدير الشرطة العام محمد مهدى بك تلك القطعة التى اقتلعها ذلك الفارسي التعيس وعمل الاخصائيون مركبا كيمياويا مضافا اليه المسك والعنبر وضعه الاخصائيون لتثبيت تلك القطعة ثم وضع جلالة الملك عبدالعزيز بيده قطعة الحجر فى محلها واثبتها الاخصائيون اثباتا محكما . (١)



١- ١٤٩١ - ١٦١ تاريخ بناء الكعبة المعظمة،

كسوة الكعبة

تعددت الروايات في أمر كسوة الكعبة وقد استنتج الحافظ ابن حجر من هذه الروايات أن أول من كسى الكعبة أسماعيل عليه السلام ثم عدنان وهو الجد الأعلى للرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ثم تبع ملك اليمن واسمه اسعد .

وفي كسوة تبع للكعبة انه كان وقومه اصحاب اوثان يعبدونها فصار الى مكة بقومه حتى إذا كان قريبا منها بين عسفان وامج اتاه نفر من هذيل فقالوا له - ايها الملك الا ندلك على بيت مال وأثر اغفلته الملوك قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة؟

قال تبع بلى - قالوا بيت بمكة يعبده اهله ويصلون عنده . . قالوا وانما اراد الهذليون بذلك هلاك تبع وجيشه لما عرفوا من هلاك من اراده من الملوك بسوء قبله .

اجمع تبع امره على السير الى مكة والاستيلاء على الكنوز النفيسة التي وصفها له الهذليون فاستشار حبرين كان عنده باليمن يعلمان ما جاء في الكتب .

قال الحبران لتبع : ما ارادا القوم الا هلاكك وهلاك جندك ، وما نعلم بيتا لله اتخذه في الأرض لنفسه غيره ، ولئن فعلت مادعوك اليه لتهلكن ومن معك جميعا .

قال تبع فماذا تأمراني ان اصنع اذا انا قدمت عليه؟
قالا تصنع عنده ما يصنع أهله ، تطوف به وتعظمه وتكرمه وتحلق رأسك عنده
وتدلل له حتى تخرج من عنده

قال تبع للحبرين فما يمنعكما انتما من ذلك؟
قالا - أما والله انه لبيت أبينا إبراهيم وإنه كما أخبرناك ، ولكن أهله حالوا بيننا
وبينه بالأوثان التي نصبوها .

استمع تبع لنصيحة الحبرين وعاقب الهذليين بقطع أيديهم وأرجلهم ثم سار
إلى مكة ، فلما وصل إليها طاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه ، وأقام بمكة ستة
أيام فيما يذكرون ينحربها الذبائح لأهل مكة ويسقيهم العسل .

ورأى تبع في منامه أن يكسو البيت فكساه الخصف وهي ثياب غلاظ وقيل نسيج
من الخوص والليف وهو الأقرب إلى إسم الخصف (١) ثم رأى تبع في منامه ان
يكسوه احسن من ذلك فكساه المعافير ثم رأى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه
الملاء والوصلات وهي ثياب حبرة من صنع اليمن ، وجعل للكعبة بابا يغلق وقال
تبع في ذلك شعرا :

وكسونا البيت الذي حرم الله	ملاءاً معضداً وبرودا
واقمنا به من الشهر عشرا	وجعلنا لبابه اقليدا
وخرجنا منه نؤم سهيلا	قد رفعنا لواءنا معقودا

أقول وهذه الأبيات تدل على أن إقامة تبع بمكة طالت حتى بلغت شهورا عشرة
كما وردت في البيت الثاني .

١ - الخصف بسط تصنع من أوراق النخيل يستعمله الناس في الحجاز لاغراض كثيرة اهمها ماكان يفرش في البيوت
والمساجد، انظر كتابنا ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز.

وتروى النوار بنت مالك أم زيد بن ثابت رضى الله عنه قالت : رأيت على الكعبة قبل أن ألد زيد بن ثابت وأنا به نساء مطارف خز خضراء وصفراء وكرار واكسية من اكسية الأعراب وشقاق شعر والكرار هي الخيش الرقيق واحدها كر .

ويبدو ان الناس قبل الاسلام كانوا يكسون الكعبة تقريبا فكل من اراد كسوتها وضع الكسوة التى عليه فعلقها بها فكنت تجد معلقا على وجه الكعبة الاكسية من الحرير والخيش والشعر وغيرها من مختلف الثياب التى تهدي اليها وتعلق عليها . وكانت هذه الاكسية تتكاثر على الكعبة وربما حفظ بعضها فى خزانة الكعبة فاذا بلى شيء من الاكسية المعلقة عليها ازيل ووضع مكانه ، وكان الطيب يهدى الى الكعبة فتضمخ به كما يهدى اليها العود فتجمر به .

وفى وقت من الأوقات كانت قريش تفرض كسوة الكعبة على القبائل بقدر احتياجها فتسهم كل قبيلة بما فرض عليها من هذه الكسوة حتى نشأ ابوريعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان يتجرع مع اليمن فأثرى ثراء عظيما فكان يكسو الكعبة سنة وتكسوها قبائل قريش سنة ، وكان يأتي بالكسوة من أرض السكاسك باليمن وكانت هذه الكسوة حبرة جديدة واستمر على ذلك حتى مات وكانت قريش تسميه العدل لانه عدل بفعله فعل قريش كلها واستمر هذا الاسم لابنائهم من بعده فكانوا يسمون بنو العدل .

وقيل أن أول من كسى الكعبة الديباج خالد بن جعفر بن كلاب ، قالوا أنه أصاب لطيمة فى الجاهلية فيها نمط ديباج فأرسل به الى الكعبة فنيط عليها وقيل أن أول من كساها الديباج نائلة بنت حبان والدة العباس بن عبد المطلب قيل أنها اضلت ابنها العباس ، وقيل شقيقه ضرارا بن عبد المطلب فنذرت ان وجده ان تكسو البيت فردة عليها رجل من جزام فكست الكعبة ثابا بيضا .(١)

كسوة الكعبة في الاسلام

أما كسوة الكعبة في الاسلام فقد ورد أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه كساها الثياب اليمنية ثم كساها أبو بكر وعمر وعثمان القباطي ، وهي ثياب من صنع مصر كانت معروفة في ذلك الزمان ، ثم كساها الحجاج الديباج بأمر عبد الملك بن مروان .

ويبدو أن كسوة الكعبة لم تكن تتم بشكل دوري في مواعيد معينة ، لهذا فان الناس كانوا يساهمون في كسوتها فقد روى أن ابن عمر رضي الله تعالى عنه كان يكسب بدنه القباطي والخبرات كان يحرم بها فاذا كان يوم النحر نزعها ثم أرسل بها الى شيبه بن عثمان سادن البيت فناطها - علقها - على الكعبة . وروى ان عمر رضي الله تعالى عنه كان يكسو الكعبة القباطي يوصي عليها من مصر تحاك له هناك وفعل بعده ذلك عثمان فلما كان عهد معاوية كساها القباطي كما كان يفعل عمر وكساها الديباج فكانت تكسى الديباج يوم عاشوراء وتكسى القباطي في آخر شهر رمضان واجرى معاوية لها وظيفة من الطيب لكل صلاة وكان يبعث بالطيب والمجمر والخلوف في الموسم وفي رجب واخدمها معاوية عبيدا بعث بهم اليها فكانوا يخدمونها وعلى هذا فان كسوة الكعبة انتظمت في عهد عمر رضي الله تعالى عنه حيث تحاك من مصر وترسل اليها ثم صارت تكسى في عهد معاوية مرتين في العام .

وكان يزيد بن معاوية وعبد الله ابن الزبير يكسوان الكعبة الديباج المصنوع من خراسان فلما ولي عبد الملك بن مروان الخلافة كان يكسوها الديباج ويرسل به من الشام الى المدينة فينشر يوما في مسجد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه على اساطين المسجد ثم يطوى ويبعث به الى مكة وكذلك كان يبعث بالطيب والمجمر - العود - الى مسجد رسول الله ﷺ ، وكان الديباج اذا وضع على الكعبة يوم التروية علق على نصفها دون ان يخاط فتبدوا الكعبة وكأنها محرمة كما هي العادة اليوم ، فإذا اتم الناس حجهم وصدروا من منى اكملت كسوتها فإذا كان يوم العاشر من محرم اتموا الكسوة بخياطة اثواب الكعبة عليها فبدت كاملة وتبقى كسوة الديباج

على الكعبة الى آواخر رمضان فتكسى القباطي المصرية لاستقبال عيد الفطر - القباطي هي نسيج حريري من صنع مصر واليمن - فلما ولي المأمون العباسي الخلافة صار يكسوها الديباج الأحمر يوم التروية والقباطي يوم هلال رجب والديباج الأبيض في السابع والعشرين من رمضان .

وكان الخلفاء والملوك يكتبون اسماءهم على كسوة الكعبة كما هي العادة الجارية الى يومنا هذا وكانت هذه الكسوة غالبا من الديباج والقز الرقيق وبالوان مختلفة فيها الأبيض والأحمر والأصفر، وكان بعض الخلفاء والملوك يحضرون الكسوة معهم اذا حضروا للحج ويتنافسون في ذلك .

وفي سنة سبعائة وثلاثة وأربعين للهجرة اوقف عليها الملك الصالح اسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون قريتين من نواحي القاهرة يقال لهما - بيسوس وسنديس اشتراهما بماله من وكيل بيت المال ووقفها كلها على كسوة الكعبة ولم تزل تكسى من هذا الوقف كما يقول ابن حجر في فتح الباري الى سلطنة الملك المؤيد شيخ سلطان العصر .

ولقد كانت الحالة السياسية في البلاد الاسلامية تنعكس آثارها على كسوة الكعبة كما كان الحال بالنسبة للخطبة والدعاء للخليفة مما سلف تفصيله في حديثنا عن المنبر والخطبة في المسجد الحرام فكان صاحب النفوذ الأكبر من السلاطين والملوك هو الذي تقدم كسوته فيكسى بها البيت الحرام فلقد ذكرنا ماكان من أمر إرسال الكسوة من مصر من ريع القريتين اللتين اوقفهما الملك الصالح إسماعيل لهذا الغرض ، ولقد حاول ملك الشرق شاه بروخ في عهد سلطنة الملك الأشرف برسبائي أن يكسو الكعبة وطلب الأذن له بذلك من الملك الأشرف فلم يقبل فراسله أن يسمح له بكسوة الكعبة من الداخل فأبى فكتب إليه مرة أخرى أن يرسل الكسوة إليه وهو يرسلها من قبله وتكسى بها الكعبة ولو يوما واحدا لانه نذر كسوتها ويريد الوفاء بنذره ، قالوا واستفتى الملك الأشراف علماء العصر فتوقف الكثيرون منهم عن الجواب ، وافتي بعضهم بعدم الجواز مالا لهُوى السلطان وقال

بعضهم ان خشي الفتنة فيجاء منعاً للضرر، وتوفى الملك الأشرف دون ان يسمح لسلطان الشرق بالوفاء بنذره .

وفي بعض الاحيان كانت تكسى الكعبة من قبل ملكين من ملوك المسلمين في وقت واحد كما حدث لكسوة نظام الملك وزير السلطان ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي فأرسل بها الى مكة وجعلت فوق كسوة ابي النصر .
وكان للملوك اليمن دور في هذا التنافس بين ملوك المسلمين فكانوا يرسلون بالكسوة الى الكعبة فتكسى بها اذا كانت القوة والنفوذ في ركاهم او تحفظ ويظفر بالكسوة صاحب القوة والسلطان .

وكانت بعض الكساوى توضع في داخل الكعبة ، بل ان الكعبة كانت تكسى من الداخل ولكن لبس بصورة منتظمة ، كما تكسى الحجرة النبوية بالمسجد النبوي الشريف بصورة غير منتظمة . ولكن مايلفت النظر ان الوقفية التى اوقفها الملك الصالح اسماعيل بن الناصر قلاوون استمرت دهورا طويلة حتى حينما تحولت السلطة الى الخلافة العثمانية فقد ابقى سلاطين العثمانيين المتعاقبين على هذه الوقفية بل وزاد السلطان سليمان بن السلطان سليم خان عدة قرى بمصر ووقفها كذلك على كسوة الكعبة الشريفة وهى سبع قرى ذكرها مؤلف مرآة الحرمين وذكر اسماءها .

وفي عهد محمد علي باشا خديوى مصر جرى حل هذه الوقفية فى أوائل القرن الثالث عشر للهجرة وتعهدت الحكومة المصرية بصنع الكسوة من مالها العام يقول المؤلف ولا يزال ذلك دأبها الى الآن .

ومن اطراف الحوادث التى تتعلق بالكسوة ان هذه الكسوة كانت تصل مع ركب الحجاج المصريين وتحفظ ضمن امتعتهم وقد سرقت بعض أجزاء الكسوة فى أحد الاعوام ولم يستطع أمير الحج المصرى إسترداد هذه الأجزاء إلا بعد أن بذل المال الكثير فى سبيل هذه الغاية ، وبعدها صار العمل على تسليم الكسوة لسدنة بيت

الله الحرام لحفظها لديهم إلى أن يحين وقت أسداها على البيت الحرام . (١)

مصر تمتنع عن إرسال الكسوة

ولقد اورد المؤلف صورة الوقفية الخاصة بهذه القرى التى اوقفها الملك الصالح اسماعيل والسلطان سليمان خان العثمانى ، كما اورد ماتغله هذه القرى من المال وهو يكفى لكسوة البيت فى كل عام وكسوة الحجرة النبوية الشريفة وكسوة داخل الكعبة فى كل خمسة عشر عاما مرة بل وتفيض كثيرا كما ذكر ان حل هذا الوقف من قبل محمد علي باشا والى مصر فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى نتج عنه امتناع خديوى مصر عن إرسال الكسوة كما حدث فى عهد الشريف الملك حسين بن علي وكذلك فى اوائل عهد جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود وتفصيل ذلك .

ان اختلافا وقع بين الحكومة المصرية وحكومة الشريف الحسين بن علي ملك الحجاز فى سنة ١٣٤١ يقول المؤلف فلما وصل المحمل المصرى فى باخرة خاصة الى جدة وكان معه كسوة الكعبة وحنطة الجراية وحرس المحمل وبعثة طبية منع الشريف الحسين دخول البعثة الطبية الى مكة المكرمة فعادت الباخرة التى تحمل الكسوة الشريفة وحنطة الجراية وما يتبعها من الصرر والصدقات وذلك فى آخر شهر ذى القعدة من سنة ١٣٤١ للهجرة ، ولقد استطاع الشريف الحسين التغلب على الوضع الخاص بالكسوة فابرق الى أمير المدينة المنورة ان يرسل كسوة الكعبة الشريفة التى كانت الحكومة التركية اودعتها فى المدينة الى ثغر ارباب على وجه السرعة وأرسل الحسين احدى بواخره المسماة رشدي الى ثغر ارباب لنقل الكسوة الى جدة ومن ثم جرى الاسراع بنقلها الى مكة المكرمة وتم كل هذا فى سرية تامة وفى سرعة بالغة فكانت الكسوة معلقة على الكعبة المعظمة فى اليوم العاشر من ذى الحجة .

يقول المؤلف ، وقد حدثت ضجة عظيمة فى مصر وتساءلت الصحافة المصرية

١ - ٢٤٩١ - ٢٧٠ تاريخ الكعبة المعظمة،

كيف امكن عمل الكسوة واحضارها في عشرة ايام ولم يدر بخلد الصحافة المصرية ان الكسوة كانت موجودة بالمدينة المنورة من العهد التركى حيث قامت الحكومة التركية بصنع كسوة متقنة للكعبة ظنا منها ان الحكومة الانجليزية ستمنع وصول الكسوة الى الكعبة بعد دخول تركيا الحرب مع المانيا ضدها بعد اعلانها الحماية على مصر وارسلت هذه الكسوة بالسكة الحديدية برا الى المدينة المنورة ولكن الحكومة المصرية لم تمنع إرسال الكسوة المعتادة بل ارسلتها وكتبت عليها اسم السلطان حسين كامل سلطان مصر فاتفق الشريف الحسين مع الوالي التركي في مكة على نزع اسم السلطان حسين ووضع اسم السلطان محمد رشاد خان العثماني وقام آل الشيبى بهذا العمل وبقيت الكسوة التركية بالمدينة المنورة فقام الحسين باحضارها بينما كان المصريون حائرين كيف استطاع معمل للنسيج في رابغ ان يصنع الكسوة في عشرة ايام بينما لا تستطيع مصانع اوربا صنع ذلك في شهور، وكان مراسل رويتر في جدة قد ابرق بوصول الكسوة من ميناء رابغ. هذا وقد سارع الشريف الحسين بعمل الكسوة للكعبة الشريفة في العراق وجرى نسجها من القيلان وكسيت بها الكعبة في عام ١٣٤٢ لان حكومة مصر امتنعت عن ارسالها، وفي عام ١٣٤٣ استولى جلاله الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود على مكة المكرمة واستمرت الحرب الى منتصف جمادى الآخرة عام ١٣٤٤ فكسيت الكعبة بالكسوة المصنوعة من القيلان التى صنعها الشريف الحسين لها في عام ١٣٤٣ هـ.

وبعثت الحكومة المصرية الكسوة في عام ١٣٤٤ ولكن حدثت حادثة المحمل في موسم حج ذلك العام بمنى وكادت ان تكون معركة حربية بين الجنود المصريين وجموع الاخوان من أهل نجد الذين ثاروا لرؤية البدع ممثلة في المحمل المصرى والحجاج يتبركون به وبالجمل الذى يحمله الامر الذى يعتبر مجافيا لصفاء العقيدة الاسلامية وسلامتها، وتطور الامر الى استعمال السلاح من قبل جنود المحمل المصرى والاخوان، وما ان علم الملك عبدالعزيز رحمه الله بالامر حتى سارع بنفسه

فوقف في ميدان المعركة معرضاً نفسه للخطر وطلب من جموع الاخوان اغماض سلاحهم والعودة الى السكينة حفاظاً على أرواح الحجاج وعلى حرمة المشعر الحرام . وكان ذلك في ليلة التاسع من ذى الحجة ومقدوفات حرس المحمل المصرى من مدافع ورشاشات وبنادق تمطر نيرانها هنا وهناك حتى امكن تغليب الحكمة وسكون الحال .

وفي العام التالى ١٣٤٥ هـ لم تبعث الحكومة المصرية بالكسوة فسارعت الحكومة السعودية ممثلة في شخص الشيخ عبدالله السليمان وزير المالية بعمل كسوة مؤقته للكعبة من الجوخ الأسود الفاخر ومبطنة بالقلع القوى ، كما صنع الحزام المعتاد للكعبة والمكتوب عليه الآيات باسلاك الذهب والفضة وكذلك ستارة باب الكعبة ولم يأت العاشر من ذى الحجة الا وكانت هذه لكسوة قد علفت على الكعبة المعظمة وتم هذا كله في بضعة أيام وهكذا فان عزائم الرجال تخلق المستحيل (١)

انشاء مصنع الكسوة بمكة المكرمة

لما رأى جلالة الملك عبد العزيز ان موضوع كسوة البيت قد دخل في اعمال السياسة امر بإنشاء دار خاصة لكسوة الكعبة المعظمة في مكة المكرمة ، وأولى وزير المالية الشيخ عبدالله السليمان اهتمامه للأمر فبنيت دار خاصة للكسوة على أرض مساحتها ألفاً وخمسمائة متر بمحلة اجياد وتم البناء خلال ستة شهور ، واستقدم عمال الحياكة كما استقدمت المواد اللازمة للكسوة وتطريزها من الهند كما استوردت الأنوال الخاصة للحياكة وعددها اثني عشر نولاً ، كما بلغ عدد الصناع من النساجين والمطرزين أربعين عاملاً وعشرين تابعاً وعين الشيخ عبدالرحمن مظهر الموظف اذ ذاك مترجماً بوزارة الخارجية مديراً لدار الكسوة وكان الشيخ اسماعيل الغزنوي احد علماء الهند هو الذى اشرف على استيراد الأنوال والعمال الخاصتين بالعمل وتمت حياكة الثوب الجديد للكعبة بنفس الجودة والاتقان التى كانت ترد بها

١ - ٢٧٠ - ٢٩٣ تاريخ الكعبة المعظمة

الكسوة من مصر وكتب عليه اسم الملك عبدالعزيز رحمه الله ولم يحل موسم الحج إلا وكانت الكسوة المصنوعة في مكة المكرمة حاضرة لتعلق على الكعبة المشرفة في موعدها المعتاد كل عام .

وفي عام ١٣٤٧ هـ عينت الحكومة السعودية مديرا لدار الكسوة ويدعى الحاج محمد خان واشترطت عليه تعليم العمال السعوديين وتدريبهم وتم بالفعل إلحاق الشباب الراغبين في تعلم هذه الصناعة بالدار وفي عام ١٣٥٢ هـ أصبح جميع عمال الدار من الشباب السعودي وقد اتقنوا هذه الصناعة اتقاناً كاملاً بحمد الله .
اقول وقد تم بناء دار عظيمة للكسوة في مدخل مدينة مكة المكرمة قبل بضعة اعوام وهي تابعة في ادارتها لوزارة الحج والأوقاف وتقوم هذه الدار بصنع كسوة الكعبة الشريفة ومايتبعها في كل عام . (١)



باب الكعبة

قيل أن أول من جعل للكعبة بابا ملك اليمن واستدل على ذلك بما جاء في الشعر الذي روى عنه .

واقمنا به من الشهر عشرا وجعلنا لبابه اقليدا

ولقد كان بناء تبع للبيت قبل بناء قريش لها ، فلما عمرتها قريش جعلت لها بابا بمصراعين ولما بنى ابن الزبير الكعبة جعل لها بابا بمصراعين وكان طول ذلك الباب أحد عشر ذراعا ، فلما اعاد الحجاج بناء الكعبة على ما كانت عليه قبل بناء ابن الزبير لها ردم وبنى تحت بابها فجعل الباب ستة اذرع وشبر .

وفي سنة مائة واربع وتسعين للهجرة ارسل الخليفة الأمين محمد بن هارون الرشيد ثمانية عشر ألف دينار الى سالم بن الجراح عامله على الصوافي في مكة وأمره ان يجعلها صفائح على باب الكعبة ، فقلع عامل الأمين ما كان من الصفائح على باب الكعبة وزاد عليها من الثمانية عشر ألف دينار التي ارسلها الامين فضرب على الباب الصفائح والمسامير وكذلك على حلقتي باب الكعبة وعلى الفيازير والعتب .

ووصف الارزقي باب الكعبة في عصره في اوائل القرن الثالث فذكر أن طوله ستة أذرع وعشرة اصابع وعرض مابين درفتي الباب ثلاثة اذرع وثمانى عشرة

اصبعا. والباب من خشب الساج المتين وملبس بصفائح الذهب المنقوش، وعلى الباب أربعة عشرة حلقة من حديد مموهة بالفضة في كل درفة سبع حلقات. والمسامير المضروبة على الباب مموهة بالذهب المنقوش، وباطن الباب ملبس بالفضة.

وبعث المعتصم العباسي في سنة ٢١٩ للهجرة قفلا للكعبة ثمنه ألف دينار وارسل الى الحجة عامل مكة صالح بن العباس فدعاهم ليقبضوا القفل الذي ارسله المعتصم ويسلموه القفل القديم على باب الكعبة ليرسله الى الخليفة فابوا وطلبوا منه ان يأذن لهم بالخروج الى الخليفة فخرجوا اليه وكلموه فترك لهم قفلها واعطاهم القفل الذي بعث به اليها فقسموه بينهم، اقول ولعل الاصح انه ترك لهم القفل القديم فقسموه بينهم.

وفي سنة خمسائة وخمسين للهجرة بعث المقتفي العباسي بابا للكعبة مصفحا بالنقرة المذهبة واخذ المقتفي الباب الذي كان قائما على الكعبة فصنع منه تابوتا لنفسه اوصى ان يدفن فيه اذا مات وقيل ان الباب الأول عمل منه تابوت لوزير المقتفي جمال الدين المعروف بالجواد وحمل فيه الى المدينة ودفن بها. هذا وقد تنافس الملوك والخلفاء في صنع الأبواب للكعبة عبر عصور التاريخ ونحن نذكر هنا بعضا منها.

صنع الملك المظفر صاحب اليمن بابا للكعبة وعليه صفائح الفضة وقد بلغت زنتها ستون رطلا ولم يذكر الفاسي تاريخ هذا الباب.

وفي سنة سبعمائة وثلاثة وعشرين صنع الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر بابا للكعبة مصفحا بالفضة وكان عليه من الفضة خمسة وثلاثين الفا وثلاثمائة درهم والباب مصنوع من خشب السنط الأحمر، وقد امر صاحب مصر بقلع الباب الذي صنعه الملك المظفر صاحب اليمن وتركيب الباب الذي ارسله قلاوون بدلا منه.

وفي سنة سبعمائة وواحد وستين امر الملك الناصر حسن بن الناصر قلاوون بصنع باب الكعبة بمكة المكرمة وهو من خشب الساج وما لبث ان قلع منها في سنة

سبعمائة وست وسبعين لتحليته واعيد اليها الباب الذى صنعه ابوالمملك الناصر قلاوون ثم اعيد الباب الذى صنعه الناصر حسن بعد اتمام تحليته فى سنة سبعمائة وواحد وثمانين وهذا الباب كان يحمل اسم الملك الناصر محمد بن قلاوون فى اسفله واسم حفيده الملك الاشرف شعبان حسين فى بعض فبادين الباب وفى جانب آخر من الباب كتب اسم الملك المؤيد ابنى النصر شيخ صاحب مصر ومالبث ان حضر بعض خواص الملك المؤيد للحج فى سنة ثمانمائة وستة عشر فاضاف حلية الى جانب آخر من باب الكعبة من الفضة وطلاها بالذهب وكتب عليها اسم الملك المؤيد .

وهكذا نرى الملوك يتنافسون فى نقش اسمائهم على باب الكعبة ويغيرون أبوابها ليكون لهم شرف ذكر اسمائهم على هذه الأبواب حتى رأينا بابا واحداً يكتب عليه اسماء اربعة من ملوك مصر .

سرقة الفضة من أبواب الكعبة

وذكر قطب الدين فى الاعلام انه ادرك الباب الشريف مصفحا بالفضة ، قال وكان يجتلس من فضته اوقات الغفلة من قل دينه وخفت يده الى ان انكشف سفل الباب الشريف عن خشب الباب ، وقبض على من يفعل ذلك اكثر من مرة كما يقول قطب الدين المكى فى الاعلام وحبسوا وبهدلوا ، وجرى عرض الأمر على السلطان سليمان خان فى سنة تسعمائة وستة عشر فامر بتصفيح الباب الشريف بالفضة بعد ان اخرجوا الفضة التى كانت مصفحة على الباب وزادوا عليه فضة اخرى وجعلت صفائح وسمرت بمسامير الفضة وصفحت الفضة بالذهب .

باب الكعبة فى العهد العثمانى

فى سنة تسعمائة وثلاثة وخمسين امر السلطان سليمان العثمانى بقلع الباب الذى عمله السلطان محمد بن قلاوون وعمل بابا غيره حلاه بحلية كثيرة . وفى سنة ألف وأربع وأربعين امر السلطان مراد خان بن السلطان أحمد والى مصر ان يصلح ما وقع فى سطح الكعبة المشرفة من الخلل وان يجعل لها بابا جديدا وان يرسل اليه الباب

القديم، وفي السابع عشر من ربيع الأول سنة خمس وأربعين بعد الألف وصل مندوب السلطان لهذا الغرض وجرى قلع باب الكعبة ووضع محله بابا من الخشب لم يكن محلى بشيء بل وضعت عليه ستارة بيضاء، وقد وزنت الفضة التي كانت على الباب المقلوع فبلغت زنتها مائة وأربعة وأربعين رطلا، وقد استعملت هذه الفضة في تحلية باب جديد للكعبة كتب عليه اسم السلطان مراد خان بن السلطان أحمد خان وتم تركيب هذا الباب في شهر رمضان من سنة خمس وأربعين بعد الألف وأرسل الباب القديم الى السلطان مراد، وجدد السلطان أحمد خان حلية باب الكعبة في سنة ألف ومائة وتسعة عشر وكتبوا تاريخ التجديد مضافا إليه اسم السلطان أحمد خان.

يقول المؤلف وهذا الباب الأخير الذى عمله السلطان مراد خان هو الباب الموجود على الكعبة المشرفة في العصر الحاضر وهو الذى تم تركيبه في شهر رمضان من سنة خمس وأربعين بعد الألف.

أقول هذا ما ذكره المؤلف الشيخ باسلامه في الخمسينات من القرن الرابع عشر للهجرة وهو يدل على إن هذا الباب الأخير الذى صنع بأمر السلطان مراد خان قد استمر مركبا على الكعبة ما يزيد عن أربعة قرون.

ولقد تم صنع أكثر من باب للكعبة المشرفة في العهد السعودى وكان آخرها الباب الذى امر بصنعه المرحوم الملك خالد بن عبدالعزيز رحمه الله وقد استعمل فيه كثير من الذهب مع ارتفاع اسعارة وعلوائه في العصر الحاضر، وحبذا لو استطعنا الحصول على المعلومات التاريخية الصحيحة الخاصة بهذا الموضوع وامثاله مما تم في المسجد الحرام والكعبة المعظمة لوصل ما انقطع من هذا التاريخ الهام لعمارة المسجد الحرام والكعبة المعظمة بعد كتابي الشيخ حسن باسلامه رحمة الله عنهما. (١)

بعد كتابة ما تقدم اطلعت على الكتيب الذى اصدرته وزارة الحج والأوقاف في

٢٢ العقدة سنة ١٣٩٩ هـ عن أبواب الكعبة في العهد السعودى وخاصة الباب الحالى الذى صنع فى عهد المرحوم الملك خالد ابن عبدالعزيز ومن هذا الكتيب نقلنا المعلومات التالية.

باب الكعبة فى العهد السعودى

الباب الأول فى عهد الملك عبدالعزيز

فى عام ١٣٦٤ هـ أمر جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود بصنع باب للكعبة المعظمة وتم صنع الباب المذكور من الالمنيوم بسماكة ٢,٥ سم وبمقياس ١٦٨×٣١٠ ستمتر ويتكون الباب المذكور من درفتين تتألف كل درفة من ثلاث قطع طولية تم صبها وتجهيزها فى مكة المكرمة واستخدمت قضبان الحديد من خلف كل درفة لدعمها وربط القطع بعضها ببعض وهى ظاهرة من الخلف، كما ترتبط كل درفة بثلاث مفصلات من الحديد الصلب مثبتة على اطار- حلق من الحديد المتين - وتم صنع الوجه الخارجى للباب من الواح الفضة الخالصة المطلية بالذهب والمثبت على قاعدة خشبية من خشب التيك بسماكة ٢٥ سم.

وقد صنعت الزخرفة ولوحات الخطوط فى محل شيخ الصاغة بمكة المكرمة فى ذلك الوقت المرحوم محمود يوسف بدر وبإشرافه كما قام بوضع الرسم والخط الشيخ عبدالرحيم أمين.

أما الجوانب فكانت مصنوعة أول الأمر من الخشب الجاوى سماكة ٦ سم وفوقها كذلك الزخرفة واللوحات التى تحمل اسماء الله الحسنى بشكل يضىو وعددها ثلاثة عشر لوحة من الفضة المطلية بالذهب، وقد استغرق صنع الباب المذكور ثلاث سنوات وفى عام ١٣٩٥ هـ جرى تغيير القاعدة الخشبية لجوانب الباب حيث استبدلت بها صفائح من الالمنيوم المسكوب وذلك بعد فك اللوحات التى تحمل اسماء الله الحسنى والزخرفة واعادتها الى وضعها السابق.

الباب الثانى فى عهد الملك

خالد بن عبدالعزيز

ظل الباب الذى امر بصنعه الملك عبدالعزيز ثلاثة وثلاثين عاما قائما فى مكانه

من الكعبة المعظمة . وفي شهر جمادى الأولى من عام ١٣٩٧ هـ تشرف المحرم الملك خالد ابن عبدالعزيز بالصلاة في جوف الكعبة المعظمة فلاحظ قدم الباب وجوب تغييره فاصدر امره الى وزير الحج والأوقاف بان يتم صنع باب للكعبة المعظمة الخارجى وكذلك الباب الداخلى للكعبة - باب التوبة من الذهب الخالص

تصميم الباب

اتفقت وزارة الحج والاوقاف مع المهندس المعمارى المسلم منير الجندى اخصائى التصميمات والعمارة الاسلاميه للمشاركة فى التصميمات والدراسات الخاصة بالباين ومتابعة التنفيذ وقد بلغت قيمة الدراسات ثلاثمائة الف ريال . وقد تم اختيار التصميم النهائى الذى روعي فيه ان يكون منسجما مع الزخرفة التى تتميز بها ستارة الباب وكان خط الثلث هو العنصر الهام المميز فى هذه الزخرفة .

وروعي صنع دوائر لكتابة الآيات القرآنية الكريمة مع إضافات الزخاف فى الزوايا العلوية بحيث يبدو الباب غنيا بالفن الاسلامي بزخارفه العريقة وقد قام بكتابة الخطوط الشيخ عبدالرحيم أمين الذى تولى خطوط الباب السابق فى عهد الملك عبدالعزيز رحمه الله ، وكان اهتمام صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبدالعزيز - جلالة الملك فهد - فى ذلك الوقت عظيما فى اختيار التصميم الأمثل ومتابعة تنفيذ العمل حيث قام سموه بزيارة موقع العمل الذى عهدت به الدولة الى أحمد إبراهيم بدر شيخ الصاغة بمكة المكرمة والذى أقام ورشة خاصة لصناعة البابين . وكتبت اسماء الله الحسنى وعددها خمسة عشر فى دوائر فوق الباب وفى جانبه الايمن والايسر .

وكتبت الآيات القرآنية الكريمة على لوحات من الذهب الخالص مزخرفة بطريقة النقش . ويبلغ ارتفاع باب الكعبة المشرفة اكثر قليلا من ثلاثة امتار ويقارب عرضه المترين اما سهاكة الباب فتبلغ نصف متر وهو مكون من درفتين ،

ويتألف هيكل الباب من قاعدة خشبية سمكها عشرة سنتمترات من خشب التيك ووزنه النوعي ٨, ٤٠ سم ٢ وزودت نهاية الباب بعارضة من الأسفل لمنع دخول المطر الى داخل الكعبة المشرفة وتحتوى على قضيب خاص يضغط حرف الباب على العتبة عند الاغلاق .

وقد ثبتت صفائح الذهب على هذه القاعدة الخشبية بوضع مادة لاصقة ركبت بطريقة تضمن استمرار التصاق الذهب بالخشب الى فترة غير محدودة وتم كذلك صنع قفل الباب بنفس مواصفات القفل القديم مع تناسب التصميم الخاص بالباب الجديد . ولكى يتم تركيب الباب بسهولة اعد اطار من الصلب صنع خصيصا وثبتت عليه المفصلات بحيث تتحمل كل درفة مايزيد على خمسمائة كيلو جرام وجهزت المفصلات على عجلات دائرية لسهولة الحركة .

باب التوبة

اما الباب الداخلى الكعبة المشرفة وهو باب التوبة فقد جرى تصميمه مطابقا للباب الرئيسى من حيث الزخرفة وطريقة الكتابة بحيث يظهر التجانس بين البابين وبلغ إرتفاع باب التوبة ٣٠, ٢ مترين وثلاثين سنتما وعرضه ٧٠ سم وصنعت قاعدته من نفس الخشب ولكنه اقل سماكة من باب الكعبة بمقدار سبعة سنتمترات .

التكاليف

وقد بلغت تكاليف صنع البابين ثلاثة عشر مليوناً واربعمائة وعشرين ألف ريال خلاف قيمة الذهب الذى قدمته مؤسسة النقد العربى السعودى والذى بلغ مائتين وثمانين كيلو جراما عيار ٩٩٩, ٩ .

مدة الصنع

بدأ العمل فى صنع البابين اعتبارا من غرة ذى الحجة ١٣٩٨ هـ واستغرق العمل عاما كاملا

الكتابة التى على الباب

اسماء الله

يا نافع	يا مانع	يا واسع	فوق الباب
يا حلیم	يا علیم	يا عالم	الجانب الايمن
يا رحیم	يا حكیم	يا عظیم	
يا حمید	يا مغنی	يا غنی	الجانب الأيسر
يا مستعان	يا سبحان	يا مجید	

واضيفت فى الزاويتين العلويتين زخارف متميزة لابرز شكل قوس محيط بلفظ
الجلالة - الله جل جلاله واسم رسول الله - محمد ﷺ
والآيات القرآنية الكريمة.

بسم الله الرحمن الرحيم
ادخلوها بسلام آمين، جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر
الحرام.

رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا ، كتب ربكم على نفسه الرحمة ، وقال ربكم ادعوني أستجب لكم .
وبلي ذلك حشوتان على شكل شمسيتين مشرقتين وسطهما كتابة «لا إله إلا الله
محمد رسول ﷺ» على شكل بروز دائرى . وكتب تحت الحشوتين العلويتين
الآية الكريمة .

«قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر
الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم» .

كما كتبت العبارات التاريخية التالية بخط صغير :

«صنع الباب السابق فى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالعزيز بن
عبدالرحمن آل سعود سنة ١٣٦٣ هـ» .

وتحتها «صنع هذا الباب فى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك خالد بن

عبدالعزیز آل سعود سنة ١٣٩٩ هـ .

وكتب فی الدرفة الیمنی تشرف بافتتاحه بعون الله تعالى الملك خالد بن عبدالعزیز آل سعود فی الثانی والعشرین من ذی العقدة سنة ١٣٩٩ هـ
وفی الدرفة الیسری «صنعه أحمد إبراهیم بدریمكة المکرمة ، صممه منیر الجندی ، واضع الخط عبدالرحیم أمین .
وقد تم صنع هذا الباب بإشراف مباشر من معالی وزیر الحج والأوقاف الشیخ عبدالوهاب عبدالواسع الذی عهد الیه جلالة المرحوم الملك خالد بهذا العمل التاریخی العظیم .
والباب المذكور هو الباب الحالي للکعبة المعظمة .

الحفرة التي امام الكعبة

الحفرة التي امام الكعبة المعظمة من الجهة الشرقية بین الركن الشامي وباب الكعبة والتي تسمى فی الوقت الحاضر - المعجن - وردت فیها روايات كثيرة أشهرها رواية تقول انها المصلی الذی صلی فیہ جبریل بالنبی ﷺ حين فرضت علیه الصلوات الخمس ، وهناك رواية تقول انها موضع حجر مقام ابراهیم بعد بنائه للکعبة المشرفة وان النبی ﷺ هو الذی أخر المقام بعد ذلك وقیل فی سبب تسميتها بالمعجن انها المكان الذی عجن اسماعیل فیہ الطین لبناء الكعبة حين بناء البيت المعظم یقول المؤلف ولا یوجد ما یؤید صحة هذا الخبر ، وقد ذکر ابن جبر فی رحلته سنة خمسائة وثمانية وسبعین انها كانت مصباً للماء الذی تغسل به الكعبة ولم یقل بذلك احد غیره وربما ظن ابن جبر ذلك حينما رأى الماء الذی تغسل به الكعبة یتجمع فیها .

وتبلغ مساحة هذه الحفرة أربعة اذرع طولاً من الشمال الى الجنوب وعرضها من الشرق الى جدار الكعبة ذراعان وسدس ذراع وعمقها نصف ذراع كل ذلك بذراع الحديد .

وقد امر بتلييسها بالرخام ابو جعفر المنصور المستنصر بالله سنة ست مائة وواحد وثلاثين كما هو مثبت في لوحة بها كما ورد في تحصيل المرام للقطبي .

ميزاب الكعبة

أول من وضع ميزابا للكعبة قريش حين قامت ببنائها قبل خمس سنوات من البعثة النبوية ذلك ان بناء الخليل ابراهيم للكعبة لم يجعل لها سقفا ولهذا فلم تكن هناك حاجة للميزاب وفي بناء ابن الزبير للكعبة وضع لها ميزابا وجعله يصب في حجر اسماعيل وكذلك فعل الحجاج بن يوسف وأول من حلّى الميزاب بالذهب الوليد بن عبد الملك ونذكر هنا شيئا عن الميزاب في العهود المختلفة .

١ - ذكر الأزرقى ان الشريف رميثة صاحب مكة عمل ميزابا للكعبة طوله أربعة اذرع وسعته ثمانية اصابع في ارتفاع مثلها وان هذا الميزاب كان ملبسا بصفائح الذهب من داخله وخارجه .

٢ - ارسل رامشت بن الحسين الفارسي صاحب الرباط المشهور بمكة في سنة خمس مائة وتسع وثلاثين ميزابا وركب في الكعبة في هذا العام ويبدو ان الميزاب السابق كان قد تلف .

٣ - في سنة خمس مائة وواحد وأربعين أرسل الخليفة العباسي المقتفي ميزابا ركب بالكعبة وقلع الميزاب الذي كان ركه رامشت الفارسي .

٤ - كذلك ارسل الناصر العباسي ميزابا كتب عليه اسمه وهو من خشب مبطن بالرصاص في موضع جريان الماء وظاهره محلى بالفضة .

٥ - قام سبودون باشا بتعمير الميزاب ضمن العمارة التي اجراها في المسجد الحرام سنة سبعمائة وواحد وثمانين .

٦ - امر السلطان سليم بعمل ميزاب حليّ بالفضة وطلاي بالذهب وركب في سنة تسعمائة وتسع وخمسين وامر السلطان بنقل الميزاب القديم الى خزانة الروم فتعرض

له بنو شيبه - سدنة البيت - فاعطوا مقابلته فضة بوزنه من بندر جدة وقد قدر الوالي والقاضي قيمة ذلك بالفين وثمانمائة درهم فضة .

٧ - ارسل السلطان أحمد خان ميزابا في سنة ١٠٢٠ وتم تركيبه في عمارة السلطان مراد بعد عشرين عاما من إرساله كما اسلفنا بيانه .

٨ - آخر ميزاب مركب في الكعبة هو الميزاب الذي بعثه السلطان عبدالمجيد خان ابن السلطان محمود خان وقد صنع هذا الميزاب في القسطنطينية وجاء به الحاج رضا باشا وركب في سنة الف ومائتين وست وسبعين للهجرة في ولاية أمير مكة الشريف عبدالله بن محمد بن عون ، وحمل الميزاب القديم الى الأبواب العالية ، والميزاب الجديد مصفح بالذهب ويقدر وزنه بنحو خمسين رطلا .

وهذا الميزاب هو الموجود في الكعبة الى العصر الحاضر كما يقول الشيخ باسلامه حيث لم يحدثنا التاريخ انه وضع ميزاب بعد هذا الميزاب والله اعلم . (١)

حجر إسماعيل

حجر إسماعيل هو الحائط المبني على شكل نصف دائرة والواقع شمال الكعبة ، جاء في تاريخ الأزرقى إن إبراهيم عليه السلام جعل الحجر الى جنب البيت عريشا من أراك تفتحمه العنز ، وقيل انه كان زربا لغنم اسماعيل . ومساحة المستقيم من الحجر كما ذرعه الشيخ باسلامه في عام ١٣٥٢ للهجرة تسعة اذرع بذراع اليد منها ستة اذرع وشبر تعتبر من داخل الكعبة لان هذه الستة اذرع هي التي تركتها قريش من البيت حين بنائه لقصور النفقة لديهم ، ولما بنى ابن الزبير البيت ادخلها فيه ثم جاء الحجاج فنقض بناء ابن الزبير واعاد الحجر الى ماكان عليه في بناء قريش وقد سبق تفصيل كل ذلك ، وآخر مرة بنى فيها الحجر في عصر السلطان عبدالمجيد خان الثاني سنة الف ومائتين وستين للهجرة .

ولا يجوز الطواف من داخل الحجر كما اسلفنا من ان ستة اذرع وشبر منه تعتبر من البيت - وهذه المساحة هي الملاصقة للجدار الشمالي للكعبة والتي هي في الوقت

١ - « ١٩٠ - ١٩٣ تاريخ الكعبة المعظمة »

الحاضر تعتبر مدخلا الى الحجر اما بقية المساحة فهي الحجر .
وقد سمي بعض المؤرخين الحجر بالحطيم وعللوا ذلك بانه مال حطم من
الكعبة ولم يدخل فيها بينما ذكر بعض المؤرخين ان الحطيم هو ما بين الركن الأسود
والمقام وزمزم لان الناس يزدهمون على الدعاء فيه ويحطم بعضهم حطما، والدعاء
فيه مستجاب .

وقد تواترت روايات كثيرة ان اسماعيل عليه السلام دفن في الحجر بجوار امه
هاجر ولكن الشيخ باسلامه يقول انه لا يوجد ما يثبت صحة ذلك رغم تواتر روايات
المؤرخين له ويعزى ذلك الى طول المدة بين بناء إبراهيم عليه السلام للبيت وبين
العهد الاسلامي حيث أن بناء إبراهيم عليه السلام للبيت كان قبل الف عام .
وأول من زين حجر اسماعيل بالرخام هو الخليفة ابو جعفر المنصور العباسي في
عام ١٤٠ هـ وجدده الخليفة المهدي العباسي في سنة ١٦١ وفي عام ٢٤١ امر
بتجديده الخليفة المتوكل العباسي بعد ان رث رخامه، وفي هذا العام ٢٤١ بعث
أحمد بن طريف مولى العباس بن محمد الهاشمي الرخامة الخضراء التي في الحجر
تحت الميزاب وبعث معها رخامة اخرى خضراء وضعت في سطح الكعبة وقد
وصفت الرخامة الخضراء هذه بانها من الرخام الثمين النادر .

وفي عام ٢٨٣ عمر الحجر المعتضد العباسي والبسه الرخام من داخله وخارجه
كما عمره الناصر العباسي وفرشه بالرخام في سنة ٥٧٦ .
وقد توالى تعمير الحجر وتزيينه على مدى عصور التاريخ من خلفاء المسلمين
وملوكهم فكان من بينهم الملك المظفر صاحب اليمن، والناصر محمد بن قلاوون في
سنة ٧٨١ والملك الظاهر برقوق صاحب مصر في سنة ٨٠١ وأبو النصر قانصوه
الغوري في سنة ٩١٧ . وفي سنة ٨٢٢ عمره القائد علاء الدين عمارة حسنة وكان
قد تداعى للسقوط وفي سنة ٨٢٦ عمره بامر زين الدين مقبل القديدي بالجبس
واصلح الكثير من رخامه . وفي سنة ٨٣٣ احضر سودون المحمدي ستين ذراعا من
الرخام من مصر لتعمير الحجر .

قال التقي الفاسي وقد خفي علينا شيء كثير من خبر عمارة الحجر من دولة المعتضد العباسي الى خلافة الناصر فانه لا يبعد ان يخلو في هذا الزمن الطويل من عمارة والله اعلم .

ثم قال ومن عمره الوزير جمال الدين المعروف بالجواد وذلك في عشر الخمسين وخمسائة وذكر نجم الدين بن فهد القرشي في حوادث سنة ٨٨١ انه تم تغيير رخام الحجر داخلا وخارجا ولم يذكر العامل لذلك .

وجاء في الارج المكي لعلي بن عبد القادر الطبري وعمره - الحجر - من ملوك آل عثمان السلطان محمد خان بن السلطان مراد خان كما عمره السلطان مراد خان بن السلطان أحمد خان في سنة ١٠٤٠ والسلطان عبد المجيد خان في سنة ١٢٦٠ وفي سنة ٩١٦ اصدر السلطان الغوري أمره بهدم الحجر واعادة بنائه يقول ابن فهد القرشي وكان الحجر كله بالرخام داخلا وخارجا ولم يكن به ما يعاب الا أن الله قدر بالتلاعب فبنى من داخله بالحجارة ومن خارجه بالرخام فظهر الخلل فيه في سنة ٩١٧ فارسل السلطان رخاما ومرمخين بالبحر وصلوا مكة في آخر رمضان وشرعوا في يومهم في اعادته بالأجر والرماد ثم نقض ذلك ثاني يوم واعيد الحجارة والجبس والرصاص وكتب على علوه في الرخام الأبيض اسماء من عمروه من الملوك وتاريخ عماراتهم وعمارته الاخيرة .

كسوة الحجر

وأرسل جقمق الجركسي في القرن التاسع كسوة لدائر خارج الحجر من حرير أسود ككسوة الكعبة الشريفة ولم توضع عليه ثم وصلت بعدها بعام كسوة لدائر الحجر من الداخل فألبست الكسوة للحجر من داخله وخارجه . وتعتبر كسوة الحجر هذه كما يقول الشيخ باسلامه الأولى والأخيرة في بابها حيث لم أقف فيما وقفت عليه أن احدا كسى حجر إسماعيل كما تكسى الكعبة المعظمة ولا بعده ، فكان قد تفرد بذلك ثم يقول الشيخ باسلامه والظاهر أنها لم تدم كثيرا ولم تجدد من قبله والله أعلم بذلك .

آخر عمارة للحجر:

وجاء في منائح الكرم أنه في سنة ١٢٨٣ حصل تجديد نصف أرض الحجر من المقام الحنفى وذلك في سلطنة السلطان عبد العزيز خان وأمير مكة الشريف عبد الله بن محمد بن عون. وهذه العمارة هي آخر ما تم من عمارة للحجر الى عصر المؤلف في أوائل النصف الثاني من القرن الرابع عشر للهجرة والله أعلم.

مساحة الحجر:

قام بذرع الحجر إبراهيم رفعت باشا مؤلف كتاب مرآة الحرمين فذكر القياسات الآتية:

ارتفاع جدار الحجر ١,٣١ متر عرض الجدار من الأعلى ١,٥٢ متر وعرضه من الأسفل ١,٤٤ متر وسعة الفتحة التي بين طرفه الشرقى الى آخر الشاذروان ٢,٣ متر.

وسعة الفتحة التي بين طرفه الغربى ونهاية الشاذروان ٢,٢٣ متر. والمسافة بين طرفي الدائرة ثمانية أمتار ووراء الحطيم بمسافة ١٢ مترا المطاف. والمسافة بين منتصف جدار الكعبة الشمالى ووسط تجويف الحطيم ٨,٤٤ مترا.

وقد أخترت ما ذكره صاحب مرآة الحرمين لأنه أحدث قياس للحجر ولأنه أستعمل المتر وكسوره فيه بينما أستعمل المؤرخون السابقون الذراع وهو قد يختلف من شخص وآخر، لأنه بذراع اليد والله أعلم. (١)

سدانة الكعبة المعظمة:

كانت سدانة الكعبة المعظمة بعد بناء إبراهيم الخليل عليه السلام إياها بيد ابنه إسماعيل عليه السلام ثم بعد وفاته صارت لولده ثابت بن إسماعيل الى أن

١- ١٦٣ - ١٨٦ تاريخ الكعبة المعظمة

أغضبها من ولده أخواله جرهم ومكثت السدانة في جرهم عدة قرون الى أن اغتصبها منهم خزاعة ومكثت في خزاعة عدة قرون الى أن آل أمرمكة والكعبة المعظمة الى قصي بن كلاب بن مرة القرشي وهو الجلد الخامس للنبي ﷺ فاسترجعها من خزاعة بعد حرب دامية ثم صارت من بعده في ولده الأكبر عبد الدار ثم صارت في بني عبد الدار جاهلية وإسلاما الى أن آل أمر السدانة الى شيبة بن عثمان بن طلحة واسمه عبد الله بن عبد العزى بن عثمان الى العصر الحاضر يتوارثونها كابرا عن كابر.

عثمان بن طلحة يغلظ للنبي ﷺ

جاء في طبقات ابن سعد عن عثمان بن طلحة قال كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس فأقبل النبي ﷺ يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس فأغلظت له ونلت منه فحلم عني ثم قال : يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدى أضعه حيث شئت قال عثمان فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت فقال بل عمرت وعزّت ودخل الكعبة يقول عثمان فوقعت كلمته منى موقعا ظننت يومئذ أن الأمر سيصير الى ما قال فلما كان يوم الفتح قال يا عثمان أئتني بالمفتاح فأتيته به وأخذه منى ثم دفعه اليّ.

خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم :

وقال - خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم يا عثمان ان الله أستاذكم على بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف .

ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى أهلها :

وفي رواية أن العباس بن عبد المطلب سأل النبي صلوات الله وسلامه عليه أن يجمع له الحجابة مع السقاية وذلك في فتح مكة حينما أخذ المفتاح من عثمان بن طلحة فقال بأبي انت وأمي يا رسول الله أعطنا الحجابة مع السقاية فأنزل الله عز وجل

على نبيه ﷺ ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها - يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه فها سمعتها من رسول الله ﷺ قبل تلك الساعة فتلاها ثم دعا عثمان بن طلحة فدفع إليه المفتاح وقال : غيبوه وفي رواية اعينوه ثم قال : خذوها يا بنى ابي طلحة بأمانة الله واعملوا فيها بالمعروف خالدة تالدة لا ينزعها من أيديكم إلا ظالم .

آل الشيبى

والشيبون أو آل الشيبى الذين لهم سدانة البيت فى العصر الحاضر هم من نسل شيبه بن عثمان بن ابي طلحة وهو ابن عم عثمان ابن طلحة لأن عثمان هذا لم يكن له ولد فانتقلت الحجابة اليه بعد وفاة عثمان بن طلحة الذى بقى فى المدينة الى وفاة النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه ثم عاد الى مكة .

وقد اسلم شيبه يوم فتح مكة وشهد حنيناً وقيل اسلم بحنين ، قال الزبير كان شيبه قد خرج مع رسول الله ﷺ يوم حنين مشركاً يريد ان يغتال رسول الله ﷺ غرة فاقبل يريد به فراه الرسول صلوات الله وسلامه عليه فقال يا شيبه هلم لا أم لك فقدف الله فى قلبه الرعب ودنا من رسول الله ﷺ ووضع يده الكريمة على صدره ثم قال : اخسىء عنك الشيطان فاخذه ونزع فقدف الله فى قلبه الايمان فاسلم وقاتل مع رسول الله ﷺ وكان ممن صبر معه يومئذ وكان من خيار المسلمين وحين اعطى صلوات الله وسلامه عليه مفتاح البيت اعطاه لعثمان وابن عمه شيبه هذا . اقول وهذا يدل على أن شيبه أسلم يوم الفتح وليس يوم حنين وايا كانت الرواية الصحيحة فان الحجابة لابناء ابي طلحة وقد توفى عثمان ولا ولد له فآلت الحجابة إلى ابن عمه شيبه وهى باقية فى نسله الى هذا اليوم وستبقى أبداً الدهر حتى يرث الله الأرض ومن عليها مصداقاً لقول الرسول الكريم خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم .

شيبه ابن عثمان يحج بالناس

ومن الحوادث التاريخية التى تتصل بالحجابة أن علياً رضى الله تعالى عنه بعث

قثم ابن العباس فى سنة تسع وثلاثين ليحج بالناس وأرسل معاوية فى هذا العام
يزيد بن شجرة فتنازعا فسعى بينهما أبوسعيد الخدرى رضى الله عنه وغيره
فاصطلحا على أن يقيم الحج والصلاة بالناس شية بن عثمان .

الحجاجة لأكبر العائلة سنا

وقد سار آل الشيبى على قاعدة اسناد الحجاجة لأكبر العائلة سنا وهكذا اصبح
الأمر بها الى هذا الوقت .

صحة نسب آل الشيبى

وقد ذكر الشيخ باسلامه ان بعض من يضم السوء لآل الشيبى ادعوا فى أوقات
مختلفة انقطاع نسبهم محاولين بذلك سلب الحجاجة منهم وأورد من البراهين ما يثبت
هذه الاكاذيب والافتراءات فقال .

إن سدنة الكعبة المعظمة من أجل وأعظم الوظائف التى يتنافس المتنافسون
عليها بل أشد المتنافسين عليها الملوك والسلاطين فلو ان الأمر كما قاله ذلك المفترى
بان نسبهم قد انقطع فى زمن هشام بن عبد الملك فلماذا ترك المنافسون هذه الوظيفة
للمنتسبين لآل الشيبى بدون ان يستلبوها منهم كما استلبوا كثيرا من الوظائف التى
هى اقل مكانة وسؤددا وفخارا؟ هل هنا قوة قاهرة تمنعهم غير قوة القاهرة فوق عباده
الى آخر ما قال . « ١ »

١- « ٣٠١ - ٣٤٦ تاريخ الكعبة المعظمة »

هدايا الكعبة

كانت الهدايا الثمينة ترسل الى الكعبة في مختلف العصور وأول ما ورد ذكر ذلك حين حفر عبدالمطلب لبئر زمزم فوجد فيها غزالين من ذهب وجواهر وسيوفا كثيرة قيل ان الذي أهداها للكعبة ساسان بن بابل وقيل انها كانت لجرهم وروي كذلك ان كعب بن لؤى القرشي أول من جعل في الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرة للكعبة هذا ما كان من أمر هدايا الكعبة قبل الاسلام .

الهدايا في الاسلام

ذكر الأزرقي رواية عن الواقدي عن أشياخه قال ، لما فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه مدائن كسرى كان مما بعث به اليه هلالان فبعث بهما فعلقهما في الكعبة . أقول ولانجد في كتب السير والتواريخ الموثوقة ذكرا لهذا الأمر وهو مما يستبعد على الخليفة الراشد عمر بن الخطاب فلقد كان حريصا على قسمة الفيء بين المسلمين مهما بلغ ثمنه ومهما كانت محتوياته ثمينة والله اعلم .

ونذكر هنا بعض هدايا الكعبة كما اوردها المؤلف :

بعث عبدالمالك بن مروان الشمسيين وقدحين من قوارير وضرب على الاسطوانة الوسطى بالذهب من اسفلها الى اعلاها صفائح .

وبعث الوليد بن عبد الملك بقدحين .
اقول ولا بد ان هذه الاقداح التى بعثها عبد الملك بن مروان وابنه الوليد من
القوارير الثمينة النادرة .
وبعث الوليد بن يزيد بالسريـر الزينى وبهلالين كتب عليهما اسمه وذلك فى سنة
احدى ومائة .
وبعث ابوالعباس السفاح أول الخلفاء العباسين بالصفحة الخضراء .
وبعث ابوجعفر المنصور بالقارورة الفرعونية .
يقول المؤلف وكل هذا معلق فى البيت .
وفى سنة مائة وست وثمانين وضع الخليفة هارون الرشيد قصبتين علقهما مع
المعاليق وفيهما بيعـة محمد وعبد الله ابنه وما عقد لهما وما اخذ عليهما من العهود .
وبعث المأمون بالياقوتـة التى كانت تعلق فى كل سنة فى وجه الكعبة فى الموسم
بسلسلة من الذهب .
وبعث المتوكل بشمسة عملها من ذهب تعلق فى وجه الكعبة كل موسم .

ملك التبت يرسل سريره وصنمه

ذكر الازرقى رواية عن سعيد بن يحيى البلخى قال : اسلم ملك من ملوك التبت
وكان له صنم من ذهب يعبدـه فى صورة انسان وكان على رأس الصنم تاج من
الذهب مكلل بخرز الجواهر والياقوت الأحمر والأخضر والزبرجد وكان على سرير
من الفضة مربع مرتفع عن الأرض على قوائم وكان على السرير فرشة الديباج
وعلى اطراف السرير ازرار من ذهب وفضة مرخاة والازرار قدر الكرين فى وجه
السرير .

فلما اسلم ذلك الملك اهدى السرير والصنم الى الكعبة فبعث به الى امير
المؤمنين هدية للكعبة والمأمون يومئذ بمرو من خراسان فبعث به المأمون الى الحسن
بن سهل بواسط وامره ان يبعث به الى الكعبة فبعث به مع نصير بن إبراهيم
الاعجمي وهو من أهل بلخ فقدم به الى مكة فى سنة ٢٠١ و حج بالناس تلك

السنة اسحق بن موسى بن عيسى بن موسى فلما صدر الناس من منى نصب ابن ابراهيم السرير وماعليه من الفرشة والصنم في وسط رحبة عمر بن الخطاب بين الصفا والمروة فمكث ثلاثة أيام منصوبا ومعه لوح من فضة مكتوب فيه «بسم الله الرحمن الرحيم» .

هذا سرير فلان بن فلان ملك التبت اسلم وبعث بهذا السرير هدية الى الكعبة فاحمدوا الله الذي هداه الى الاسلام .

وكان يقف على السرير محمد بن سعيد ابن اخت نصير الاعجمي فيقرأه على الناس بكرة وعشية ويحمدوا الله الذي هدى هذا الملك الى الاسلام . ثم دفع السرير والصنم الى الحجة آل الشيبى وأشهد عليهم بقبضة فجعلوه في خزانة الكعبة في دار شيبة ابن عثمان .

وكيل أمير مكة يأخذ السرير والصنم ويسكه دراهم

بقي هذا السرير والصنم والتاج الذى اهداه ملك التبت في خزانة الكعبة عاما كاملا ثم استولى عليه يزيد بن محمد وكيل أمير مكة حمدون ابن علي بن عيسى بن ماهان الذى استخلف يزيد على امارة مكة حين خرج الى اليمن ، قالوا واقبل إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد العلوي الى مكة مقبلا من اليمن فسمع يزيد بامرهم فخندق على مكة وسكها بالبنيان من انقابها وارسل الى الحجة فاخذ السرير وماعليه فاستعان به على حربه ، وقال أمير المؤمنين يخلف لها وضربه دنائير ودراهم وذلك فى سنة ٢٠٢ وبقي التارج واللوح فى الكعبة الى اليوم - يعنى فى عصر الازرقى .

اهداء الجواهر الى الكعبة

قالوا واهدي الى الكعبة طوق من ذهب مكلل بالزمرد وبالماس وياقوته خضراء وزنها اربعة وعشرين مثقالا ودفعت هذه الهدية الى الحجة فكتبوا فى أمرها إلى أمير المؤمنين المعتمد على الله ، واخذوا الدرة وأخرجوها وجعلوها فى سلسلة من

ذهب في وسط الطوق مقابلة الياقوت والزمرد وجاء الكتاب من المعتمد بتعليقها مع
معاليق الكعبة في سنة ٢٥٩ .

تعليق بيعة أبناء الخلفاء

وكما اودع الرشيد بيعة الأمين والمأمون وعلقهما في الكعبة فقد اودع المعتمد قصبة
من فضة فيها بيعة ابنه جعفر بن المعتمد وبيعة أبي أحمد الموفق .

اهداء القناديل الكعبة

وبعث المطيع العباسي قناديل للكعبة من الفضة ومعها قنديل من الذهب زنته
ستمائة مثقال وذلك في سنة ٣٥٩ . وفي سنة ٤٢٠ أهدى صاحب عمان الى الكعبة
قناديل ومحاريب مبنية زنة المحراب منها اكثر من قنطار وسمرت المحاريب في الكعبة
مما يلي بابها .

وفي سنة ٦٣٢ اهدى للكعبة المنصور عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن
قناديل ذهب وفضة وفي سنة ٧١٨ بعث الوزير علي شاه وزير السلطان أبي سعيد
بن خدا بنسده ملك التتر على يد الحاج مولا واح حلقتان مرصعتان باللؤلؤ
والبليخش وكل حلقة زنتها الف مثقال وفي كل حلقة ست لؤلؤات فاخرات وبينهما
سته قطع بليخش فاخرو لما اراد تعليق ذلك بباب الكعبة منعه بن أمير الركب
المصرى في ذلك العام وقال لا بد من الاذن بذلك من السلطان الناصر محمد بن
قلاوون صاحب مصر .

وكان الوزير علي شاه المذكور قد نذر ان ظفر بخواجه رشيد الدولة وقتله ان يعلق
على باب الكعبة معلقتين ، وقيل أن أمير الركب المصرى اذن لمولا واح هذا بتعليق
الحلقتين زمنا قليلا ثم رفعتهما واخذهما اذ ذاك رمشة بن ابي نمي من آل قتادة .
واهدى السلطان شيخ ادريس صاحب بغداد في سنة ٧٧٠ أربعة قناديل حجم كل
قنديل منها مثل الدورق المكي اثنان منها من الذهب واثنان من الفضة وعلقت في

الكعبة فترة من الزمن ثم اخذها أمير مكة عجلان بن رميته .

أين ذهبت هدايا الكعبة

قال التقى الفاسي ، وأهدى بعد ذلك للكعبة قناديل كثيرة والذي في الكعبة الآن من المعاليق ستة عشر قنديلا منها ثلاثة فضة وواحد ذهب وواحد بلور واثنان نحاس والباقي زجاج حلبي وهى تسعة وليس في الكعبة الآن شيء من المعاليق التى ذكرها الأزرقى ولأما لم يذكره مما ذكرناه سوى الستة عشر قنديلا وليس فيها شيء من حلق الذهب والفضة التى كانت فى اساطينها وجدارنها بسبب توالى الايدى عليه من الولاة وغيرهم على ما ذكره الأزرقى فى تاريخه ووقع ذلك بعده ايضا .

اقول ولعلم القارىء فان التقى الفاسي من رجال القرن التاسع للهجرة وقد توفى عام ٨٣٢ هـ

الذين اخذوا أموال الكعبة

ذكر ابن فهد القرشي فى كتابه اتحاف الورى فى حوادث سنة ٢٠٠ ، قال وفى أول ايام المحرم بعدما تفرق الناس من مكة جلس الحسن بن الحسين الافطس خلف المقام على نمرقة مثنية وامر بالكعبة فجردها حتى بقيت حجارة مجردة ثم كساها كسوتين انفذهما أبو السرايا من الكوفة من قزريق أحدهما صفراء والاخرى بيضاء مكتوب عليها :

«بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وأهل بيته الطيبين الأخيار أمر أبو السرايا الأصفر بن الأصفر داعية آل محمد صلى الله عليه وسلم بعمل هذه الكسوة لبيت الله الحرام وان يطرح عنه كسوة الظلمة من ولد العباس ليظهر من كسوتهم وكتب فى سنة تسع وتسعين ومائة» .

علق الافطس هذه الكسوة التى وصف فيها ولد العباس بالظلم على الكعبة ، ثم اخذ ما فى خزانة الكعبة وكان مالا عظيما نقله اليه ، وقال مات صنع الكعبة بهذا

المال موضوعا لا ينتفع به نحن احق به نستعين به وقسم المال مع كسوة الكعبة على اصحابه .

وفي سنة مائتين وواحد وخمسين اخذ إسماعيل بن إبراهيم الحسني مافي الكعبة من الذهب وما في خزانتها من الذهب والفضة والطيب والكسوة ، يقول ابن فهد وذلك عقب فتنة عظيمة وقعت في مكة .

وفي سنة ٤٦٢ قطع أمير مكة أبوهاشم محمد بن جعفر المعروف بابن ابي هاشم الحسن خطبة المستنصر العبيدى صاحب مصر واخذ قناديل الكعبة وستورها وصفائح الباب لما لم يصله شيء من جهة المستنصر العبيدى واعاد الخطبة لبني العباس بعد قطعها من الحجاز نحو مائة سنة وخطب للخليفة القائم بأمر الله ثم للسلطان عضد الدولة .

وفي سنة ٥٨٦ اخذ أمير مكة داود بن عيسى بن فليته ما في الكعبة من أموال وطوقا كان يمسك الحجر .

هدية السلطان مراد

قال قطب الدين في الاعلام : أرسل السلطان مراد سنة ٩٨٤ ثلاثة قناديل من ذهب مرصعة بالجواهر لتعلق اثنان منها في سقف بيت الله تعالى والثالث في الحجرة النبوية الشريفة فعلقا في الكعبة وهو أول من علق الذهب في الحرمين الشريفين من آل عثمان .

هدية ملكة بندر آشي

وقال الطبري المكي في الاتحاف : ارسلت ملكة بندر آشي خمسة قناديل ذهب للكعبة في إمارة الشريف سعيد ابي بركات سنة ١٠٩٤ فعلقت بها . أقول وبندر آشي أو جزيرة آشى هي من جزر جاوا التى تسمى فى الوقت الحاضر اندونيسيا .

الهدايا المعلقة في الكعبة

يقول الشيخ باسلامه ويوجد الآن معاليق كثيرة في سقف الكعبة غير اني لا اعلم عن حقيقتها هل هي معمولة من ذهب او فضة او نحاس كما ان آل الشيبى سدنة الكعبة المعظمة لا يعلمون بالضبط عن حقيقتها لقدم تعليقها ولعدم تعهدهم لها بالتمسيح والتنظيف اجيالا .

ثم يقول الشيخ باسلامه : وربما انها من عهد بناء الكعبة الاخير الى الآن لم تنقل من موضعها ولذلك تعذر علي ان اصفها وصفا صحيحا والله اعلم بحقيقتها (١)

طبيب الكعبة

ذكر التقي الفاسي في شفاء الغرام نقلا عن الأزرقى انه روى عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها انها قالت / طيبوا البيت فان ذلك تطهيره ، وروى عنها أيضا انها قالت : لأن أطيب الكعبة أحب إلي من أن أهدي لها ذهابا وفضة .

وقد ذكرنا أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أجرى للكعبة وظيفة الطبيب لكل صلاة وكان يبعث لها بالمجمر والخلوق في الموسم وفي رجب وأخدمها العبيد وتبعه في ذلك الولاة (٢)

وكان عبد الله بن الزبير يجمر الكعبة كل يوم برطل من مجمر ومجمر الكعبة كل جمعة برطلين وقد طبيب الخليفة العباسى محمد المهدي الكعبة بالغالية والمسك والعنبر ، وكان الملوك والسلاطين يرسلون الى الكعبة بأجود أنواع الطيب والبخور ولما صارت ولاية البيت لسلاطين آل عثمان صار الطيب والبخور يرسل الى الكعبة من القسطنطينية سنويا ضمن المرتبات التى خصصت للحرمين الشريفين ، وفي عهد الشريف الملك الحسين بن علي خصص مبلغ من المال يصرف لرئيس السدنة

١- ٢٠٩٠/٢١٧ تاريخ الكعبة المعظمة

٢ - المجرم ما يتجرمه وهو عود الرطب لعله بخور العود المعروف في هذه الأيام والخلوق طيب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب ويغلب عليه الصفرة والحمرة .

من من خزينة المالية برسم الطيب مع ماهر مخصص لها لغسيل الكعبة . وقد استمر الحال على ذلك في العصر الحاضر كما يقول الشيخ باسلامة . (١)

خدام الكعبة واغوات الحرم

ذكرنا أن أول من رتب العبيد لخدمة الكعبة معاوية بن أبي سفيان ثم تبعه الولاة في ذلك الى العصر الحاضر يقول الشيخ باسلامة .

والقائمون بخدمة الكعبة الآن هم الأغوات وليسوا بمالك لاحد بل هم احرار قد اعتقوا من قبل أوليائهم ولهم مرتبات شهرية تصرف من خزينة الدولة . ولهم ادارة خاصة ورئيسهم منهم وقد جرى العرف بينهم ان يكون رئيسهم اقدمهم خدمة ولهم بيت مال خاص بهم ويتوارثون بعضهم بعضا . ووظائفهم منحصرة في تنظيف المطاف ، وحجر إسماعيل ومقام إبراهيم والفرش الحجرى المحيط بمدار المطاف الذى عليه مقامات الائمة ولهم وظائف أخرى مثل وضع الشماعدين على باب الكعبة من الغروب الى بعد صلاة العشاء ومن طلوع الفجر الى الاسفار وكانوا قبل دخول الكهرباء بالمسجد الحرام يضيئون القناديل التى على الاساطين المحاطة بصحن المطاف والمقامات الأربعة .

ولهم نظام خاص فى تسلسل الوظائف يسرون عليه من أقدم الأزمان ونوجز هذه الوظائف فيما يلى :

حينما يبدأ الأغا العمل فى الخدمة يسمى نفر ويستمر فى ذلك ثم يرقى بالتسلسل حتى يصل الى وظيفة شيخ المفتاح وهذه الوظيفة هى أمانة مفاتيح غرف الادوات من شماعدين وأوانى تنظيف المطاف والحجر وأطراف الكعبة وغير ذلك . ثم يرقى الى وظيفة (دوزورى) وهى مراقبة الأغوات حال قيامهم بتنظيف الصحن ومآحوله ، ثم يرقى الى رتبة ضابط ويسمى ضابط أول ويدخل فى سلك البطالين ووظيفة البطالين كنس مدار المطاف وما يتبعه مع حجر إسماعيل وتنظيم صفوف المصلين

داخل الصحن والفرش الحجر المحيط بالصحن الذى عليه مقامات الائمة فقط .
ثم يرقى الى رتبة (خبزى) وهؤلاء الخبزىة لا يتجاوز عددهم أحد عشر نفرا على
الدوام فإذا مات أحدهم ارتقى الى وظيفة اقدم البطالين خدمة ثم يرقى من
الخبزىة فيبلغ وظيفة بيت المال الخاص لهم ثم يرقى الى نقيب ثم يرقى الى وظيفة
شيخ الأغوات اذا حلت الوظيفة بوفاة الشيخ السابق . (١)

غسل داخل الكعبة

أول من غسل الكعبة هو الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يوم فتح
مكة ، وذلك بعد ازالة الاصنام ومعالم الشرك التى كانت فيها ، يقول مؤلف
الكتاب فتجرد المسلمون فى الازر واخذوا الدلاء وارتجزوا على زمزم وغسلوا الكعبة
ظاهرها وباطنها فلم يدعوا اثرا من آثار المشركين الا غسلوه ومحوه .

وقد صار غسيل الكعبة عادة جارية وسنة متبعة من عهد رسول الله ﷺ الى
العهد الحاضر . وتغسل الكعبة كما يقول المؤلف مرتين فى العام مرة قبيل الحج ومرة
فى الثانى عشر من شهر ربيع الأول .

أقول والذى اعرفه ان موعد الغسيل الثانى للكعبة هو فى شهر رجب من كل
عام ، ويتم غسل أرض الكعبة وجدرها الى ارتفاع قامة الانسان بهاء الورد الممزوج
بهاء زمزم وتطيب جدران الكعبة بعطر العود كما تحجر الكعبة بالعود والند والعنبر ،
بعد تجفيف ارضيتها ويحضر عادة الملوك والأمراء وكبار رجال الدولة والاعيان لغسيل
الكعبة ويشاركون فيها تبركا مع رئيس الحجة والمسئولين عن شئون المسجد الحرام
ولا تزال هذه العادة سنة متبعة حتى هذا اليوم . (٢)

سرقة مفتاح الكعبة

جاء فى تاريخ السنجارى ان سادن البيت الشيخ عبدالرحمن الشيبى فتح الكعبة

١- ٣٦٣ - ٣٦٥ تاريخ الكعبة المعظمة .

٢- ٣٦٥١ - ٣٦٧ تاريخ الكعبة المعظمة .

للنساء في اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان سنة تسعمائة وست وسبعين على ما جرت به العادة في ذلك الزمان فسرق مفتاح الكعبة من حجره وهو مصفح بالذهب. يقول السنجاري فوقعت الضجة واغلقت ابواب الحرم وفتشت الناس فلم يظفروا بالمفتاح.

قال السنجاري ثم وجده سنان باشا باليمن مع رجل أعجمي فاخذ الرجل وكبست داره فوجد عنده المفتاح وغيره من السرقات التي اقربها فقطع رأسه وأعيد المفتاح إلى السادن.

اشتعال ثوب الكعبة

ذكر الشيخ باسلامه أن حريقا وقع في ثوب الكعبة في يوم الثالث والعشرين من شهر شعبان سنة ١٣٤٤ أثناء الحرب التي وقعت بين الشريف الحسين بن علي والجنود الأتراك المحاصرين في قلعة اجياد بمكة المكرمة بعد أن أعلن الشريف الحسين نفسه ملكا على الحجاز وانفصل عن دولة الخلافة العثمانية.

وكان الجنود الأتراك يطلقون القنابل من مدافعهم باتجاه المسجد الحرام لان رجال الحسين كانوا يحتلون الدور المجاورة للمسجد الحرام، وبعضهم اتخذ من منائر المسجد الحرام مكانا يطلقون منه نيران بنادقهم على قلعة اجياد. وكانت القنابل التي يقذفها الأتراك تصيب قباب المسجد الحرام وخاصة في باب الزيادة وباب أم هانئ.

وقد وقعت شظية من احدى القذائف على الكعبة المعظمة من الجهة الجنوبية قريبا من سطح الكعبة واشتعلت النار في ثوب الكعبة قرب الحجر الأسود وقد فزع الناس لذلك فزعا شديدا وتجمعوا في المسجد الحرام من كافة اطراف مكة فسارع سبازن البيت الشيخ محمد صالح شيبني بإرسال ابنه محمد ففتح الكعبة وصعد الناس فاطفأوا النار في لحظة. (١)

هذا الحديث الطويل عن الكعبة المعظمة هو الخلاصة لكتاب الشيخ حسين

١ - (٣٧٨ - ٣٨٢) تاريخ الكعبة المعظمة،

عبدالله باسلامه تاريخ الكعبة المعظمة الصادر في سنة ألف وثلاثمائة وأربع وخمسين قبل مايقرب من نصف قرن، وهو من أهم الكتب في موضوعه وهو يمتاز بأنه قد جمع كلما كتب عن الكعبة المعظمة في كتاب واحد يجعل القارئ ملماً بتاريخها منذ فجر التاريخ وربما قبل ذلك حتى اليوم.

والكتاب هام ومفيد لانه يؤرخ لاقدم بيت لله على سطح الأرض ومفيد بما احتواه من الحقائق التاريخية كما انه لا يخلو من الحوادث الطريفة عبر هذه القرون الطويلة.

وهو كما ذكرنا مكمل لكتاب الشيخ باسلامة الذي تحدثنا عنه قبل تاريخ عمارة المسجد الحرام ومن المعلوم ان للشيخ باسلامة مؤلفات كثيرة ذكرها الشيخ محمد نصيف في ترجمته (١) ولكنى أود أن أذكر أنه لو لم يكن للشيخ باسلامة سوى هذين الكتابين اللذين تحدثت عنهما لكان ذلك جديراً بتسجيل اسمه بين الأعلام من المؤرخين في هذا المجال.

ذكر ياتي عن الشيخ حسين باسلامه

سمعت باسم الشيخ حسين باسلامه لأول مرة حينما ثارت المعركة الأدبية بينه وبين الاستاذ محمد حسن عواد على صفحات جريدة صوت الحجاز في الخمسينات من القرن الهجرى الماضي إن لم تخني الذاكرة على أثر ظهور كتاب الشيخ حسن باسلامة تاريخ النهضة الاسلامية مع العلم والمدنية كان العواد (٢) رحمه الله قد انتقد هذا الكتاب حين ظهوره واجاب عليه المؤلف الشيخ حسين باسلامه وثارت بين الرجلين معركة عظيمة استمرت زمناً طويلاً وشغل بها الناس، ولعل العواد وهو المجدد في الأدب كان ينظر الى الشيخ باسلامه على انه من الطبقة التى تسلك نهج القدامى من المؤرخين في الأسلوب والتعبير، وليس هذا مجال

١ - انظر هذه الترجمة في كتاب تاريخ عمارة المسجد الحرام

٢ - انظر ترجمة محمد حسن عواد في كتابنا اعلام الحجاز.

الحكم بين الرجلين فكلاهما قد غادر هذه الحياة الدنيا إلى رحاب الله الذى نسأله
لهما الرحمة والغفران .

وقد رأيت الشيخ بإسلامه حينما انتقلت الى مكة المكرمة بها وكنت من المواظبين
على ارتياد المكتبات بباب السلام وكان هو يحضر لزيارة الاستاذ عبد الله فدا رحمه
الله وهو أديب وصاحب مكتبة فكنت أراه فى الأصائل يجلس فى مكتبة الفدا
ويتجاذبان أطراف الحديث .

ثم رأيت الشيخ بإسلامه مع أعضاء مجلس الشورى فى جلسة طويلة دعى فيها
الشيخ محمد سرور الصبان رحمه الله أعضاء المجلس جميعا الى عشاء فى بستانه
بالطائف وكانت هذه الجلسة حافلة بالطرائف التى كانت تحفل بها مجالس الاعيان
والافاضل من المكين وكان مما يدور فيها ويتندربه الحاضرون أن أحدهم ينشد بيتا
من الشعر فينشد الثانى بيتا يبدأ بالحرف الأخير من البيت الأول وينشد الثالث بيتا
يبدأ بالحرف الأخير من انشاد الثانى وهكذا حتى يكتمل الانشاد من قبل
الحاضرين جميعا فى المجلس ولتمثيل هذه المجالس للقارىء نفترص ان أول من
ابتدأ الانشاد أنشد البيت الآتى :

عيون المهابين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري
فينشد الثانى بيتا يبدأ بالراء المكسورة فيقول مثلا :

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمي فى الأشهر الحرم
فينشد الثالث بيتا يبدأ بالميم فيقول :

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور

وهكذا يستمر الحاضرون فى الانشاد دون توقف والا تحول الإنشاد الى التالى
وهكذا كان يتخلل هذه الجلسات الكثير من المرح والطرائف فإذا انتهى الانشاد
اختاروا حرفا من الحروف وبدأوا بالسؤال عن اسم مدينة مثلا يبدأ بهذا الحرف
ولنفترض ان هذا الحرف هو الألف فتذكر اسم المدينة (الطائف - فيسئل مثلا
ماهى ميزتها؟ فيجيب ارتفاعها ثم يسئل من تعرف فيها؟ فيكون الجواب مثلا

أميرها؟ ثم يسئل مالذى يعجبك فيها؟ فتقول اعناها؟ وهكذا يمضى المجلس فى هذه الندوة الطريفة وكثيرا مايعجز المجيب عن الاجابة بنفس الحرف فيضطر الى ان يجيب إجابة مضحكة يتندر عليه السامرون .

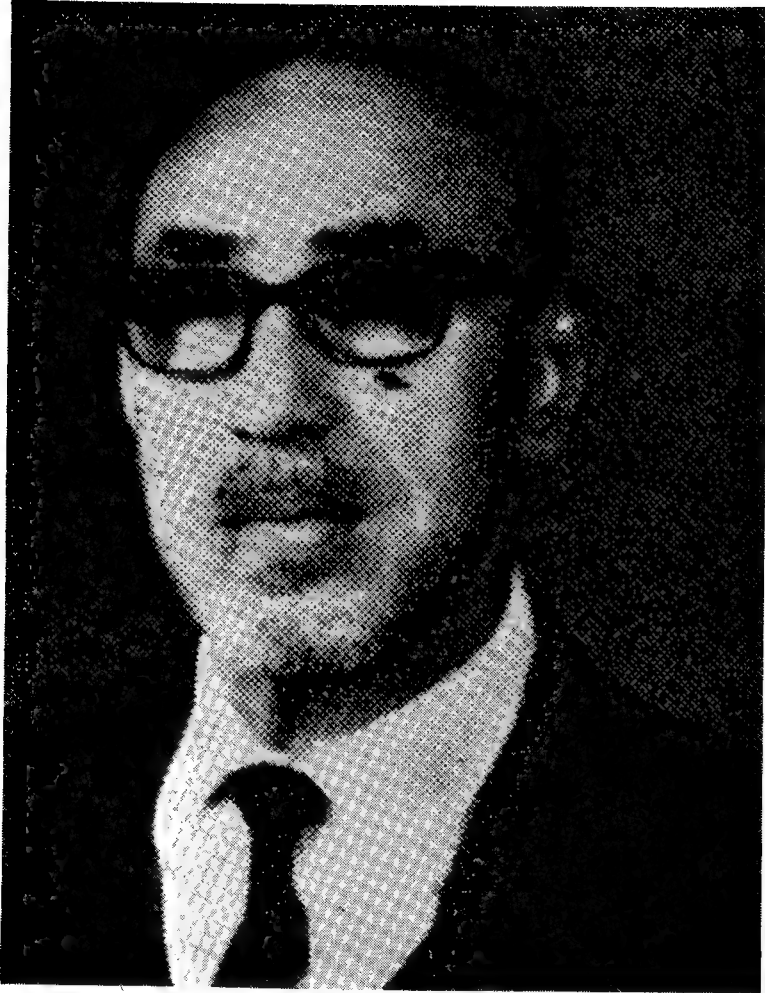
أقول رأيت الشيخ حسين باسلامه رحمه الله فى هذا المجلس وكان بعض الحاضرين يلح عليه فى الاسئلة وكان يجيب ببديهة حاضرة وظرف وجرأة وكان يشاركه تلك الصفة تلك اللية المرحوم الشيخ أحمد إبراهيم الغزاوى وكان سكرتيرا لمجلس الشورى رحم الله الجميع فلعل كل من حضر تلك الجلسة قد صاروا إلى رحاب الله تعالى فقد مضى عليها مايقرب من نصف قرن من الزمان .

توفى الشيخ حسين باسلامه فى عام ١٣٥٩ للهجرة كان قد فارق هذه الحياة الدنيا فقد ابقى له ذكرا خالدا فى مؤلفاته التى تحدثنا عن اهمها هذا الحديث الطويل الذى يستحقه كتاباه تاريخ عمارة المسجد الحرام وتاريخ الكعبة المعظمة .

رحم الله الشيخ حسين باسلامه واجزل جزاءه فى دار الخلد لقاء ما بذل من جهد فى سبيل العلم النافع المفيد .



• حمزة شحاته •



حمزة شحاته

طويل القامة ممتلىء الجسم أسمر اللون اقنى الأنف واسع العينين يضع على عينيه نظارة طبية وهو لا يستطيع الرؤية بدون هذه النظارة أصلع الرأس، تزين وجهه لحية صغيرة، حليق العارضين، جسيم وسيم متناسق الأعضاء له قامة رياضية، عرفته في النصف الثاني من الأربعينات وكان يرتدى الثوب القصير وتحت السروال الطويل الذى يشبه البنطلون، وهذا هوزى الشباب الذين عاشوا في الهند يتعلمون او يعلمون (١) وكان حمزه واحدا منهم كما سيأتى بعد. وفوق الثوب يرتدى الكوت الطويل ويضع على رأسه كوفية حجازية ويضع الشال على كتفيه او يعتم به اتقاء للشمس، وعلى اى حال فقد كانت له هيئة متميزة في ملابسه، وكان انيق الملبس دائما يختار الألوان الهادئة والاقمشة الجيدة، واذكر ان استاذنا مصريا كان يعمل في المدرسة السعودية الابتدائية في جدة اجتمع به مرة فوصفه لأحد اصدقائنا قائلا - الافندى اليه هيأته كويسة - وذلك تمييزا له عن الآخرين وربما لم يكن يعرف اسمه، وعلى اى حال فان حمزه اصبح فيما بعد يرتدى العباءة العربية والعقال خاصة بعد ان عمل موظفا في وزارة المالية بمكة المكرمة، ومديرا للنقلات الحكومية

١ - انظر تفصيل ماكتبناه عن الأزياء في كتابنا ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز.

في عهد معالي وزير المالية الأسبق الشيخ عبدالله السليمان يرحمه الله .
ولد بمكة في سنة ١٣٢٨ هـ وتلقى مبادئ تعليمه بها أولا ، ثم في مدرسة
الفلاح بجدة وكان الشيخ عبدالرؤف جمجوم عميد آل الجمجوم (١) قد سافر الى
مكة وكانت تربطه بعلي شحاته ومحمد نور شحاته اشقاء حمزه صلات صداقة
وعمل ، وحينما انتقل آل شحاته الى مدينة جدة كان بيتهم ملاصقا لبيت
الجمجوم ، وكان الشيخ عبدالرؤف يعنى عناية خاصة بالغلام حمزه شحاته رحمه
الله حتى انه كلف احدى بناته بالعناية بحمزه ومذاكرة دروسه فكان يقضي أوقات
فراغه كلها بدار آل الجمجوم ، واتم حمزه دراسته في مدرسة الفلاح وكانت مدة
الدراسة بها ست سنوات ، وقد ادركته وهو طالب في آخر مراحل الدراسة بالفلاح
وانا مبتدئ بها ثم سافر الى الهند ليعمل في دار آل زينل هناك وأقام في مدينة
بومباي عدة سنوات ثم عاد بعد انتهاء الحرب السعودية الهاشمية ليتسلم أولى
وظائفه الحكومية سكرتيرا للمجلس التجارى بجده الذى كان يرأسه الشيخ
سليمان قابل (٢) لم تطل مدة عمل حمزه يرحمه الله بالمجلس التجارى فقد كان من
النمط القلق الذى لا يستطيع الاستمرار ، وكانت طموحاته وتطلعاته تدفعه الى
التغيير .

وقد جاء هذا التغيير بالحاج من أخيه المرحوم الشيخ محمد نور شحاته الذى
اسس شركة للنقل بالسيارات في أوائل العهد السعودى تعمل بين مكة المكرمة
والمدينة المنورة لنقل الحجاج وكانت هذه الشركة تسمى شركة السلام (٣) وقد
اخبرني حمزه انه اضطر مرة إلى قيادة السيارة اللورى من جدة إلى المدينة المنورة
والعودة بها بعد ان لاقت شركتهم كما لاقت غيرها من الشركات المصاعب الكثيرة

١ - انظر ترجمته في كتابنا اعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة صفحة ١٠١ - ١١٠ ج أول .

٢ - انظر ترجمته في كتابنا اعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة صفحة ٥٥ - ٦٢ ج أول .

٣ - انظر مآكبتنا من شركات السيارات في ترجمة الشيخ محمد صالح ابوزنادة في كتابنا اعلام الحجاز في القرن الرابع
عشر للهجرة صفحة ٢٣٩ / ٢٤٢ الجزء الأول .

من السائقين الأجانب الذين كانوا يتولون قيادة تلك السيارات . . ومالبثت هذه الشركة ان انضمت كما انضم غيرها من الشركات الى الشركة العربية للسيارات ، ولكن محمد نور وحمزه شحاته كانا قد عملا في استيراد وبيع قطع الغيار للسيارات . وفي هذا العمل بالذات اتصلت اسبابي باسباب حمزه شحاته يرحمه الله في النصف الثاني من الأربعينات في جدة ، حيث كنت اعمل في شركة القنعة للسيارات وكانت تبيع قطع الغيار للسيارات كما تبيع المحروقات والاطارات الخاصة بالسيارات وبحكم تجانس العمل كان يزورنا الشيخ محمد نور شحاته وكذلك حمزة فاتصلت اسبابي باسبابه وتوثقت عرى الصداقة بيني وبينه .

كان حمزه نمطا فريدا من الأدباء لم يكن يشبهه غيره وكان ساحر الحديث يمتلك قلوب سامعيه وافكارهم وكانت لغة حديثه اقرب الى الفصحى منها الى العامية ولكنها الفصحى المحببة التي لاتصدمك منها لفظه موحشة أو كلمة غريبة قاسية ، وكان يمزج احاديثه بالطرائف والنكات في أسلوب اخاذ .

وكان اذا كتب لا يختلف كثيرا عنه حينما يتحدث وكانت رسائله قطعاً أدبية رائعة ، ولو جمعت هذه الرسائل التي كان يبعثها الى أصدقائه الكثيرين لتكونت منها مجلدات ولكانت فنا عجباً في أدب الرسائل ، وقد جمعت ابنته شيرين الرسائل التي كان يرسلها اليها واصدرتها في كتاب يحمل هذا العنوان - الى ابنتي شيرين - وحسنا فعلت السيدة شيرين بجمعها لهذه الرسائل وحسنا فعلت تهامة بطبعها ونشرها بين الناس .

ان هذه الرسائل تمثل فترة من حياة حمزه شحاته هي لعلها فترة الكهولة في حياته ولو جمعت كل الرسائل التي كتبها في صدر شبابه ورجولته لرأينا فيها (العجبُ العاجب) ، فلقد كان حمزه أحسن من يعبر عن عواطفه وخواجه ، ولقد كان يكتب الي كما كان يكتب الى قنديل ، وإلى عزيز ضياء ، وإلى عبدالله عريف وإلى محمد عمر توفيق وإلى الأخ الشيخ محمد نور جمجوم وإلى غيرهم من أصدقائه الكثيرين ، وبالنسبة لرسائله الي فاني فقدتها كلها ، فقدت بين الكثير من

أوراقى الضائعية، ولعلها تكون موجودة بين ركام الأوراق الكثيرة التى لا يستطيع فرزها والتى لا اعرف مكانها، على أى حال كان حمزه فريدا فى أحاديثه وفريدا فى رسائله (لا يشابهه أحد) ، ولا يشبه أحدا فهو صاحب اسلوب خاص فى الحديث وفى الكتابة على سواء. توثقت الصلة بينى وبينه عقودا من السنين فكنت القاه أصيل كل يوم وصدر كل مساء حينما كان بجدة ولكن حمزه مالبث أن غاب عن جده مرتين، مرة بدون اختيار منه والمرة الثانية باختياره.

أما المرة الأولى فقد كان أحد المعتقلين الذين رحلوا إلى الرياض فى أوائل الخمسينات وكان من بينهم الكثير من شباب مكة وجده أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الأساتذة محمد حسن عواد، وعبد الوهاب آشي، والشيخ سليمان أبوداود، والشريف محمد مهنا وعبد العزيز جميل وغيرهم، وعلى أى حال فإن التحفظ على هذا الفريق من الناس كان من باب الاحتياط فما لبث جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله ان اطلقهم، وقد روى لي المرحوم الشيخ إبراهيم السليمان ابن عقيل رئيس ديوان النائب العام لجلالة الملك فى الحجاز فى تلك الأيام رواية طريفة اذكرها هنا للتاريخ.

قال : كان صاحب السمو الملكي الأمير فيصل - جلالة الملك فيصل فيما بعد - فى زيارة والده المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز فى الرياض، وحينما قرب موعد عودته الى الحجاز وكان لا يستطيع العودة الا إذا أذن له الملك عبدالعزيز رحمه الله، وكان هذا الاذن يصدر ابتداء من الملك عبدالعزيز بمعنى أن آداب الأسرة المالكة لم تكن تسمح لمن يرغب فى السفر أن يستأذن الملك فيه، وانما يصدر الاذن من الملك نفسه حينما يرى أن المدة التى قضاها الزائر فى الرياض قد تمت وأن عليه أن يعود الى عمله بالحجاز.

قال الشيخ إبراهيم : قال جلالة الملك عبدالعزيز لسمو الأمير فيصل، يمكنك الآن أن تعود الى الحجاز فقد طال غيابك عنه.

قال سمو الأمير فيصل، ولكن كيف أعود إلى الحجاز وكثير من أهل الحجاز هنا

في المصمك؟ (١) هناك أمر جلالة الملك عبدالعزيز بإطلاق سراحهم فوصلوا إلى الحجاز قبل عودة سمو الأمير فيصل إليها رحمه الله .

عاد حمزه من الرياض إلى مكة وبقي بها بعض الوقت وكتبنا له مهنئين وجاءتنا رسائله بنفس الأسلوب الساحر الساخر، لم يؤثر النفي في نفسه وعلمت أنه كان يقوم في بعض الأحيان بطبخ الطعام لزملائه في المصمك وكان حمزه من أكثر الناس إجادة في صنع الطعام وتذوقه يرحمه الله .

هذه هي المرة الأولى التي غادر فيها جدة مختاراً بعد أن عرفته ولكنه لم يلبث أن عاد إليها أما المرة الثانية فقد ذهب إلى مكة للعمل سكرتيراً للشيخ محمد سرور الصبان بطلب منه .

وكان حمزه كما ذكرت لا يطيق البقاء في عمل واحد حتى ولو كان هذا هو العمل التجاري الذي يمتلكه هو وأخوه ، ولعل خلافاً ديب بين الأخوين رأى حمزه معه أن يترك عمله التجاري ليعمل سكرتيراً خاصاً للشيخ محمد سرور الصبان ، وقد بقي حمزة في هذا العمل عاماً واحداً أو نحو ذلك إن لم تخفي الذاكرة في تحديد الوقت . وكان من ضمن أعمال السكرتارية لدى الشيخ محمد سرور الصبان رحمه الله الإجابة على عشرات الرسائل التي ترد إليه يومياً من شتى أنحاء المملكة ومن مختلف طبقات الناس وكثير منها يتعلق بمعاملات لهم في وزارة المالية وفي شئون خاصة بهم ، وضاق حمزه ذرعاً بهذا العمل الروتيني فطلب من الشيخ محمد سرور اعفائه ولكن الشيخ محمد سرور لم يوافق على اعفائه ومازال حمزة يلح حتى وافق الشيخ محمد سرور على إجابة الطلب ، ولكنه ألزمه أن يختار له من يقوم بعمل السكرتارية بدلاً منه ، وكتب إلى حمزة رحمه الله يعرض علي العمل لدى الشيخ محمد سرور في مكة فاعتذرت بادية ذي بديء لان ظروف العائلة لم تكن تسمح لي بالانتقال الى مكة ، وعاد حمزه الى جدة ثم طرأ ما جعلني اقبل العمل لدى الشيخ

١ - المصمك إسم القصر الذي كان المسجونون يعتقلون فيه في الرياض وللعواد فيه قطعة شعرية انظر مجموعة دواوين العواد .

محمد سرور في مكة وانتقلت اليها وكان ذلك في شهر ذى القعدة عام ١٣٥٥ هـ، عاد حمزة مرة أخرى للعمل مع أخيه في جدة ولم يمض على هذه العودة الكثير من الزمن حتى رأيت حمزة يسافر الى أبها وجيزان بصحبة المرحوم الشيخ عبدالعزيز جميل وكان يعمل هناك مديرا للماليات وجمارك جيزان وتوابعها.

كانت هذه الرحلة رحلة تفقد للمنطقة واحواها وكان لحمزة صديق آخر في أبها هو المرحوم طلعت وفا الذي كان مديرا للشرطة أبها والذي وصل فيما بعد الى منصب مدير الأمن العام في مكة المكرمة.

وقضى حمزة بضعة شهور وهو ينتقل بين جيزان وأبها وصبيا وأبو عريش ورجال المع ثم عاد إلى مكة المكرمة يصحبه الشيخ عبدالعزيز جميل الذي نقل رئيسا للماليات وجمارك الاحساء وتوابعها، وبعد هذه العودة عهد معالي الشيخ عبدالله السليمان وزير المالية الأسبق الى حمزة بادارة سيارات النقلات الحكومية وبقي فيها بضعة شهور، ثم انتقل بعد ذلك للعمل في ديوان المحاسبة في وزارة المالية.

ثم ترك العمل في وزارة المالية وعاد إلى جدة لادارة العمل التجارى مع شقيقه محمد نور، الذي مالبت أن سافر الى مصر واستقر بها، إبان الحرب العالمية الثانية. كان حمزة يحلم بالهجرة إلى مصر والاستقرار بها، وكان خياله الخصب يصوره جمال الحياة على شاطئ النيل، وامكانية النجاح الاقتصادي الكبير في أرض الكنانة.

ونسيت ان أذكر أن حمزة جاء إلى مصر قبل ذلك مريضا وكنت في القاهرة في تلك الأيام، فبعث إلي من يخبرني بوصوله إلى القاهرة ونزوله في مستشفى مورو بالدقى، وأسرعت اليه فوجدته في سرير المرض وقد أجريت له عملية استئصال الزائدة الدودية وكنت أزوره يوميا وكان هذا في عام ١٩٤٢ م خلال الحرب العالمية الثانية وترك المستشفى بعد أن تماثل للشفاء، ولكنه لم يعد إلى جدة وتزوج بإحدى الفتيات المصريات وبقي هناك بضعة شهور، وحينما حان أوان عودته إلى الحجاز سافر وطلب اليها أن تلحق به فيما بعد، ولكنها لم تحضر.

وكانت ابنته الطفلة شيرين فى القاهرة فى حضانة امها هناك وكانت هى بكر أولاده من زوجته الأولى التى تزوجها فى جدة، وكان حريصا على ضمها اليه بعد ان تعذرت سبل الوفاق بينه وبين زوجته وأسرتها .

تبيأت الأسباب لسفره إلى مصر فسافر إليها مع بناته وأسرة أخيه جميعا ونزلوا أول نزولهم فى مدينة حلوان ثم استقروهم الأمر فى القاهرة وكان هذا فى عام ١٣٦٤ هجرية وكنت هناك وكنت أرى حمزه تقريبا فى كل يوم، وكان اخوه الشيخ محمد نور قد اشترى قطعة أرض فى الدقى وكانت البعثات السعودية تسكن فى دار مؤجرة وكان القائمون على شئون البعثة يتمنون لو أنهم سكنوا فى دار مملوكة لاحد السعوديين، وقام حمزه وأخوه محمد نور ببناء دار للبعثات السعودية على جزء من الأرض المملوكة لهما بالدقى وأصبحت هذه الدار مقرا للبعثات السعودية ثم تعين حمزه محاسبا لادارة البعثات لبعض الوقت ولكنه مالبت أن ترك العمل فى دار البعثات .

وعاد الى مكة بناء على طلب الشيخ محمد سرور الصبان رحمه الله تعالى ليكون أول رئيس لنقابة السيارات فى عهدها الجديد فى ١٣٧٢ هـ ولم تطل إقامته فى هذا العمل كما لم تطل فى أى عمل مارسه من قبل .

كان قلق النفس لا يستقر على حال، كانت طموحاته تتمرد على العمل الروتيني الرتيب، وكانت افكاره أقوى من واقع حياته، كانت تلك هى ضريبة العبقرية التى تتحدى القيود والأعراف .

وعاد حمزة أخيرا ليستقر فى القاهرة، وقد استشرت الخلافات بينه وبين أخيه حتى بلغت حد القطيعة، قلت له يوما إن وفاقك مع اخيك وتعايشكما ملزم لكما جميعا فأنتما لم تنجبا ولداً، كل ذريتكما من البنات فاطويا صفحة الخلاف، وليضع أحدكما يده فى يد الآخر، ولكنهما كانا عنيدين .

ولقد ضعف بصر حمزة فى السنوات الأخيرة فكان اذا خرج صحبته صغرى بناته وكان قد أصيب بانفصال الشبكية، كما أصيب قبله اخوه محمد نور بها، وفقد كل

منها بصره في آخر حياته غفر الله لها .
إن فقد حمزه لبصره في آخر حياته أثر في نفسه واستطيع ان أقول إنه أدخل الكثير من التغيير على أفكاره ، ويتضح هذا في حديثنا عن رسائله إلى ابنته شيرين .

إلى ابنتي شيرين

إسم الكتاب الذي يضم ستين رسالة كتبها حمزة إلى كبرى بناته بعد أن غادرت مصر عائدة الى الحجاز اثر زواجها ، وهذه الرسائل تظهر بجلاء الحب الكبير الذي يربط شيرين بأبيها فقد أصبحت له كل شيء البنت وسيدة البيت والصديقة التي يتحدث اليها ويثبثها مكنون صدره وأفكاره ، وليس هذا بغريب على أى حال وقد اخترت بعض المقتطفات من بعض الرسائل التي كتبها حمزه إلى شيرين وهي تمثل أسلوبه في كتابة الرسائل كما تمثل أفكاره وخواجه .

وأبدأ بالنماذج التي تمثل حالته النفسية فهو يقول في الرسالة (٣٠) لقد تحطمت قبل أن أبدأ قصة حياتي التي شغلني عنها ولوعي بإنقاذ الغرقى وإطفاء الحرائق^(١)

ويقول في الرسالة الرابعة : تمت عزلتي الآن ولم تعد لي علاقة بأحد إلا بالمقدار الذي لا يزيد عما يتهيا لأي نزيل في فندق صغير . ومنها :

اننا في سفينة أو اتوبيس وكل الفرق ان الرحلة أطول ، انني أشعر بضغط الوحدة ضغطا مخيفا أراني غريق اتخبط وأرسل صرخات الهلع ، وأسمع أصوات ضحكات السخرية ممن يتظاهرون بانقاذي .

أبدأ أبدا لم اعد اقوى على احتمال هذا الشقاء وحدى بلامعين ، انني أبدأ الفكرة ولا أعرف كيف أتمها ، وفي الليل عندما يهدأ كل شيء وينام ، أظل أنا كالألة الدائرة تدور بلا نهاية (٢)

١ - صفحة ١٢٧ الى ابنتي شيرين

٢ - صفحة ٥٤ الى ابنتي شيرين .

ويقول فى الرسالة العاشرة : بعد أن فقد البقية الباقية من بصره فيما اظن .
انى لا أنام الايل أبداً حتى الساعة السابعة أو الثامنة ، لاتسألنى لماذا ؟ فأنا لا أعرف شيئاً يقتضى هذه الأرق الثابت ، ربما كانت الشيخوخة ، او طبيعة إنعدام الشاغل الليلي كالقراءة والتلهي بنظم الشعر أو على الأصح ما أصطلح الناس على تسميته بالشعر لتمييزه بأنه الكلام غير المألوف ، وربما كانت طبيعة الوحدة ، والشعور بالظلمة النامة ، ويظهر أن وقتاً كافياً للاعتياد لم يمر على هذه التجربة القاسية (١)

ويقول فى الرسالة السابعة والعشرين :
لاتتأثرى إنها النهاية الطبيعية لانسان لم يسر على الطريقة التى يسير عليها الآخرون ، بل ظل يحلم بأن يعلو على مستوى الطين والتراب ويخالف معرفته للحقيقة التى فهمها الجهلاء والأغبياء على الوجه السليم ، لاتظنى أننى أبكى بهذه الكلمات .

انى أضحك واقهقه ساخراً بنفسى لاني كنت الغبي الذى يتهمه الناس بالفطنة ، والضحك بهذا الاسلوب هو العزاء الوحيد الذى بقي لى (٢)
والرسائل تتضمن أفكاراً وآراء كثيرة تستوقف القارئ والمتأمل .
يقول فى الرسالة الرابعة عشر .

إن غايات الحياة والعقل والقدرة لاتنتهى ، وهذا ما يجعل الحياة تجدد مستمرا ، ومتعة دائمة ومجداً مضيئة (٣) ويقول فى الرسالة الثامنة :

إن شقاء الانسان وعذابه ليست نتيجة لخطائه ، هناك أناس يخطئون دائماً ، ولا يفعلون الا الخطأ ولكنهم لا يدفعون ثمن اخطائهم ، ويعيشون فى انفصال

١ - ٥٢ إلى ابنتي شيرين

٢ - ١١٨ إلى ابنتي شيرين

٣ - ٥٦ إلى ابنتي شيرين

عنها وعن تأثيراتها، وأناس لا يخطئون على الأقل لأنهم لا يجدون الوقت، ولا الامكان للخطأ مع ذلك فهم في عذاب باخطاء غيرهم، إن العاطفة البشرية أقل الأشياء أماناً وثباتاً، ولا سيما عندما تتوهج انفعالاتنا بها. وفي هذه الرسالة كذلك يقول:

ما يعزينا أن الناس لا يموتون، ولا سيما عندما يفقدون حبه، وإن العلاقات لا تنتهي إذا حدث أشكال.

إن الانسان يعيش طويلا وهو يحمل مرض موته ويصارع، والعلاقة تعيش بين قلبين متنافرين وربما يحىء ظرف يتغير فيه التنافر الى حب (١) وفي الرسالة العاشرة يقول:

لا تصدقي إن كلمة الطموح تعني شيئا من الجشع، وهو التطلع إلى المزيد . . إن مطالبنا في الحياة لا يمكن أن تريحنا ما لم نضع لها حدا بالبساطة والقناعة. أقول تريحنا لأن لاشيء يتعب ويجهد كالرغبة في المزيد هذا ينطبق على كل شيء. ان طلب المزيد لا يحقق الأحلام بقدر ما يقضي عليها، يقضي عليها ليحلم بغيرها بما لم يتحقق بعد (٢) ويقول في الرسالة الحادية عشر.

عندما نفعل خيرا للغير ينبغي لنا أولا أن لا ننتظر او نتقبل جزاء عليه من غير الله، وأن نحتمل ما يقابلنا من مكاره اقلها الجحود (سوء الجزاء) إلا إذا عافانا الله من التعرض لها إن احتمال مغارم الخير وما قد يجره علينا من البلاء مضاعفة لجزائنا عليه من الله (٣)

ويقول في الرسالة الثامنة عشر

هناك اشاعات يرفضها العقل تتوفر لها القدرة باستمرار على قتل الحقائق وعلى

١ - ٤٧ إلى ابنتي شيرين

٢ - ٥٣ إلى ابنتي شيرين

٣ - ٥٦ إلى ابنتي شيرين

التشكيك في الواقع وتزييفه، وهي ليست أكثر من إشاعات ترفضها كل مقاييس العقل والمنطق والواقع الملموس .
يقول كذلك في هذه الرسالة :

كثير من الانتصارات باهظ التكاليف أكثر كثيرا من أية هزيمة . وفيها أيضا يقول .

إن بعض الظروف تضع الانسان فجأة أمام مثير من نوع ما فتكون الاستجابة المتسارعة مانعة من صحة التقدير والتروى ولاغربة في هذا(١)

ولقد كان حمزه يفكر في العودة إلى الحجاز ويبدوا أنه كان يتحدث بآماله هذه إلى شيرين حينما كانت معه في القاهرة ولاغربة في هذا وقد عبر عن سعيه للهجرة إلى مصر والاقامة بها ثم سعيه للنزوح عنها والعودة الى بلاده تعبيرا ساخرا طريفا في الرسالة السادسة عشر قال :

وصف مفكر الرجل الأمريكي من الطبقة العادية بأنه يقضى نصف عمره في الريف في محاولة الانتقال الى المدينة، ويقضى النصف الآخر في محاولة العودة الى الريف، وهذا بالضبط ماحدث لي ولم أعد بعد إلى الريف (٢)

إلى جانب رسائل إلى ابنتي شيرين كتاب آخر نشرته تهامة كذلك مشكورة لحمزه شحاته، بعنوان رفات عقل، وهي عبارة عن مذكرات كان يكتبها حمزة لنفسه كما يقول الأستاذ عبد الحميد مشخص الذي استخلصها من بين أوراقه المتناثرة، وليست هي مذكرات بالمعنى الذي يسبق الى ذهن القارئ لأنها عبارة عن أفكار وآراء في شكل مفكرات أو مذكرات يرجع إليها فيما بعد وحسنا فعل الأستاذ عبد الحميد مشخص بجمعها ونشرها، فهي تصور حمزة شحاته الكاتب والمفكر ويفتح حمزة الحديث في هذه المذكرات بسؤال عنوانه من أنا؟ فيقول :

يبدو لي أنني لم أستقبل حياتي منذ وعيت حتى هذه الساعة . . كنت أعيش

١ - ٨٤ رسائل الى ابنتي شيرين . ٢ - ٧٦ رسائل إلى ابنتي شيرين

متأثراً بجملة الظروف والدوافع والمقاومات . . أسير . . وأتقهقر . . وأقف . .
وأحياناً اعدو بجنون . وحيث يتاح لي أن أتأمل ذاتي أرى انني أداة تملئ عليها
مقدرات حركتها وسكونها، لم أشعر قط بتحرير ارادتي، وحين بدا للآخرين انني
اكتهلت بحكم السن، وإتساع افق التجربة، وجدت ان مايسمى الارادة فينا،
ليس إلا حاصل ظروف وعوامل ينسحق فيها ماهو ذاتي وداخلي تحت وطأة ماهو
خارجي .

فإذا قلت الآن بصدق انني أجهل من أنا . . أو ما أنا فلأنى لم استقبل قط ما
استطيع ان أسميه حياتي ولكيلا يعتبر كلامي عن حياتي كلاماً يكتنفه الغموض
أقول . . إنني كنت كالجندي الذي قضى أيامه ولياليه في التدريب والأستعداد
لمعركة لم يقدر له ان يخوضها، أو كالمعلم الذي قضى شطر عمره للتخصص في
مجال معين وقضى الشطر الثاني عاملاً غير ثابت في كل مجال غير مجال تخصصه .
هذا هو أنا، وهذا مااستقبله واستدبره من حياة هذا الانسان (١) .

ويقول تحت عنوان لم انتم لاية مدرسة :

أحب ان اوضح انني قرأت الكثير، كل شيء وصل الى يدي . . تأثرت
وانفعلت بكل ماكان له صدى في نفسي وفكري ولم التزم منهجاً معيناً ففاتي
التخصص في أي شيء، كما فاتني الاحتراف .

ومنها يقول / لم امارس الأدب على انه وسيلة، ولا على إنه غاية، وانما كان
تنفيساً عن شعوري بمرارة العيش وحرارة القلب (٢)

ويقول عن الأدب والمجتمع مايلي :

سيظل الأدب فنا قوامه الجمال والتأثير والفكرة والعاطفة وهدفه الانسان متابعاً
لتحولاته ، قائداً لمشاعره، موجهاً لاهتماماته .

١ - رفات عقل - ١٢ -

٢ - رفات عقل

وفيها يقول : ان الانسان هدف الوجود وغايته ومغزاه والانسان وعلاقاته بالطبيعة مجتمعين أو متفرقين هدف الأديب والفنان . ومنها - والأدب في خدمة المجتمع لا يكون ولن يكون أدباً متجرداً من جمال الفن ، وفن الجمال (١) .

وقد تضمن كتاب رفات عقل المقدمة التي كتبها حمزة لكتاب شعراء الحجاز في العصر الحديث للمرحوم الأستاذ عبدالسلام الساسي وفي هذه المقدمة يتحدث حمزة عن رأيه في الشعر وعن الفوارق بين الكاتب والخطيب والشاعر فيقول : والشاعر يستهدف ما شاء في حياة الفكر والخيال والشعور وحركة النفس وخلجاتها ، واستجاباتها وحقائقها وأوهامها ، أو في حياة الواقع والقانون والمنطق والقاعدة والعمل والتكوين والرأى والعقيدة ولكن من هذا السبيل ، وبهذا الأسلوب سبيل الجمال وأسلوبه الخاص .

ويصف الشعر بأنه : الترف الحافل بمعاني القدرة المعبرة وذخائرها النفيسة في أبهى الحلل والاثواب حتى بساطته وهى اسمى صفاته وغاياته انها تكون ترف البساطة الفنية بالمزخورات ، لا فقرها العارى او المتكلف .

ومنها - ولو سألنا الآن - ماهى أغراض الشعر لوجدنا أنها الجمال والتأثير وإبداع الصور واستعادتها لتوشيتها وجلائها ، وتلوين الحقائق والأفكار أو صنعها أو صنعها لاما شاءت المذاهب والطاقت والكتاب يضم قصائد لثلاثين شاعرا حجازيا يقول حمزة عنهم في هذه المقدمة :

وبعد فان من شعراء هذه المجموعة من لا يفخر الحجاز وحده بهم وبيته ، بل كل بلد عربى وهم السرحان وعواد وقنديل وحسين عرب وإشباههم في معظم السمات وفى بعضها دون جملتها .

ومنهم من يستحق الرثاء ، ومنهم مستوجب التعزير حتى يعلن التوبة عن رفع عقيرته يمثل هذا الهراء ظنه شعرا فافسد به أو كاد جو هذه المجموعة الرقيق حتى

أوشك ان يتحول به إلى جو مظاهرة من المظاهرات التى يغلب عليها عنصر الرعاع والدهماء (١)

ويتحدث عن القديم والجديد فيقول:

التزام القديم هروب طبيعي من مشقات الحديد، ولكن من حسن الحظ ان الحياة هى التى تتولى دائما دفع الانسان الى الامام مكرها كان أو راضيا. إن الشعوب التى تتوقف عن السير مع تيار الحياة والتغير تضطر بعد إلى أن تعدوا لاهثة بجنون لكي تعوض مافاتهما من الوقت وفى هذا العُدو الاضطرارى مزالق الخطأ وكبواته (٢)

وهذه مقتطفات أخرى نختم بها هذه المقتبسات:

الذى يسيء الى من أحسن اليه ليس شريرا . . أنما هو نذل.

إذا كان الطعام رديئا أو قليلا تنعدم المجاملات على المائدة.

إن للنذل ضميره أيضا . . ولكنها دائما على وفاق.

العمل لا يقتل مهما كان شاقا وقاسيا ولكن الفراغ يقتل حتى انبل ما فى الانسان.

إن من لا يندفع إلى الامام . يدفعه تيار الحياة الى الوراء.

ان الفاقة تقتل أشرف الدواعى فى النفس.

لو كان للتاريخ ان يسألنا ماذا تنتظرون؟ لقلنا المعجزة وهذا صحيح ولكن اتراه

ميسورا (٣)

وهناك كتاب ثالث اصدرتة تهامة لحمزه شحاته بعنوان - الرجولة عماد الخلق

الفاضل - وهذا الكتاب عبارة عن محاضرة طويلة ألقاها حمزه يرحمه الله فى مفرج جمعية

١ - ٢٤ / ٣٦ رفات عقل

٢ - ٤١ / رفات عقل

٣ - ٤٤ / ٤٩ رفات عقل

الاسعاف الخيري بمكة المكرمة في شهر ذي الحجة عام ١٣٥٩ (١) وأستطيع أن أقول إنني عاشرت كتابة هذه المحاضرة أو على الأصح هذا البحث القيم، كما استمعت إليها مع الجمهور الذي حضر لاستماعها وكان حمزة يرحمه الله يشكو ألماً في الحلق قبل القاء المحاضرة بيوم وقد عرض علي أن القيها نيابة عنه فاعتبرتها مزحة من مزحاته، وقد القاهها واستغرق القاؤها أربع ساعات كما يقول الاستاذ عزيز ضياء مقدم الكتاب، وكان الشيخ محمد سرور رئيس جمعية الأسعاف يفضل لو أن حمزة جزأها والقاهها في عدة محاضرات بدلا من محاضرة واحدة لان الوقت طال فعلا وهو يتكلم ولكن احدا من الحاضرين لم يترك المكان أو الاستماع.

على أي حال إن القارئ لهذا الكتاب يشعر أنه اكثر من محاضرة تلقى في مكان عام يحضره جمهور متفاوت الثقافة والفهم والذوق، ولقد احسنت تهامة بإصدار هذه المحاضرة في كتاب فهو للقراءة المتأمل المتأنية، وليس للقاء في حشد من الناس، ولو حاولت ان أصور المحاضرة أو اخصها لما استطعت ولجاء هذا التصوير أو التلخيص في صورة مبتورة لا أرضى عنها ولا يرضى عنها أحد لهذا فلنني انصح القراء بقراءتها قراءة متأنية والتأمل في معانيها في هدوء وأكتفى بأن اقتبس نتفا صغيرة منها وانا احذر القارئ سلفا واعترف له بانها لاتهدف الى شيء اكثر من تشويقه الى هذه القراءة وتحبيبه فيها فلنبداً الاقتباس وامرنا الى الله - يقول الكتاب :

لاتكون النظرة إلى حقائق الحياة والفكر خالصة، إلا من إناس يرون أنفسهم فوق قيودها وقوابها وهؤلاء يدعون بالمجانين تارة، وبالفلاسفة وقادة الفكر تارة، لان حظ الصفات والمبادئ والنزعات يرتبط بحظ الداعين اليها والمتصفين بها من الانجاح والفشل.

ويقول : ونحن نحلم بالقمم الشاخنة، ولكننا نرجو أن نصحح مقياسا من

١ - انظر ماكتبناه عن المحاضرات في هذه الجمعية في كتابنا أعلام الحجاز في ترجمة السيد صالح شطا

مقاييسنا الفكرية ولوبالشك فيه ، لأن الركود في تاريخ أمة تتطلع الى ماوراء حدودها الجامدة شر من الخطأ .
ويقول كذلك :

والايمان بالفضيلة قديم ، كما ان الكفر بالرديلة قديم ، والحرب بينهما لاتزال قائمة ، ماتهدأ لها تأثيره وهي سجال بينهما ، ميدانها النفس الانسانية تارة ومجال الحياة الظاهرة تارة اخرى وستبقى سجالا هكذا إلا إن أراد الله ، فاذا انهزمت الرديلة في مجال الحياة الظاهر لم تنهزم في مجالها الباطن فعرشها مايزال موطن الاركان في النفوس .

ثم يقول : ولامرء في ان الايمان الكامل الصحيح بالفضيلة معرفة وعمل تقتضيه هذه المعرفة واردة وحرية .
ويقول أيضا :

وحب الوطن فضيلة ولاشك ، هو فضيلة المتوحش والهمجي والاجتماعي والمتمدن وفضيلة قد تتسع وتمتد حتى تكون أساسا لحب الوطن العام للبشرية كما كان حب المأوى الخاص أساسا لحب الوطن الجماعي فالوطن القومي فهل كان أساسها إلا الضرورة؟ وهل كان الوطن عند الانسان القديم الا هذه المعاني وإلا قرابة مدلولاتها من حياته؟
ويقول كذلك :

كان الناس يتحاربون على سطح الأرض ، صاروا يتحاربون في أعماق البحار وفي أجواء الفضاء
كانوا يفتتحون المدن بالقوة ، صاروا يفتتحونها ، ويفتتحون النفوس والأفكار بتسميم عقائدها بالدعاية

كانت الحرب حرب اجساد ، صارت حرب أعصاب وعقول وأفكار ، ليس هذا هو الفارق بين أمس واليوم إنما هو الفارق بين إنسان أمس وإنسان اليوم .
تقدم الذكاء والعقل والعلم ، هزم القوانين المسلحة وهزأ بها لانه أقوى منها .

ويقول أيضا :

كانت في حياة محمد ﷺ تضحية صادقة الى آخر حدود طاقة النفس الانسانية واحتماها . كانت حياء يدفع الناس ألا ينهزموا في مواطن الجهاد ، أمام الكثرة وأمام الموت المحقق كانت حياء لا يترك الغنى يأكل حتى يشبع الضعيف . وكانت مثلا أعلى تضربه قطعة لحم كما تضربه قافلة ضخمة يجلبها عثمان للتجارة فينفقها للحياء .

قطعة من لحم تطوف على بيوت الأنصار والمهاجرين مطافها الطويل حتى تعود الى الأول ، وكانت مثلا تضربه شربة ماء يدفعها جريح يعالج سكرات الموت ، يستحي ان يشرب وهو يسمع أنين أخيه الجريح فيقول حياؤه ربما كان أحوج اليها مني فتدور يدفعها جريح الى جريح حتى تعود الى دافعها فاذا هو قد مات وإذا هم قد ماتوا .

وأمسك عن الاقتباس بعد هذا الابداع الذي نقلت اليكم صورة باهتة منه لتقرأوا بأعينكم وتستمتعوا بقلوبكم .

ان كتاب الرجولة عماد الخلق الفاضل يمثل حمزة شحاته كاتباً مفكراً رائع الأسلوب بعيد الغور ثاقب النظرات فإذا اردتم ان تعرفوا حمزة شحاته الكاتب المفكر فأقرأوا هذا الكتاب .

ونكتفى الآن عن نشر حمزه شحاته بما كتبناه عن رسائله ومذكراته وكتابه الأخير لنفتتح الحديث عن شعره وهو في القمة ليس بين شعراء بلادنا وحسب ولكن بين شعراء العرب في الوطني العربي كله .

حمزة شحاته الشاعر

عرفت حمزة شحاته في أواخر الأربعينات وكان يومها في العشرين من عمره وكان في هذه السن الباكرة شاعرا مرموقا يحتل مكانه بين كبار الشعراء في الحجاز وقد أطلعني حمزة على قصائد له نظمت قبل ذلك بسنوات وهي في نفس المستوى العالي الذي عرف به شعره فيما بعد، لقد ذكرت في تراجمي لكثير من الأعلام أن بداياتهم دائما كانت تبشر بالاجادة والابداع، أما حمزة فكان الأبداع سمته البارزة منذ ان عرف الناس شعره، فهل اخفى هو ما لا يرتضيه من بداياته حتى يظهر للناس بالصورة المشرقة التي أراد بها ان يواجه الناس؟

ان كان ذلك فهو دليل جديد على تمكن حمزة من ناحية الفن الذي يزاوله فلا يطلع الناس منه إلا على الجودة والأبداع.

لقد تأخرت في الكتابة عن حمزه لأنني لم اجد المراجع التي أرجع اليها بالنسبة لشعره، فلقد كان كلما نشر في حياته بعض القصائد المتداولة والتي سجلت في بعض المراجع ولكنها لا تطفئ الغلة لمن يعرف مقدار ما نظم من الشعر وخاصة بعد رحيله إلى القاهرة وبقائه بها السنوات الطوال.

والقصائد الوحيدة التي نشرت بانتظام كانت هي المباراة الشعرية التي حدثت بينه وبين الأستاذ محمد حسن عواد في صوت الحجاز والتي ستتحدث عنها حديثا مستقلا فيما بعد.

وهذه المجموعة على تعدد القصائد فيها وكثرة تعداد أبياتها لا تمثل إلا جانبا واحدا من الجوانب الشعرية لحمزة، وهو متعدد الجوانب فالحديث عنها لا يكون إلا حديثا مبتورا، لهذا فأني لجأت الى الصديق الشيخ محمد نور مجوم رجل الأعمال المعروف وهو صديق عمر الشاعر وصفيه ووصيه بعد وفاته لجأت اليه حيث علمت إنه يحتفظ لديه بمجموعة كبيرة من قصائد حمزه شحاته، وكان الشيخ محمد نور مجوم عند حسن الظن به فوضع بين يدي المجموعة الكاملة لشعر حمزة شحاته وأضاف اليها القصائد المطبوعة بعد وفاته بعنوان «شجون لا تنتهى» وكذلك بعض

المؤلفات التي سجلت بعض قصائد حمزة، وكان لاطلاعى على المجموعة المكتوبة بخط الشاعر اكبر الاثر فى تشجيعى على اظهار ترجمته وهى تحمل صورة لا أقول كاملة ولكنى أرجو ان تكون وافية بإذن الله .

وقبل كل هذا اود أن أذكر ان صديقنا الشيخ محمد نور مجوم باحتفاظه بهذه الثروة الشعرية ومحافظة عليها طيلة هذه العقود من السنين قد أسدى يدا عظيمة للشعر فى هذه البلاد سيذكرها له المعنيون بتاريخ الأدب والشعر وخاصة حينما يظهرها الى النور مجموعة بين دفتي كتاب كبير بإذن الله ، والآن فلنفتتح صفحات هذا الكتاب أو هذه المجموعة التى ستكون كتابا لنختار من هذه العقود الثمينة بعض اللآلئ التى نتحف بها القراء ، من هذا الكنز المخبوء .

نظم حمزه فى فنون الشعر المختلفة وأبدع فيها أيما إبداع ، والقارئ لمجموعة اشعاره يخرج بانطباع يصور الشاعر متشائما بالحياة ، هازئا بما اصططح الناس على الاحتفال به والتطلع اليه حتى ليذكرك بالمعرى .

ما أرى فى البقاء الا علالات خيال مآلها التنغيص
والردى صائد النفوس فما فر كناس منه ولم ينج عيص
فعلام العناء يضني المجدين ويصلاه طاعم وخميص
يالها رحلة برانا بها الجهد ولكن قد عز فيها النكوص

هذه زفرة متشائمة يرى فيها الشاعر ان لاجدوى من السعي فى هذه الحياة والعناء فيها فالردى بالمرصاد لم ينج منه كبير ولا صغير .

ولكن متى وصل الشاعر الى هذا ، انه جدٌ وكافح فلم يصل به السعي إلى نيل ما يريد .

قطعنا سبيل الغمر جهدا وراحة
فها نحن والأمال رهن مصيرها
نروم منى ضنت بهن العواقب
فلول روت مأساتهن الغياهب
ومنها

شقيننا بما قد كان فى مشرق الصبا
فها نحن فى ماكان والعمر غارب

مرامي نضال طول الأين عمرها
إلى أين لاتدري وقداهم السرى
وفيم وغايات المساعي موارد

وتختتم هذه القصيدة بهذا البيت :

فطالت به آصارنا والمتاعب
سوى أن وهماً في الدجنة ضارب
تطيب بها للناعمين المشارب

وتقضى بما تلقى نفوس كريمة

وتدفن في ظل الخمول مواهب

وهذه قصيدة أخرى تذكرونا بأبي العلا كذلك

علام بكى الباكون في الحى هالكا
وهل يعقل المفجوع في غمرة الأسى
الا ربّ شاك من مساء يومه
تنبأت بالأحداث قبل وقوعها

ومنها

تسائلني كيف انتهيت الى الرضا
اهبت بعزمي فاستجاب فردني
تشبهت بالساعين عزموا هبة
ومنها :

رأيت دروب العيش شتى لمن وعى
وقد حَظِيَ اللاهون بالصيت والغنى
وهذه قصيدة عنوانها الى صديق

وكل وجود شعلة سوف تطفأ
مقالك ان الصبر للحزن ادراً
تطامن لليوم الذى هو أسوأ
فما حاطني مما حذرت التنبؤ

وماعلمت ان العزائم تصدأ
لسالف أطوارى حياء ومبدأ
فأخبرني انى عجلت وأبطأوا

مسالكها واحترت من أين أبدأ
فشادوا وسادوا وانتشوا وتبوأوا

تحية الشاعر للشاعر
مكتومها المطوي والظاهر
في يومنا أو أمسنا الغابر

من ذاكر العهد الى ذاكر
فيها الهوى الماضي بآثاره
والود والصدق وذكرى المنى

ومنها :

والهازىء الكافر بالحاضر	تحية الباكي على ماضى
مما يرى فى كونه السادر	تؤوده أعباء .احساسه
أعيت على القائف والزاجر	من صور العيش وأساراه
مطوية فى لجه الزاخر	مكرورة فى أبد أبد
وأين مرسى فلكها الحائر	من أين؟ لاتدرى وحتى متى؟
على متون الشبح النائر	ماهي؟ ما الغاية من قذفها

ومنها :

وفكره وحظه العائر	تحية المفجوع فى قلبه
ايمانه بالخلق الطاهر	عاف الهوى والحسن مذجافيا
من شبه الفاضل بالفاجر	وجانب الناس لما هاله

ويقول أخيرا

والساهر المكدود للساهر	تحية الشاكي الى مثله
هانا لمستعمل ولاهاجر	عاشا على ضنك سواء فما
خليقة بالفخر من فاخر	حالاها حال على سوئها
بجارج ينقض أو كاسر	وحلقا فى الجو لم يعبأ

ونكتفي بما أوردناه من هذه الصور المتشائمة لننتقل إلى صور أكثر إشراقا وأوفر بهجة تتجلى فى شعره الغزلى الرائع
يقول فى قصيدة بعنوان نفيسه وهي من شعره فى المهجر- فى مصر- -

الهمت والحب وحيي يوم لقياك	رسالة الحسن فاضت من محياك
من أين يا أفقي السامي طلعت بها	حقيقة ما اجتلاها النور لولاك

كانت بنفسى وقد طال المدى حلما
لم أشهد الحسن يبدو قبل مولدها
حتى برزت به فى ظل معجزة
ومنها :

يا شاطيء النيل ما فاضت شواطئه
ولا استهل شراع فوق صفحته
ولاسرت عبر مجراه نسائمه
ولاتنفس فجر فى خمائله
ومنها :

يا منحة النيل يا أحلى روائعه
وهل ترعرعت طفلا فى معابده
أم كنت لؤلؤه فى يمه سحرت
أم أنت حورية ضاقت بموطنها
أم أنت روح ملاك حل فى امرأة
فضمك النيل فى رفق فهمت به
ومنها :

يا فجر يا بدر يا زهر المنى ابتسمت
ما كنت قبلك الا صادحا صمتت
ومنها :

الحب قلبان فى مسراهما التقيا
وفيم انفذ فى قلبى ارادته
لم يعطينى منك الا الحسن همت به

فصورته لغينى اليوم عيناك
الا صناعة اصباغ وأشراك
يضاعف الصدق معناها بمعناك

سكرا وعريضة ألا من حياك
مغالبا وجده الا ليلقاك
الا لتلثم فى صمت الدجى فاك
الا ليملأ عينيه بمرآك

هل أنت من سحره أم قد تبناك
أم كاهن فى ربا سيناء ربك
فصاغك اليم مخلوقا وأنشاك
فهاجرته صنيع المضنك الشاكي
فخافك الملاء الأعلى فأقصاك
حبا ووئقت نجواه بنجواك

يا خمر يا جمر فى احساسى الذاكى
به الهموم فلما لحت غناك

فكيف الزمنى قيدى وخلأك
وقادنى لمصيرى اذ تحاماك
حتى استردك غير انا وحبابك

وأين قلبك لم أسمع لحفقتة صدى ألم يعنه أني معنأك
ومنها :

يابنت حواء هل بالذنُّ باقية تغني فيشر بها من ليس ينساك
فقد حملت غليل الوجد مرتضيا نعماك ودا فلم أظفر بنعماك
اظمأتني وصرفت الكأس ظالمة عني بشعر على الحالين ضحاك
ومنها :

طامنت من كبريائي فيك فاحتكمي فالحب ارحص من قدرى واغلاك
انت الحياة بلونيهامحبة فما ارقك في نفسي واقساك
فليت لي منك بالدنيا وما وسعت يوما تجود به للوصل مسراك

والقصيدة طويلة تبلغ المائة بيت او تزيد وكلها من هذا النسق العالي عاطفة
ناثرة متدفقة ، ودياجة مشرقة ناصعة وتسلسلا عذبا كالغدير الصافي لاتصدمك فيه
لفظة موحشة أو كلمة نابية أو معنى دخيل وفوق كل هذا وذاك تحس فيه بهذا الوهج
الذى يصهر القلب، ويشير العاطفة وسيطر على الاحساس وهذا هو الشعر فى
صورته الرفيعة الحافلة بالجمال .

حمزه وقنديل

وهذه قصيدة أخرى بعنوان «لم أهواك» وهذه القصيدة قصة يحسن بنا ان نذكرها
فقد نشر الشاعر الأستاذ أحمد قنديل يرحمه الله قصيدة فى صوت الحجاز بعنوان -
«مالذى فيك» ومطلعها :

مالذى فيك يامعيدا الى القلب صباه من بعد ان عاد كهلا

وهى من غرر شعر القنديل وقرأها حمزه وأعجب بها ايما اعجاب وكأنها كان هذا
الأعجاب بالقصيدة وما تضمنته من المعانى الجميلة الرائعة باعثا له على نظم
قصيدة لم أهواك ومطلعها :

ياحبيبي ياملتقى السحر والفتنة
لم كانت ولا أسومك لوما
ياغالبى على امر نفسي
الانى آثرت فى حبك القاهر
قسمتي فى هواك قسمة وكسى
عزى ذهبى تطلب تعسى
ثم يتساءل :

لم أهواك؟ أيها المفعم النفس شجوننا وحيرة وشقاء
الحسن؟ فالحسن فى البدر والزهرة اندى وقعا واضفى رواء
ام لمعنى شفت مفاتنك العذبة عنه فكاد ان يترأى
فالمعاني فى الكون ليست على الانسان وقفا الا هوى ودعاء
ومنها :

فتراهى فى قطعة الأرض والصخرة شعرا لم يبله الترديد
وتراها فى نامة الظبي للظبية سحرا يبدى وحبا يعيد

وتراها فيما ترى من جميل
صورا حية يناجيك منها
كل وجه دنيا بتاريخه النابض
وفضاء لا يعرف الحد والقيد
وقبح وهين وعظيم
ألف وجه من كالح ووسيم
تصبي بحادث وقديم
ولا وغرة الضنى والسهموم
ومنها :

أتراني أهواك حقاً؟ فما فيك لمثلي معنى يمازج حسي
أم تراني أهواك زوراً؟ فلم يصبح قلبي على هواك ويمسى
أم تراني احب فيك وما أشعر نفسي وأنت عندى نفسي

لانا منك فى سبيل من الحيرة تضي عقلي وتثقل حدسي

والقصيدة طويلة فى اكثر من ستين بيتا وهى حافلة بهذه المعاني التى يتساءل فيها
الشاعر لم يهوى حبيبه ويدفعه هذا التساؤل الى الشك ولكن الأحساس الذى

يعانيه يرده الى دنيا الواقع وبين هذا الشك وتساؤلاته، والواقع واحساساته تتجلى
هذه الروائع التي ابدعها الشاعر فنا معجبا وشعرا مطربا يشرق فيه الفكر، كما
تشرق فيه العاطفة أيما اشراق.

وما دمنا نتحدث عن علاقة القنديل بحمزة وهما صديقان حميان جمعت بينهما
الصداقة في آواخر الأربعينات فهناك قصيدة أخرى لحمزه أو على الأصح قصيدة
للقنديل أوحى الى حمزة بنظم قصيدة من أجمل قصائده، هذه القصيدة هي
قصيدة جدة وهي من مشهور شعر حمزة، وقد سجلت بعض أبياتها في نصب في
مغنى الكورنيش على ساحل البحر الأحمر في جدة.

أما قصيدة قنديل فقد نشرت كذلك في صوت الحجاز وأعجب بها حمزة فكانت
سببا في اظهار رائعته الشهيرة عن جدة. وقصيدة قنديل مطلعها:
لك يا جدة الحبيبة في القلب مكان محب مألوف
طار فيه صدى الجديدين بالأمس وما زالت الحياة تطوف
أما قصيدة حمزة فمطلعها:

والهوى فيك حالم مايفيق	النهى بين شاطئيك غريق
يستفز الأسير منها الطليق	ورؤى الحب في رحابك شتى
إلى ربها المنيع رحيق	ومعانيك في النفوس الصديقات
ومعنى من حسنه مسروق	سحرته مشابه منك للخلد
وغصن الصبا عليك وريق	كم يكر الزمان متشد الخطو

هذا وإني لأخشى ان الاقتباس هنا يفسد تسلسل المعنى فالقصيدة وحدة كاملة
مترابطة الاجزاء ولو تركت لنفسى لاثبتتها كاملة ولست اقصد لهذا وإنما أنا ارمي
الى اعطاء القارئ صورة مصغرة عنها فليرجع اليها كاملة من أراد الاستمتاع حقا
بما فيها من المعاني والصور الرائعة.

ومنها

انت دنيائي رفافة بمنى الروح وكونُ بالمعجزات نطوق

راضى القيد فى حماك فؤاد	عاش كالطير دأبه التحليق
ما تصبته قبل حبك يا جدة	دنيا بسحرها او عشيق
حبذا الاسرفى هواك حبيبا	بهوى الفكر والمنى ما يفوق
منهجى فيه منهج الطائر الالف	ينزوا به الجناح المشوق
فاذا هم اشغلتهم فروض	من هواه واثقلتهم حقوق

وهذا معنى جديد فى حب الوطن صاغه الشاعر فى هذه الصورة البارعة الساحرة تأبى طبيعة مزاج الشاعر الا ان تظهر فى هذه القصيدة كما تظهر فى كل شعره فيقول:

كم معنى مثلي يطارحك الحب	فينبويه السبيل الزليق
ودعني يصطك فى فمه القول	عثارا مكانه مرموق
امن العدل ان يشاركني فيك	جبان عما اريغ فروق
وقصاراه فى هواك هوانا	أمل ضارع ووجه صفيق
لاتلومي على عتابك حراً	قلبه منك بالجراح شريق

والقصيدة كذلك فى نحوستين بيتا وهى من أروع الشعر واعذبه، وأودها ان انبه القارئ الى أن مجارة شاعر لشاعر فى النظم فى موضوع معين لا يعيب الشاعر ولا ينقص من مكانته، فالشعر فن يتصل بالعاطفة فى صورها المختلفة وقد يتفق الشعراء فى المعانى بل وفى الالفاظ وفى الموسيقى الشعرية ولكن هذا لا يقدح فى قدراتهم ولتنقاد مقاييس يلجأون اليها فى هذه المواقف ليس هنا مكان بسطها، وبالنسبة للشاعرين فكلاهما عبر عن الموضوع بإسلوبه الخاص، وهو أسلوب متميز عن أسلوب الآخر، وقد تصرف حمزة فى كلا الحالتين تصرف الشاعر القادر المتمكن، ولقد كان شوقي يعارض قدامى الشعراء فى روائعهم فينسج قصائده على مثل القافية والوزن، وقال الرافعى رحمه الله واصفا ذلك من شوقي فأراهم غباره وولئى ولكنه وقف عند المتنبي، وقول الرافعى هذا كان فى مجال الأكابر لما صنع شوقي وليس فى مقام الأزرار عليه.

ونكمل الآن حديثنا عن حمزة والقنديل بالشعر الضاحك الذى اشتهر به قنديل فنقول إن حمزة نظم هذا الشعر ولكنه احتفظ فيه باللفظ الفصيح ولم يلجأ الى اللهجة العامية كما فعل قنديل وأذكر هنا بعضاً من قصائده التى عثرت عليها فى هذه المجموعة التى تصور هذا النوع من الشعر الضحاك ولكني أنقل هنا من كتابي أعلام الحجاز ما ذكرته عن بداية قنديل فى نظم هذا الشعر وعن القصيدة التى نظمها حمزة منه فى مناسبة من المناسبات ، كانت دار الهلال فى القاهرة تصدر مجلة أسبوعية اسمها الفكاهة وهى مجلة فكاهية كما يدل عليها اسمها ، وكان يتولى رئاسة تحريرها الأستاذ حسين شفيق المصرى وهو شاعر مجيد وزجال مصرى معروف ، وكان الأستاذ حسين شفيق فيما أعرف هو أول من نشر الشعر الضاحك فى أسلوب عامي ، ولكن هذا الشعر العامي كان يحتفظ بالوزن والقافية ، وكانت الطريقة أنه يفتح القصيدة بمطلع قصيدة من عيون الشعر العربى القديم ثم ينسج على منوالها كلاماً موزوناً مقفى تختلط فيه العامية بالعربية الفصحى وكانت مواضيع هذا الشعر دائماً انتقادية ولكنها فى أسلوب فكاهي مقبول ، وكنا نجتمع فى مكة المكرمة مع الاستاذين حمزة شحاته وأحمد قنديل رحمهما الله وجاء يوماً ذكر هذا الشعر الذى كان يسميه الأستاذ حسين شفيق المصرى الشعر الحلمنتيشي - فسأل حمزة قنديل ان كان يستطيع النظم على هذا النسق فأجاب قنديل بالايجاب وفى اليوم التالي بدأت المحاولات الأولى للقنديل فى هذا الشعر وكانت موفقة جداً وما هى الا فترة بسيطة حتى بدأ القنديل فى نشرها فى صوت الحجاز ووجدت صدى شعبياً واسعاً واستقبالا حسناً . الخ

ثم قلت بعد ذلك / ولعل معظم القراء بل والادباء لا يعرفون ان المرحوم الأستاذ حمزة شحاته ينظم هذا الشعر ولكنه لم يستمر عليه ، وانما نظمه مرة واحدة أو مرتين وله قصيدة جميلة أذكر بعض أبياتها فيما بعد ، وهذه القصيدة لها قصة لا بأس من ايرادها ، فقد علم ان العراق سيرسل بعثة كشافة الى المدينة المنورة ومكة ، ولعل ذلك فى زمن الحج وارادت الحكومة ان تكرم كشافة العراق فأعدت لهم برنامجاً

حافلا كان من ضمنه إقامة حفل تكريم لهم في جدة وتولى الأخ الشيخ محمد عبدالله رضا يومها أمر ترتيب هذا الحفل الشعبي فأرسل دعوة الى شباب مدينة جدة للحضور الى منزله ودعاهم للتبرع لإقامة هذا الحفل ، ولكن المرحوم حمزة شحاته لم يدع الى هذا الاجتماع مع اننا كنا جميعا على علم بالحفل الذى كان سيقام فى بيت نصيف ، وكان صديقنا المرحوم الأستاذ حسين محمد نصيف - مؤلف كتاب ماضي الحجاز وحاضره - يخبرنا يوميا عن هذا الحفل ويحثنا على الحضور فيه ، وغضب حمزة لعدم دعوته من قبل الشيخ محمد عبدالله رضا فانشأ قصيدة ضاحكة صور فيها ما وقع من المجتمعين للتبرع فى أسلوب ضاحك جميل والقصيدة أخذ مطلعها من قصيدة أبي تمام المشهورة :

بسيفك يعلو الحق والحق أغلب	ويضرب سيف الله أيان تضرب
وبالأمس قد أرسلت حنة دعوة	الى فتية بالصالحات تحزبوا
فلم تك الا ساعة أو دقيقة	تجاروا سراعا بعدها وتكربوا

ومنها يصف كيف حاول المجتمعون الهرب حينما علموا أن عليهم التبرع للحفل

وبصوا الى الباب الكبير ليهربوا	ولكن باب الدار ما منه مهرب
لان حوالياه الحضارم وقف	وفى يد كل منهموكان شبشب

ثم يصف ملابس التبرع

فقام فتي منهم حزبيء حجنجل	فجاد بربع ريال فانبروا وتعجبوا
وقالوا استحي ياسي فلان فانه	قليل ومن يكتب قليلا يؤنب
فقال لهم ليش نسبتي تقتضى كدا	فان راقكم قولي والا فاحسبوا
فبان حماس فوق وجه زعيمهم	فسجل عشرينا وقد كاد يغضب

والقصة ان المرحوم الاستاذ محمد لارى - والد الأستاذ رضا محمد لارى - كان من ضمن من حضروا الاجتماع فجاد بربع ريال فقال المجتمعون انه قليل فقال

لهم انه ليس قليلا بالنسبة لما تبرع به الشيخ محمد رضا فتحمس الداعي وسجل
عشرين ريالاً أخرى وسواء أكانت القصة حقيقية أم من خيال الأستاذ حمزه رحمه الله
وأغلب الظن أنها حقيقية فإن إيرادها على هذا النحو في هذا الشعر الضاحك كان
مناسبة يتفكه بها مجتمع جذة كلها، فكاهة تخلو من الحرج والبذاء (١) وهنا قصيدة
تبدأ بهذه الأبيات :

ماذا وقوفك بالأطلال والدمن	موزع النفس بين الشعر والشجن
يرمي بك الوجد في صحراء مجدبة	طوت حياتك طي البحر للسفن
تهم فيها شريداً لاقرار له	وترسل الدمع مدرارا بلا ثمن

ثم يقول بعدها

(بعزقت) عمرك لا الاحباب منك دنوا	ولا بلغت مكانا في ذوى الفطن
الكاسبين ملاينا وماكدحوا	وأنت في قفص من عقلك الزُمن
تمرجلوا واستغلوا كل سانحة	من المصالح في سرّ وفي علن
وقدت انت رعيّل الفن متكثا	على مبادئ سقراط واهرمن

ومنها :

وكان درسك فيها لوفطنت له	درسا تفيق به من سكرة الوسن
اذ قام يصرخ والملقاط في يده	كالسيف يهتز في كف بن ذى يزن
وجاء من كركون الريع ضابطه	على الزعيق وحشد من ذوى حسن
وكان يوما تشاظرناه بهدلة	وكنت فيه وحدي دافع الشلن
كينوم وقعتنا بعد الغداء على	قرشين لم يدفعنا في مطعم البُين
خرجت فيه بلوح الكتف منخلعا	ورحت خلفك فيه دارم الأذن

(١) انظر كتابنا اعلام الحجاز صفحة ٢٢ - ٢٦

وكان شعرك فيه مصدر المحن
نقضى بها فضل عمرينا على سنن
نقضي بها دين راعي العيش واللبن
بعد الضياع بلا شعر ولا سفن
وأنها مهنة من أخسر المهن

تجاربٌ وحشة خضنا معاركها
أما لنا غير قرض الشعر مشغله
الأ وظيفة نرجوها ولو صغرت
ونستردها في الناس سمعتنا
وحسبنا مالقيننا من بهادها
ويقول في آخرها

الأمواج دهمل اوطالا ودهملني
مذ ضاع عمرك بين الشام واليمن
رقعا تمثلت فيه لعبة الأنين
فهل بنيت بها حوشا من اللبن
على البلاط طوال الصيف كالورن
ولا انت في نفقات البيت ذا شطن
من نامس الليل بل من اجرة السكن
مادام شعرك فيها عقدة الكفن
في قهوة السد أوفى مقعد اللبني

فما وراءك إلا النحس ملتطم
وايه لزوم كلامي منت عارفه
وداب ضهرك بين الأخذين به
قد شدتها من صميم الفن أبنية
بل نمت في دكة الزيدان منطرحا
لا انت ضيف فيرجى يوم رحلته
وزغت من فندق التيسير لاهربا
باطت حياتك ماضيها وحاضرها
وخضت من غمرات الصبر أحلكها

والقصيدة كما يرى القارئ صورة لشاعرين صديقين يندبان حظهما العاثر بعد
أن صفرت أيديهما من المال ، كما خلت أوقاتها من العمل ، وكيف تعرضا للفضائح
في مركز الشرطة بالريع - والريع كما لا بد وان يعلم القارئ هو باب الريع في مدينة
الطائف وهو مسرح هذه القصيدة أما المعركة التي تعرضا فيها لخلع الكتف وورم
الأذن فهي في مطعم يُنْ ويُنْ هذا كما لا بد أن يعلم القارئ صاحب مطعم شهير
للأكل الجاوى في مكة المكرمة أما الأنن الذي ورد في البيت :

وداب ضهرك بين الأخذين به رقعا تمثلت فيه لعبة الانن

الأنن هذه لعبة شعبية يغمض فيها أحد اللاعبين عينيه ، ويضربه أحد اللاعبين
حوله وعليه أن يمسك اليد التي صفعته او على الأقل يميزها فإن اهتدى اليه حل

الضارب محله واذا فتح المضروب عينيه هز الجميع حوله أياديهم وهم يقولون إننن، إننن
أما الزيدان فهو صديقنا الكاتب والمؤرخ الأستاذ محمد حسين زيدان والمعروف
للجميع وكان له منزل قروى فى مدينة الطائف ولعلها كانا ضيفين عليه .
أقول والقصيدة كما ترى فصيحة فى جملة تعابيرها بإستثناء بعض الالفاظ التى
وضعناها بين قوسين والفارق بين ما نظمه قنديل من الشعر الضاحك أن قصائد
قنديل تغلب عليها العامية الفاظا ومصطلحات وامثالا ، بينما يحتفظ حمزة بالألفاظ
الفصيحة . . باستثناء بعض الكلمات وعلى أى حال فإن ما نظمه حمزة من هذا
النوع من الشعر لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة عددا بينما ان قنديل نظم الكثير من
هذه القصائد والرباعيات حتى أصبحت له دواوين كاملة منها .



حمزة شحاته والعواد

المعركة الشعرية العظيمة التي دارت بين الشاعرين حمزة شحاته والعواد في النصف الثاني من الخمسينات أوفى أوائل الستينات ان لم تخنى الذاكرة معروفة في أوساط الأدباء، دارت رحى هذه المعركة على صفحات جريدة صوت الحجاز قصائد شعرية تبادلها الطرفان بعد أن رمز كل منها لنفسه باسم مستعار أخذ حمزة لنفسه اسم الليل رمزا واتخذ العواد لنفسه اسم الساحر العظيم رمزا وبدأت المعركة بقصائد رمزية ينتصر فيها كل منهما لنفسه تحت ستار الحرب بين عناصر الطبيعة وما إليها وقد تحولت المعركة بعد ذلك الى هجاء مقذع تناول الأعراض ولم يكن ينشر بصحيفة صوت الحجاز وإنما كان يكتب باليد ويوزع على احياء مكة (١) ونواديبها وشاع امر هذا الهجاء وذاع حتى بلغ الى سمع المعنيين في الحكومة فخاف الشعاعران وطوى كل منهما هذه الصفحة السوداء بعد ان انزلق معها في هذا الطريق الأستاذان أحمد قنديل ومحمود عارف وكانت القصائد التي نظمها حمزة في هذه المعركة ونشرها مفقودة بينما ان العواد اثبت قصائده في ديوانه الشعرى لعلها تحت عنوان (يد الفن تحطم الاصنام وهي تمثل جزءاً هاماً من شعر العواد ويسرني ان اذكر هنا اني وجدت القصائد التي نظمها حمزة ضمن المجموعة التي احتفظ بها صديقنا وصديقه الشيخ محمد نور هجوم وإنه ليسرني هنا ان اثبت بعض مقاطعها، وحينما يتم نشر ديوان حمزة شحاته وتنشر فيه هذه القصائد سيتمكن الدارسون لشعر الشاعرين من الحكم في هذه المعركة الشعرية التاريخية اذا صح هذا التعبير .

ملحمة

هذه الملحمة تتكون من سبعة عشر مقطوعة كل مقطوعة تتألف من خمسة أبيات، وهي تصور مفاخرة بين البحر والعاصف يرويا الليل، وقد رمز حمزة لنفسه بالعاصف ولخصمه العواد بالبحر وتبدأ الملحمة هكذا:

١ - انظر تفاصيل اوفى عن هذه المعركة في كتابنا أعلام الحجاز في الحلقة الخاصة بمحمد حسن عواد .

حدث الليل والحديث شجون وحديث العظيم هو وجدٌ
تلهى به نفوس الخليلين ويعنى بلبه المستمد

قال : كانت عناصر الكون كالأحياء قدما تروح فيه وتغدوا

لم يقيد كل بقانونه الصارم والقيد حاكم مستبد
فتلاحت يوما وجد بها الشر ولشراً ثورة مأخوذ

وادعى كل عنصر قصب السبق وادلى بحجة المتحدى
قالت النار، انني عنصر الفتك اذا اورت المطامع زندي
اتلقى الحديد بالجاحم المودى واردي الصلاب إن جد جدى
ويعيد الاجرام حرى رمادا وينير السبيل ضوءاً ويهدى
انا للكون بدء تاريخه النابض مذ قلت يا حياة استعدى

هكذا قالت النار فاجاب التراب انه هو العنصر الذى صنع منه الانسان
والوحش والنبت فهو سر البناء ولم يكن للوجود أصل لو لم يكن التراب فاندفع البحر
غاضبا قائلا :

قال ماذا الست من يطفىء النار اذ آذنت بوشك شوب
الذى يسكن العناصر ان ثارت وتعنوا من خيفة ووجيب
والذى اغرق الشواطىء لوشاء وجاز الأمداء غير هيوب
ثم يقول :

حدث الليل قال واندفع البحر يظن الشيطان كل الوجود

ومنها

من له بالجبال ترميه بالهزء صنيع القوى بالمكدود

شاخات إذا تطامن بحر أو تنزى به عرام الحقود

من له بالنجوم بالبدر بالشمس اليست بصيرة وهو اعمى
من له بالطيور تسبح فى الجو وخفاها معنى وروحاً وجسماً
من له بالنسيم بالريح بالعاصف تغزو الحياة حرباً وسلماً
ثم :

حدث الليل قال واستقبل العاصف هذا الطاغى الجهول وهما
هم فارتد فارتقى فطوى الدنيا حياة ومسرحاً وخضياً

هذه هى المعركة مفاخرة بين العناصر تنتهى بالعاصف يثور على البحر فيطويه
فاذ بالبحر يلفظ كلمة اشتمل عليه وإذا شطآنه ساكنة هادئة ، وإذا به يرجف من
هول مالقى من العاصف فيرتد الى قرار مهين .

واستنجد البحر فلاناً أو قال طوداً أشمياً
معلناً ضعفه وقد آنس الموت عياناً يدعو الضراعة حزماً
وترامى إليه يلتمس العون والقى قياده واستدماً
قال هيهات ان يحجر من العاصف طود يرى غرورك جرماً
بيد انى محاول لك مارمت وملق على سجايأى غرماً

هكذا وسط البحر الطود حتى يرحمه العاصف مما حل به من المصائب
والخذلان ، فيمشى الطود بالوساطة الكريمة التى تنتهى بعفو العاصف عن البحر
فكم كان هذا العاصف كريماً عظيماً .

حدث الليل قال ما اكرم العاصف ، ما اكرم القوى الرحيم
والقصيدة كما ترى فن مبدع فى وصف خواص العناصر الطبيعية فى أسلوب
مفعم بالحماسة والمفاخرة يذكرنا بالملاحم اليونانية فى الالياذة عن أساطير اليونان .
ولم يكتف حمزة بهذه الملحمة التى لخصناها عن البحر والعاصف والتى يروىها
بلسان الليل فاتبعها بملحمة عظمى تتكون من خمس وأربعين مقطوعة وتزيد

أبياتها على مائتين وعشرين بيتاً ووجهها الى الساحر العظيم تتناول الموضوع ذاته بأساليب شتى ولن نقتبس منها خشية الاطالة .

وفي القصيدة الثالثة - الليل والشاعر- تحول فيها الشاعر الى تمجيد الليل ، بعد ان استكملت ملاحم البحر والعاصف اغراضها فيما يبدو - فانخذ الليل رمزاً له واكتفى باقتباس بعض أبياتها :

ياليل ياليل الهوى والرؤى	ياملتقى الفن وديوانه
وياشعاع السحر يانبعه	ومشعل الفكر ورويانه
يانافث الفتنة رفاة	وعبقر الشعر ودهقانه
تلقن المطرب الحانه	وتلهم الشاعر اوزانه
رداؤك الأسود ملقح	على الدنيا رؤى الحسن وأفنائه

والى جانب ما ذكرنا قبل هناك ثلاث قصائد أولاهها بعنوان ضلاله ، والثانية موجهة الى الصنم الخاوى وعصبته والثالثة بعنوان الى ، والقصائد فى مجموعها كسب للأدب والشعر لان التنافس بين الشعارين حفزهما الى الابداع ، والشعر لا يصدر إلا عن حوافز عظيمة ، والحافز هنا هو طلب النصر فى معركة ادبية يشاهدها الناس ويرقبونها وتسرى أنباؤها فى كل مكان .

ان القصائد التى نظمها حمزة فى هذه المعركة الشعرية تمثل ديواناً قائماً بذاته يتميز بوحدة الموضوع ، كما يتميز بالشاعرية الأصيلة والاجادة البارعة لشاعر عظيم .

حمزة وبناته

تزوجت شيرين وتركت بيت أبيها وكانت تقوم بوظيفة الأم وسيدة البيت فهى الأخت الكبرى لآخواتها الصغار ، ولقد سجل حمزه واقع البيت بهذه القصيدة الجميلة التى يوجهها الى شيرين :

وكما تركت البيت مازالا	قلقا واعباء وأطفالا
ومعاركا بين الصغار غدا	حلم النظام بين أطلالا

أخذت كتابي ضيعت قلّمي شدت يدي قفزت على ظهري
ذات الحياة وربما اختلفت عما كرهت، ونحن لاندرى

فاذا الصباح اطل خضناها حربا يكون وقودها اختى
عامان مرّاً أو لعلهما هذى تقول حذاؤها ضاعا
زلفى تسائل اين مريّتي وسهام تبحث عن حقيبتها
وتصيح ليلى لم اجد قلّمي فتجيبها نجلا بدمعتها
وأنا صحت فلم أجد كتبي ويجد أهل البيت فى الطلب

كلثوم

وهناك قصيدة بعنوان كلثوم وفيها يتحدث الشاعر الى طفلة لا أدرى مكان
قربتها منه ولكن فى القصيدة لمسة إنسانية رقيقة لا يملك القارئ الا مشاركة
الشاعر شعوره إزاء هذه الطفلة التى تعلق بها ويوجه اليها حديثه قائلاً:
حدقي فى عابسا أو طروبا لاتراعى لظاهري اوتسرّى
لك منى صدر رحيب وان ضاق بما فى الحياة ذرعاً فقرّى
والصقى وجهك الصغير بكتفي وكلّى لليدين تجميش صدري
وإذا شاقك الوصول الى رأسى لكى تعبثى قليلاً بشعرى
فاقفزى قفزة المجازف فى رفق تكونى فى لحظة فوق ظهري
وافعلى بي ماشئت وافترضينى لعبة بادلتك فرّاً بكى
فقريباً ستصبحين فتاة لاترى الشمس حسناتها ذات خدر
ليت شعرى ماذا تكون حياتى ان خلت منك يانضارة عمرى
اقسمى لى بحب أمك الا تناسى فى يوم عرسك ذكرى
ومنها :

سوف أحيانا نعم ولكن حياة تنهادى بها اعوامل قهر

قانعاً من اليم عيشي بالذكرى أداوى مريرها بالأمـر
وأقدر ان هذه القطعة من شعر الشاعر فى صدر شبابه قبل ان يتزوج وأن يصبح
أباً لخمس بنات ، وهى على أى حال من أعذب الشعر وأطربه .

الحنين الى الوطن

هاجر الشاعر إلى مصر ————— وابتعد عن الوطن وطالت غربته فكان
الحنين يعاوده الى مغانى بلاده وفي هذه القطعة بعنوان وج يعبر الشاعر عن هذا
الحنين، ووج كما يعلم القراء هو واد مشهور في مدينة الطائف.

وج

ان وُجأً وسامح الله وجا
كان ليلى به مسيلاً من النور
فانا اليوم بعده فى ظلام
بين قيدين من حنين وعجز
يارمال الوادى الحبيب تناسيت
انه جارك القديم ونجواه
اطلقت ذكرياته دمع عيني
اترانى اليك استقبل الفجر
كذب العيش بعد يومك ياوج

الشعر الحر

لحمزة شحاته قصائد قليلة من الشعر الحر ولكنها لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة وجميعها مما أنتجه الشاعر وهو في مصر والمتأمل في بعض هذه القصائد يجد أنها تحتفظ بالموسيقية بل أنها تلتزم في بعض المقاطع بالقوافي حتى ليخيل للقارئ أنها من الشعر العمودي وإن تعددت فيها الأوزان والقوافي وسنورد بعض المقاطع منها استكمالاً لتصوير جوانب شعر حمزة شحاته .

أما أنا فقد انتهيت
 وشربت من حلو الكؤوس
 ومرها حتى ارتويت
 وبلغت من غايات حبك
 ماكرهت بما انتهيت
 وافقت من حلمي الجميل
 على الحقيقة
 وهي كابوس ثقل
 وتسلفت من حاضري
 وأهام ماضيك الحفيل
 وفرغت من رهب الخيال
 فلا أشتياق ولا غليل
 وإذا كان الشعر الحريئخذ هذا السم فلا اعتراض عليه وعلى أى حال فإن
 الحكم على ما أنتجه حمزة شحاته من هذا الشعر سواء انتظمت فيه الموسيقى أو لم
 تنتظم بالقياس الى المجموعة الضخمة من قصائده الغراء من الشعر العمودى ،
 هذا الحكم سيكون ميسورا للنقاد والقراء حينما تنشر هذه القصائد مع ما ينشر من
 شعره كله بإذن الله .

الكلمة الأخيرة

وبعد فكل هذا الذى قدمته للقارئ انها هوزهرات مقتطفة من هذه الروضة
 الغناء لشاعر عظيم ، ظهرت عبقريته الشعرية منذ بواكير انتاجه وهو فى مطلع
 الشباب ، وريق العمر ، وهو يذكرنا حينما تقرأه بفحول الشعراء العرب فى العصر
 العباسي أمثال مهيار الديلمي والشريف الرضي واضرابهما من كبار الشعراء
 والقارء للديوان يجد هذه الملامح واضحة فى شعره ، ديباجة مشرقة وكلمات
 ناصعة وسلاسة تركيب ، وتدفق كل هذا تنتظمه عاطفة شعرية حارة تحس فيها

بهذا الوهج الذى انصهرت فيه عواطف الشاعر واحاسيسه حتى خرج الى الناس
بياناً هو الأبداع الذى لايتأتى الا للموهوبين والعبقريين .

عازف العود

هذا ولعل مما يحسن ذكره ان حمزة رحمه الله كان الى جانب ابداعه فى الشعر
والادب عازف عود مجيد ، وقد كانت له مكتبة للتسجيلات يحتفظ بها ويرجع اليها
وكانت هذه المعزوفات مسجلة على الاسطوانات ، فلم يكن الكاسيت قد عرف
يومها - لأكابر الموسيقيين العرب والشرقيين وكان يستمع اليها كما كان يعزف
بانتظام .

لقد كان فنانا اصيلا ، اخذ بجوانب متعددة من الفنون فهو كاتب ، شاعر ،
عازف ، مفكر فنان هذا وقد توفى حمزة فى القاهرة فى ١٢ / ١٢ / ١٣٩٠ هـ ونقل
جثمانه الى مكة المكرمة حيث دفن بها .

رحم الله حمزة شحاته وغفر له فلقده كان من أعلام الشعراء ليس فى الحجاز
فحسب وانما فى بلاد العرب جميعا .

• عبد السلام طاهر الساسي •



عبد السلام طاهر الساسي

قصير القامة، نحيل الجسم ، قمحي اللون، تكسو وجهه صفرة، واسع العينين، كبير الأنف ناتئ الجبهة، لم يكن يطلق لحيته ولكنه لم يكن من المواظبين على استعمال شفرة الحلاقة، فغالبا ماترى الشعر النابت يكسو عارضيه وشاربه، ذكى تبدو امارات الذكاء في عينيه . يرتدى الكوت ويعتمر بالعقال ولا يرتدى العباءة الا في المناسبات والواجبات .

ولد عبد السلام رحمه الله في عام ١٣٣٥ هـ بالمدينة المنورة وتعلم القراءة والكتابة في كُتَّاب الشيخ محمد بن سالم وكان له كُتَّابٌ لتعليم القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن في باب المجيدى داخل المسجد النبوى الشريف، وقد أزيل هذا الكُتَّابُ مع الجزء الذى أزيل من المسجد النبوى الشريف حين اجراء العمارة التى امر بها جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله وتمت في عهد جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز رحمه الله .

مات والد عبد السلام صغيرا وتركه في كفالة أخيه الأستاذ عبد الله الساسي رحمه الله وهو من رجال التعليم ، انتقلت وظيفة عبد الله الساسي الى مكة في عام ١٣٤٦ هـ فانتقل عبد السلام بصحبته اليها حيث ألحقه اخوه بمدرسة الفلاح بمكة المكرمة فحفظ القرآن الكريم وحصل على الاجازة بذلك ولكن عبد الله الساسي لم يستقر به المقام في مكة المكرمة فنقل الى جده في عام ١٣٤٨ هـ وانتقل

عبدالسلام معه اليها والتحق بالمدرسة السعودية فيها حتى حصل على الشهادة الابتدائية وتخرج منها .

وفي هذه المدرسة اتصلت أسبابه لأول مرة بالمرحوم الأستاذ محمد حسن عواد الذى كان مدرسا بها بعد ان انقطع عمله بمدرسة الفلاح اثر ظهور كتابه خواطر مصرحة وما ثار بسببه من الجدل الذى ادى الى محاكمته بعد (١)

يقول عبدالسلام وكان من اساتذته فى هذه المدرسة الأستاذ محمود محمد شاكر والأستاذ الشيخ حسن ابوالحائل أما الأستاذ محمود محمد شاكر فكان قد قدم مهاجرا من مصر بعد ان وقع بينه وبين الأستاذ الدكتور طه حسين رحمه الله من الخلافات ما أثر به البعد عن بلده ولقد ألف الأستاذ محمود محمد شاكر وهو من أدباء مصر الكبار كتابين خصص واحدا منها للحديث عن معاركه مع طه حسين وغيره من أدباء مصر والتالى حول بحثه الخاص بالمتنبى الشاعر العظيم .

بعد أن حصل عبدالسلام على الشهادة الابتدائية إنتقل مع أخيه مرة أخرى الى مكة المكرمة فعمل فى وظائف كتابية صغيرة كثيرة كما كان الحال بالنسبة لامثاله من حديثي التخرج، عمل بإدارة الأمن العام فى مكة المكرمة كما عمل فى إدارة سيارات الحكومة ، وناسخا على الآلة الكاتبة فى وزارة المالية ولم يطل به المقام فى الحجاز فانتقل للعمل فى منطقة الاحساء كاتباً فى جمرک أم رضمه وانتقل منها الى ممثلية المملكة فى الدمام وكان هذا الاسم يطلق على المكتب الذى يقوم بالتنسيق بين الدولة وشركة ارامكو.

وفى عام ١٣٦٠ هـ عاد الى الحجاز فالتحق بالعمل فى وظائف شتى بوزارة المالية حتى انتهى به الأمر الى أن عين رئيسا لمكتب مشروع توسعة الحرم المكي الشريف (٢)

(١) انظر تفصيل ذلك فى كتابنا اعلام الحجاز فى القرن الرابع عشر.

(٢) استقينا هذه المعلومات من الترجمة التى كتبها عبدالسلام عن نفسه، انظر صفحة ٦٢ الموسوعة الأدبية الجزء الثالث.

عشق عبدالسلام رحمه الله الادب فكان يلتهم كلما يصل الى يديه من الكتب والصحف ، وعشق الأدباء المبرزين فاتصلت أسبابه بأسبابهم صديقا يحضهم الحب الخالص ، ويتحمل بدواتهم ونزواتهم كما يتحمل المحب دلال المحبوب ولكنه كان يجد مكانه بينهم كراوية متميز فريد .

وكتب عبدالسلام كما يكتب امثاله في الصحف ولم يكن كلما يكتبه يجد طريقة الى النشر ولكنه على أى حال بعلاقته الخاصة بالأدباء ورؤساء تحرير الصحف كان أحسن حظا من غيره من الناشئين . ولكن الميزة الكبرى التى تميزها عبدالسلام بين أبناء جيله ومن تلاهم هى الحماس الدائم والشديد لقضية الأدب والفكر، وقوة الحفظ التى كانت معلما من معالم حياته الأدبية إذا صح هذا التعبير .

وقد ظهرت هذه الميزة حينما تولى الأشراف على الصفحة الادبية فى الندوة حينما كانت مملوكة للأستاذ صالح محمد جمال . كما ظهرت فى مؤلفاته التى توالى ظهورها قبل عمله فى الندوة وبعدها .

وإذا استعرضنا هذه المؤلفات نجد معظمها مجموعات شعرية ونثرية للآخرين وهى كما اثبتتها عبدالسلام نفسه فى الجزء الثانى من الموسوعة الأدبية .

١ - نفايات من أقلام الشباب الحجازى ١٣٥٥ وهو كتاب تعاون فى إصداره مع صديقيه الأستاذ هاشم الزواوى وعلى حسين فدعق .

٢ - فى ظلال الصراحة فى عام ١٣٧٢ هـ .

٣ - نظرات فى الأدب المقارن فى عام ١٣٧٧ هـ .

٤ - الشعراء الثلاثة فى عام ١٣٦٨ هـ

٥ - شعراء الحجاز فى العصر الحديث عام ١٣٧٠ هـ .

٦ - الموسوعة الأدبية وقد صدر منها ثلاثة أجزاء .

ولسنا بسبيل دراسة هذه المؤلفات أو نقدها ، فليست الدراسة والنقد من أغراض هذه الترجمة المراد منها إعطاء صورة عن الشخصية التى تتحدث عنها وعن ملاحظها البارزة .

لم يكن الساسي رحمه الله أديبا مبدعا ولكنه كان يعشق الابداع ، ولم يكن شاعرا ولكنه كان يحفظ روائع الشعر ، ويروىها وهذه ميزته العظمى التى ظهرت فى مآجمع من آثاره فى هذه المؤلفات التى ذكرنا اسماءها قبل .

وإذا قرأت مآكتب الساسي أو كنت ممن يستمعون اليه حين يتحدث فستخرج بفكرة واحدة عنه هى حماسه العظيم للأدب والفكر ، ولروائع الشعر وكان إذا انفعل تدافعت الكلمات فى فمه لتنتطق من بين شفثته فى سرعة وحماس وقد ظل هذا الحماس ملازما له طيلة حياته وبسببه أخرج ما أخرج من مؤلفات تجمع آثار الشعراء والأدباء ، لهذا فآنآنا قبل أن نتحدث عن أهم مجموعة أخرجها للناس وهى الموسوعة الأدبية التى صدر منها حتى الآن ثلاثة أجزاء الأول والثانى منها على نفقته وهو محدود الموارد وقام النادى الأدبي فى الطائف بطبع الجزء الثالث منها ، . وحديثنا عن الموسوعة الأدبية هذه هو لآعطاء القارىء فكرة موجزة عن محتوياتها وعن الجهد الذى بذله الساسي رحمه الله فى جمعها وإخراجها ، ستحدث أولا عن كتابين للساسي أحدهما شارك فى تأليفه والآخر قام وحده بعبء تأليفه وإخراجها .

نفثات من أقلام الشباب الحجازى

هذا الكتاب كما يدل عليه اسمه نفثات من أقلام الشباب الحجازى اشترك فى جمعه وتأليفه مع الساسي الصديقان السادة هاشم يوسف الزواوى وعلى حسن فدعق ، ولعل نصيب صديقنا الأستاذ السيد هاشم فى الجهد كان اوضح كما يظهر ذلك من المقدمة التى كتبها المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان لهذا الكتاب الذى طبع فى أوائل عام ١٣٥٥ هـ .

والكتاب مقتصر على نشر آثار طبقة معينة من الأدباء كانت فى ذلك الزمان تضع خطواتها الأولى فى الطريق الطويل ، لتظهر فى دنيا الفكر وبين حملة الأقلام ،

ولست أشك أن الساسي رحمه الله بما وهب من حماس دافق كان من المساهمين بحق في جمع هذه الآثار وانه بذل من الجهد ما يستطيع في سبيل اظهار هذا الكتاب .
 هذا الكتاب ونحن نتحدث عن الساسي لا يخرج عن الأسلوب الذى تميز به
 والذى تحدثنا عنه وهو الحماسة والجمع ولكنه يختص بطبقة معينة من الكتاب
 والشعراء كانوا يعتبرون في ذلك الوقت الجيل الثانى أو الثالث من الأدباء بحكم
 اسنانهم ولهذا أعطى المؤلفون إسم الشباب لهذه الأقلام - نفثات من أقلام
 الشباب .

الطريف في هذا الكتاب أن بعض من اشتركوا فيه أصبحوا فيما بعد من ذوي
 الأسماء اللامعة المحلقة مثل المرحوم عبدالله عريف ، والعلامة الفاضل الشيخ حمد
 الجاسر ، والأخ الصديق الأستاذ حسين عرب ، وصديقنا الباحث الكبير الأستاذ
 أحمد عبدالغفور عطار ، وغيرهم ومن الطرائف الأخرى في هذا الكتاب أننا نقرأ
 شعرا للعلامة الشيخ حمد الجاسر وللصديق الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار وكذلك
 للمرحوم الأستاذ عبدالله عريف وهم الذين عرفوا بابحاثهم الجادة والذين لم
 يشتهروا بالشعر أما بالنسبة لصديقنا الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار وكذلك
 اسمعنى قبل بضع سنوات قصيدة معجبة رجوت ان ينشرها ، وان يستثير هذا الوتر
 الاخاذ ليضرب عليه كلما تهيأت له الأسباب .

أما صديقنا الأستاذ حسين عرب فقد اصبح من أعلام الشعراء في هذه البلاد
 ولكنه يختص نفسه بهذا الشعر اكثر مما يخص به الآخرين . أما الأستاذ حمد الجاسر
 مد الله في حياته فاني انقل هنا بعض ابيات من القصيدة التى نشرت له في هذه
 النفثات ومطلعها .

عاش الشباب الذى للمجد قد طلبا	واستشعر الحزم حتى يدرك الاربا
وجداً يدأب في تنفيذ خطته	ولم يهن عزمه عجزاً ومارهباً
ومنها :	

فتى العروبة هل فى القوم مستمع	فبين جنبى نارجرها التهباً
-------------------------------	---------------------------

إذا تذكرت ماقد فات من زمن كنا برغم عداننا في الورى شهباً
كنا الملوك لاهل الأرض نحكمهم بالعدل طرا وكنا سادة نجبا
العدل منتشر والجور منحدر والعلم مزدهر والجهل قد غربا

ولست أقول ان القصيدة من روائع الشعر، ولكني أقول أن هذه البداية كان يمكن أن تبشر بميلاد شاعر عظيم لو أن صاحبها استمر في إحياء هذه الملكة التي كانت من أحسن البدايات ولست أدري ان كان اشتغال الشيخ حمد بالتحقيقات التاريخية العظيمة التي يضطلع بها عن الاماكن التاريخية في الجزيرة العربية قد صرفته عن الشعر أم أنه يعود اليه بعد الحين والحين ولكنه يطويه عن الناس كما يفعل صديقنا الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار. ونكتفى بهذا القدر في حديثنا عن النفثات لتحدث عن كتاب آخر من مؤلفات الساسي هو.

في الأدب المقارن ومساجلات الشعراء

حينما قرأت عنوان هذا الكتاب ظننت اني سأقرأ بحثاً في الأدب المقارن يعقده صديقنا الساسي رحمه الله وإذا بي افاجأ بأن الكتاب عبارة عن سؤال وجهه الساسي الى كثير من الأدباء يطلب منهم المقارنه بين أدب العقاد وطه حسين وابداء الرأي في أى الادبيين الكبيرين ينتهج الأسلوب العلمي في بحثه ودراساته، وجه هذا السؤال الى كثير من اعلام الشعراء بينهم المرحومين الأستاذة أحمد إبراهيم الغزاوي ومحمد حسن عواد والسادة محمد سعيد العامودي وأحمد محمد جمال وغيرهم وقد أجاب السادة الأدباء فنشر الساسي اجاباتهم وليس هنا مجال البحث في الاجابات ولا في السؤال نفسه، ولكن الساسي يؤكد الرأي الذي ذكرته عنه وهو أنه جامع للأدب والشعر وليس مبتدعا فيه وليست هذه الصفة بالتى تنقص من قدره فكل امرئ ميسر لما خلق له، وقد حفلت كتب التراث في الأدب العربى بالروائع لما جمعه الرواة ويكفى ان تعلم ان ياقوت الحموى مؤلف الاغاني ومعجم الأدباء وغيرها من أمهات كتب التراث لم يؤثر عنه الكثير من الشعر والانشاء،

كان الرجل خزانة ادب تنقله إلى الناس وتتوارثه الأجيال وقد احتل اسمه مكانه العظيم بهذه الصفة وحدها صفة الجمع والتدوين .

ولست أقول ان الساسي يأتي في هذه المرتبة من الرواة ولكني استطيع ان أقول انه كان فرعاً صغيراً في شجرة عظيمة ، وان هذا الفرع الصغير فيه من الشذى والثمر ما يزكو ويطيب وعلى هذا الأساس وحده نقوم عمل الساسي في الحفظ والجمع فابداعه هو في حفظ الابداع وجمعه ثم نشره على الناس .

وكأننا أثبت طبيعة الساسي عليه ان يقتصر كتابه في الأدب المقارن على اجابات الأدباء فاضاف الى الكتاب بعض مساجلات الشعراء انه عاشق شعر وقد ضمت هذه المساجلات الشعرية قصائد ومقطوعات شعرية للاستاذة العواد والغزوى وحمزه شحاته وأحمد قنديل رحمهم الله وحسين عرب وحسين سرحان مد الله في حياتهما ولعل بعض ماسجله الساسي في هذه المساجلات لم يرد فيما نشر من دواوين هؤلاء الشعراء ، فهي بصورة من الصور يمكن ان تكون مما يرجع اليه الدارسون لشعر هؤلاء الشعراء .

ونفتطف الآن شيئاً من هذه المساجلات ونبدأها بالمساجلة بين الشاعرين الكبيرين محمد حسن عواد وأحمد إبراهيم الغزوى : بعث العواد إلى الغزوى يقول :

أيتها البلبل المغرد بالشعر	الا أين ذلك التغريد؟
لم آثرت تنزوى الشهر	تلو الشهر مستعصيا عليك القصيد
(ادلالا هجرته أم ملالا)	أم اتاه منك القلى والصدود
لاتغادر فن النظم يعانى	منك ما لا يطيقه العمود
فلقد كنت والنظم شقيقين	وسيان منشد ونشيد

وقد أجاب الغزوى العواد بهذه الأبيات

أيها الذى تواضع شكرا	انما انت فى البيان المجيد
كيف لا أوتر السكوت وأصغى	لشعور يصوغه التجديد

أنا ماقلت تظالع ضعفا والذي حكته الضليع الشديد
وتعالى جد الآله فماذا بعد فرقانه يحيط النشيد
مازج الروح فهو حي وهو الرشيد والهدى والخلود

ونجد في هذه المساجلات ان الشاعر الأستاذ حسين سرحان يوجه قصائده إلى
الشعراء أحمد قنديل، حمزه شحاته، فيقول في القصيدة المهداة الى القنديل :

أقتات من روحي وأشرب من دمي ان كنت عالمة وان لم تعلمي
حتى اذا حم الردى لاقيته غراد كمثل الطائر المترنم
ومنها

يابنت ذى سيارة حسانة تنساب في الترب أنسياب الأرقم
لا تعنفى في القول اني فاهم من غمرة الأحداث ما لم تفهمي
ما هذه الدنيا وما غاياتها ومن الذى تكوين كي الميسم؟
المال؟ اهون مايكون طلابه ان كنت اعبد عبادة درهم
الجاه ايسر مايكون مناله لثقل غنم او خفة مغرم
ماذا وراء حياتنا . . تباهيها ان لم تتنم بجنة وجهنم؟

ويوجه إلى حمزة شحاته قصيدة بعنوان سراب يقول فيها :

انس وربك قد ملأن شغافا حبا وهجن بك الهوى الرجافا
هاتيك أم هاتيك؟ كل خريدة هيفاء زانت ثوبها الهفهافا
علقت بهن العين ذات عشية فحبونها الاتحاف والالطافا
يخطرن في بسط النسيم وقد رأى ما فيه فاستشفى بهن وشافى
الحسن زخرف كل طرف رامل والطيب فوق نشره الأنافا

والقصيدة كلها كبقية شعر السرحان من هذا النمط العالي الفريد في أسلوبه
ومعانيه ولقد سجل لنا الساسي استجابة حمزه شحاته لقصيدة السرحان من نفس

الوزن والقافية وبنفس هذا النسق العالي في معانيه وأسلوبه يقول حمزه شحاته :

أفبعد ماسنح الخيال ووافي ودَّعَنَ سرحك وانطلقن خفافا
وعدت سوابق وُدَّهْنٌ ذواهباً بالبرء ليس وراءهن معافى
من كل نافرة الهوى لم تقضها حقاً فكيف تميلها استعطافاً
ومنها

يا أنت ما كل الغيوم تحملت مطراً فشمى العارض الوكافا
ومنها

صرنا الى زمن ينازع قاعد فيه الفخار الراحل الطوفا
ليت الذى خلق المطامع كالهـا للحالين كما تراد جزافا
أوليت ملتمس السلامة نالهـا عرضاً كما تحني الزهور قطافا

ولقد استهوت هذه المساجلة صديقنا الأستاذ حسين عرب فوجه الى حمزه شحاته قصيدة من نفس الوزن والقافية يقول فيها :

تركتك مسلوب الفؤاد مجافى مضى الهوى تتعجل الانصافا
هيفاء ذابلة العيون كأنها تسقيك من نظراتهن سلافاً
لاحت لعينيك العشيـة فانطوى فيها خيالك هائماً رفافاً
ومنها

والغانيات وعودهن خديعة تبدى الوفاء وتضمـر الاخلافا
هن الرزان اذا خطون على الثرى فإذا اسرن القلب طرن خفافا

والقصد كما يرى القارىء ناصعة الأسلوب ، فريدة المعاني ، وليت شعـرى
مالذى يجعل صديقنا الأستاذ حسين عرب يضمن بهذا الشعر أن يضمه كتاب او
ديوان ليكون غذاء للقلوب والاذهان . ولقد اعدانا الساسي بأسلوبه فإذا بنا ننقل
هذه الروائع من المساجلات التى اوردها فى كتابه ، ولم يكن فى حسابي ان افعل ،

فلمست اترجم الان لهؤلاء الشعراء حتى انقل عنهم ولكن الساسي هو الساسي رحمه الله ، عاشق شعر وناقل ابداع ، فنحن ننقل عنه هذا الشعر وذلك الأبداع .

الموسوعة الادبية

الموسوعة الأدبية هي أكبر الأعمال التي قام عبدالسلام بعبئها ابتداءً فيها النشر للأدباء والشعراء على ترتيب الحروف الهجائية .

فبدأ بحرف الألف في الجزء الأول وانتهى الى حرف الغين في الجزء الثالث . وقد احصيت عدد الأدباء والشعراء الذين تبدأ أسماؤهم بحرف الغين فكانوا خمسة وثلاثين ادبيا وشاعرا ، ويكاد الجزء الثالث من الموسوعة ان يقتصر عليهم فهم يشكلون مائتين وسبع وخمسين صفحة من هذا الجزء البالغ مائتين وسبعين صفحة ، كان عبدالسلام نفسه ضمن الاسماء التي وردت في هذا الجزء ولكن الحيز الذي منحه لنفسه كان حيزا ضيقا للغاية فقد نشر لنفسه مقالين في خمس صفحات احدهما بعنوان وجوب التفرغ للأدب الخالص ، لاينبغي ان نظل عالة على ممارسة بعض أنواع الفن ، هذان عنوانان لمقال واحد اما المقال الثاني فهو كذلك يحمل عنوانا طويلا هو نقد الأدب، والحياة النقد الزم ما يكون للبناء وضبط القواعد والأصول ونبد المساوىء(١)

كانت ميزة عبدالسلام الأولى كما ذكرنا هي حماسة الشديد لقضية الأدب والفكر وكانت ميزته الثانية هي قوة الذاكرة التي تشبه الكمبيوتر فهي تحفظ كل ما يلقي اليها وتخترنه ، ولم يكن عبدالسلام يكتفى بحفظ ما يعجبه من الشعر والنثر ولكنه كان يلقي ذلك الى الناس رواية شعرية او نثرية تصاحبها الحماسة والانفعال وكان يحتفظ بما يعجبه مما ينشر في الصحف ويختص به نفسه ليحفظه ويثرى به المجموعة الضخمة التي تحتجزها ذاكرته العجيبة .

ومن الطرائف التي اذكرها في هذا المجال إنه نشر لي قصيدة غزلية حينما كان

١ - الموسوعة الأدبية للساسي الجزء الثالث من ٥٣ - ٦٨

مشرفا على تحرير الصفحة الأدبية بالندوة، كانت القصيدة غزلية كما ذكرت تعود إلى عهد الشباب وكانت قد نشرت قبل سنوات طويلة في جريدة صوت الحجاز في الخمسينات، وكتبت الى عبدالسلام رسالة اعاتبه فيها على نشر هذه القصيدة التي جعلتني اشعر بالحرج أمام أولادى وأرسلت اليه قصيدة طويلة بعنوان التجاريب اشترى بها نفسي منه حتى لا يعود الى نشر امثال القصيدة السابقة، ولم يكن من عبدالسلام إلا أن قام بنشر الرسالة والقصيدة معا. ثم حضر الى جدة فسألته عاتبا ماهو الداعي لنشر الرسالة؟ ألم تكف بالقصيدة التي نشرت على حلقتين؟

قال فى حماسة وانفعال هذا ادب الرسائل . . ثم أضاف وهذا هو رأى الأستاذ صالح جمال وإلى هنا نستطيع ان نعتبر الحادث عاديا، ولكن الذى حدث بعد ذلك اني كتبت اليه منذ عام تقريبا اخبره اننى اقوم باعداد ديواني للطبع وسألته ان يبعث الى بنسخ من القصائد التي يحتفظ بها من شعري أو التي تصل يده اليها. ولم يرد عبدالسلام على هذه الرسالة وكانت هذه هى المرة الوحيدة التي لا يرد فيها، وبعد فترة بسيطة أرسل الى الجزء الثالث من موسوعته الأدبية وبمطالعتها ادركت أن عبدالسلام لم يمتنع عن الرد إلا لأنه أراد أن يحتفظ لموسوعته الأدبية بما لديه خاصة إذا كان البعض من أمثالي لا يحتفظون لانفسهم بما يحتفظ به هو عنهم.

ولقد كنت انتظر صدور الجزء الرابع من الموسوعة الأدبية وكنت على ثقة انني سأجد فيه بعضا مما فقدت، ولكن المنية ادركت عبدالسلام رحمه الله قبل اصدار الجزء الرابع الذى لعله يكمل موسوعته الأدبية واغلب الظن ان هذا الجزء مكتمل لديه لانه ذكر فى الجزء الأخير من الموسوعة أنها ستكون من أربعة اجزاء. ونعود الآن الى الموسوعة نفسها أو إلى ماصدر منها من اجزاء.

لقد ذكرت ان الجزء الثالث يضم آثار خمسة وثلاثين اديبا وشاعرا، ويضم الجزء الثاني آثار واحد وثلاثين اديبا وشاعرا، ولاشك ان الجزء الأول يضم هذا العدد أو مايقرب منه، ولعل الجزء الرابع والأخير يضم مثل ذلك ونستطيع ان نقدر ان عدد

الأدباء والشعراء الذين تضمهم الأجزاء الأربعة من موسوعته الأدبية بحوالى
المائة وعشرين أديبا وشاعرا وهو عدد ليس بالقليل .

بعض هؤلاء الذين تضمهم الموسوعة من أصحاب الأسماء الجهيرة الذين
فرضوا اسماءهم فى دنيا الأدب والفكر ولكن آثارهم لم تجمع حتى ظهور مجموعة
الساسى فى كتاب أوديانء البعض منهم غادر هذه الحياة الدنيا ولم ينشر له ديوان
مطبوع فالمجموعة على هذا الاعتبار تعتبر مرجعا من المراجع التى تنير سبيل
الدارسين لآثار هؤلاء الشعراء والأدباء الى أن ينتظم لكل منهم مرجع يضم كلما
انتج من أدب وشعر وعلى سبيل المثال فان مانشره الساسى لحمزه شحاته وضياء
الدين رجب قبل ظهر المجموعات الشعرية لهما . لم يضمه كتاب قبل ولا يزال
مانظمه صديقنا الأستاذ عبدالوهاب آشى مد الله فى اجله من الشعر مطويا بين
أوراقه إن لم يكن مفقودا بينما تطالعنا موسوعة الساسى بقصائد ومقطوعات جميلة
للأستاذ الكبير . ولقد غادر الأستاذ عبدالقادر عثمان رحمه الله هذه الحياة دون ان
تجتمع آثاره فى كتاب فجاءت موسوعة الساسى لتضم بعضا من هذه الآثار وهذا
وذلك ينطبق على كثير ممن تضمهم المجموعة من اسماء .

ليست الموسوعة الأدبية عملا متكاملا ولكنها نواة طيبة للدارسين وخاصة
بالنسبة لأولئك الذين عزفوا عن النشر أو الذين غادروا هذه الحياة ولم تجمع لهم آثار
فى كتاب مطبوع .

قد يأخذ البعض على المجموعة أنها تضم آثارا لا وزن لها وهذا ليس عيبا فيها وقد كان
الأجدربالعمل الموسوعى ان تتفرغ له مجموعة من الرجال المتخصصين ولكنى
احكم سلفا بأن تحقيق مثل هذا الحلم لا يزال بعيد المنال .

ولقد قام الساسى بجهده الخاص وحده بعبء اخراج هذه الموسوعة وجمعها
وطبع الجزء الأول والثانى على نفقته الخاصة وهو محدود الموارد ولقد شكى مر
الشكوى فى مقدمة كل جزء منها مما لقيه من تجاهل الأدباء والشعراء وثقالهم فى
الاستجابة اليه وانا بتجربتي الخاصة أصدق كما ذكره رحمه الله فى هذا المجال .
نستطيع ان نعتبر الموسوعة الأدبية هي أهم عمل قام به الساسى يرحمه الله وهو

يستحق على هذا العمل الذى قام به بحب واخلاص كل التقدير.

شخصية الساسي

عرفت عبدالسلام رحمه الله فى منتصف الخمسينات من القرن الماضى واتصلت اسبابى بأسبابه حينما كنت اعمل بمكة المكرمة فى مكتب الشيخ محمد سرور الصبان رحمه الله فكنت أراه فى معظم الأيام إما زائرا فى المكتب أو فى جريدة صوت الحجاز أو فى منتزهات مكة فى الأمسيات حيث يجتمع الأدباء والشعراء من الأصدقاء.

كان الأستاذ أحمد قنديل رحمه الله رئيسا لتحرير جريدة صوت الحجاز فى منتصف الخمسينات وكنت إذا فرغت من عملي فى آخر النهار أمرُ به فى الجريدة ونخرج معا الى المسفلة ثم ينتهى بنا المطاف فى جرول حيث نبيت فى مقهى هناك فى ليالى الصيف هربا من الجو القائظ فى مكة المكرمة وكان عبدالسلام رفيقا ثالثا لنا فى المبيت واننى انقل هنا من كتابي حبات من عنقود الطرفة التالية عن عبدالسلام .
كنا فى ليالى الصيف نخرج إلى ظاهر مكة فنقضي الليل بعيدا عن البعوض والجو القائظ فى البيوت، وكنا جماعة من الأصدقاء، الأستاذ أحمد قنديل وأنا والأستاذ عبدالسلام الساسي وغيره من الأصدقاء، وكنا فى تلك الأيام نتخذ من قهوة - العم حمزه - بالشهداء، وفى موضع جراج الشركة العربية للسيارات الآن، نزلا مختارا للعشاء والمبيت، نقضي الأصيل بالمسفلة مع اصدقاءنا من الأدباء الكثرين، ثم نعود الى الشهداء فنأخذ عشاءنا من جرول، ونمضي به الى العم حمزه فنجد المركز مهيبا للمبيت، وكان عبدالسلام ولا يزال اعجوبة من الأعاجيب فنقضي صدرا من الليل نسمع روايته للشعر، وحماسته للأدب، فنندرم معه، وربما هجاء القنديل هجاء الأصدقاء الألداء . . ووفد علينا من جدة الأستاذ أحمد عمر عباس - يزحمه الله - موظفا جديدا فى مكة، وانضم الى الحلقة فى مركز العم حمزه، وفى الليلة الأولى التى وفد علينا فيها الأستاذ أحمد وكان ضيفا علينا قال انه كان يعمل فى شركة التعدين فى مهد الذهب . . وإنه تعود ان يشرب قهوة باللبن كل

صباح وابدى إنه لاطاقة له بالسير على الريق من الشهداء الى القشاشية دون شرب هذه القهوة بالحليب .

وعقدنا جلسة مستعجلة مع العم حمزة لبحث الموضوع ، ولم يخيب العم حمزة امل الأستاذ أحمد فأبدى استعداداه لصنع القهوة وأحضرها قبل مطلع الشمس ليستيقظ الأستاذ أحمد فيجدها طوع يديه ، وكان عبدالسلام أكثر الحاضرين حماسا لهذه القهوة . . فلقد حاول معنا من قبل تناول شيء في الصباح ولم نوافقه بحال من الأحوال . .

وكان من عادة عبدالسلام كل ليلة ان يحافظ على امتعته فيضع الكوت والغترة تحت المخذة ويرفع الحذاء - اكرمكم الله - في جوانب الكرسي الذى ينام عليه ، وكنا نعجب لهذا الحرص ، ونتنذر عليه ولكنه افهمنا انه رقدي قديم ، وليس حديث عهد بالنوم في المقاهي ، وهو يعرف أصول الرقدية وقوانينهم ولرقدي كما لا بد وان يعرف القارئ بضم الراء وتشديدها وفتح القاف دون تشديد هو مفرد راقد ويختص ذلك بمن تعود النوم في المقاهي ، وهو اصطلاح لا تتنكر له اللفة الفصحى فيما اظن .

ونام عبدالسلام ليلتها في موجة عارمة من الفرح ، ونسي في غمرة هذه الفرحة ان يقوم بالأجراءات الاحتياطية التى يتخذها لامتعته وحذائه ، ونمنا . واستيقظت في الصباح الباكر على حركة قدوم العم حمزة بالقهوة واستيقظ عبدالسلام وادخل قدميه في الحذاء ، وصرخ صرخة مفزعة طارت منها بقية النوم من عيني ، واستيقظ لها كل من في المقهى من الناس ، وسألنا عبدالسلام مابك؟ ولكن اجاباته كانت مختلطة بالصراخ فلم نفهم شيئا ، ولكننا أدركنا أن هناك حدثا إصابه ، وسارعنا إليه فرفعناه الى الكرسي فإذا بقدمه التى ادخلها في الحذاء يصب منها الدم وقد بدا عليها التورم والاحتقان ووجدنا في الحذاء عقربا . .

وتجمع الناس وفي السيارة الوحيدة الموجودة في المقهى في ذلك الصباح بعثنا عبدالسلام الى مستشفى اجياد لاسعافه ولم يشرب القهوة ، ولم يتمتع بها ، ومن مأمنه يؤتى الحذر . حيا الله صديقنا عبدالسلام فلقد كان مصدر سرور حتى حينما

يتعرض للأذى . . وقاه الله من كل سوء .

انتهى مانقلناه من كتابنا حبات من عنقود الذى نشر فى الحجة من عام ١٣٨٧ هـ .

ونعود الآن الى مواصلة الحديث عن شخصية الساسي فتحدث عن دوره فى المعركة بين الشاعرين الكبيرين حمزه شحاته ومحمد حسن عواد رحمهما الله .

صلة الساسي بالعواد وشحاته

عاصرت المعركة الشعرية التى نشبت بين المرحومين الاساتذه محمد حسن عواد وحمزه شحاته والتى بدأت على صفحات صوت الحجاز ثم انتهت الى الهجاء المقذع الذى لايمكن نشره فى الصحف فكانت القصائد تنسخ باليد، ولم تكن الآلات الناسخة موجودة الا فى دوائر الحكومة، وتوزع فى أماكن معينة فى مكة المكرمة وقد اشترك بعد ذلك فى المعركة المرحوم الأستاذ أحمد قنديل متحزبا لصديقه الأستاذ حمزه شحاته، والأستاذ محمود عارف مد الله فى أجله متحزبا للعواد .

كان حمزه مقيما فى مكة المكرمة فى تلك الأيام وكنت انا وقنديل على صلة مستمرة به وكان ينظم القصيدة يأخذها عبدالسلام ويقوم بمساعدة البعض بكتابة عدة نسخ منها ويبدأ توزيعها على أناس يعرفهم فى حارة الباب واجياد، والقشاشيه والمسفلة والمعلاة وجرول وهكذا ومن المؤكد انه كان يوصل القصيدة أولا إلى عواد الذى يقوم بدوره بالرد عليها ولعل عبدالسلام كان يقوم معه بنفس الدور ولم يكن الساسي يظهر انه كان على خلاف مع العواد، لم المس ذلك منه اطلاقا ولكنه كان متحمسا للمعركة باعتبارها معركة أدبية تثير شاعرية الشاعرين الكبيرين وتدفعهما الى موالاة النظم والانتاج وان كان هذا الشعر يجافى الخلق الكريم فلقد اسرف الشاعران حين احتدمت بينهما المعركة فى الهجاء ولم يكف الا حينما شعرا بأن الأعين قد التفتت لرصدهما، وحسنا فعلا .

ولست أشك أن عبدالسلام كان مسرورا ومزهوا لصلته بالشاعرين الكبيرين ولقد كان يحب حمزه كما يحب العواد ولقد سمعته مرارا وهو يقسم على هذا الحب

وكان حمزة كذلك ولكنه لم يكن يعفيه من السخرية اللاذعة وكان عبدالسلام يتقبل ذلك ضاحكا، ولقد كان قنديل رحمه الله يطلق السجع الساخر مستخدما لقب الساسي فيه وهو يستمع إليه في سرور وجذل، أما عواد فقد هجا الساسي بقصيدة مقذعة خاصمه الساسي بسببها بعض الوقت ولكنه مالبت أن عاد الى الاتصال به والاشادة بأدبه وشعره في كل زمان ومكان.

وكان الساسي على أى حال إنسانا سمحا يحب الناس ويكثر من الاتصال بهم ويألفه الناس ويحبونه ويكثرون ممازحته، ويتقبل هودك المزاح ضاحكا وإذا غضب فما يلبث ان يفىء الى الرضا والسكون.

وكما كانت صلة الساسي قوية بكبار أدباء عصره فلقد كانت صلته قوية كذلك بشباب الأدب وناشئته وكان الساسي يتخذ بينهم مركز الأستاذية ويستقطب اهتمامهم بما يرويه لهم من أحاديث أصدقائه من كبار الأدباء والشعراء وبما ينشده لهم من محفوظاته الشعرية هؤلاء الشعراء واخبارهم ، ولهذا يمكن اعتبار الساسي حمزة وصل بين كبار الأدباء وصغارهم في ذلك الزمان.

ولابد ان نذكر ان الساسي لم يتزوج في سن مبكرة وحينما تزوج لم ينجب فخلت حياته من مسئوليات الولد وهموم العائلة ، ولم يكن هناك إلا زوجه التى رآيتها ترافقه في إحدى رحلاته الى لبنان ولقد ساعده هذا على التفرغ للأدب الذى احبه طيلة حياته .

والساسى على أى حال نشأ في أسرة تشتغل بالعلم والأدب فأخوه الأكبر المرحوم الشيخ الطيب الساسي كان رئيسا لتحرير جريدة القبلة في العهد الهاشمي وقد هاجر مع من هاجر في بداية العهد السعودي ثم عاد ليعمل رئيسا لتحرير جريدة أم القرى في مكة المكرمة وهو رجل يتميز بالعلم والفضل .

وأخوه الشيخ عبدالله الساسي الذى كفل عبدالسلام وقام على تربيته كان مدرسا في مدارس المدينة المنورة وجدة ومكة ولقد أدركته في مكة المكرمة في منتصف

الخمسينات وهو مدير لاحدى المدارس الحكومية .

والدكتور عمر الطيب الساسي الذى يصافح إسماع القراء فى الأذاعة بحديثه عن الكتب والذى كان من أساتذة كلية الآداب بجامعة الملك عبدالعزيز ، واطنه يعمل الآن فى المانيا هو ابن شقيق عبدالسلام رحمه الله فلاعجب ان يكون عبدالسلام متعلقا بالأدب والرواية وقد نشأ فى هذه الأسرة الكريمة التى تعمل فى هذا المجال .

هذا وقد ألم المرض بصحة عبدالسلام فبقى فى داره لبعض الوقت ولكن المنية كان قد حانت حينها فأسلم الروح صباح الأربعاء ٢٣ ذى الحجة ١٤٠١ هـ ودفن فى مكة المكرمة البلد التى نشأ فيها وأحبها وقضى معظم حياته بها .
رحم الله عبدالسلام رحمة واسعة فقد قضى حياته منشغلا بالأدب والشعر وعمل ماوسعه الجهد لتسجيل هذا الأدب وحفظه ثم اذاعته بين الناس ، وحبذا لو قامت النوادى الأدبية بطبع الباقي من مؤلفاته وأهمها الجزء الرابع من الموسوعة الأدبية ، وشعراء الحجاز فى القرن الماضى الذى نوّه عنه فى كتابه الأخير وبالله التوفيق .



• عبدالقدوس الأنصاري •



عبدالقدوس الأنصاري

معتدل القامة، أقرب إلى الطول منه إلى القصر، معتدل الجسم أقرب إلى النحافة منه إلى الأمتلاء شديد إسمرار الوجه عالي الجبين واسع العينين عظيم الشفتين.

ولد الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري في سنة ١٣٢٤ للهجرة بالمدينة المنورة وتوفي والده وهو في الخامسة من العمر فكفله قريبه الشيخ محمد الطيب الأنصاري العالم والمدرس بالمسجد النبوي الشريف.

تلقى عبدالقدوس دروسه الأولى في قراءة القرآن الكريم بالمسجد النبوي الشريف وهو في السابعة من العمر وأتم حفظه في سنتين وكان يتلقى دراسته في مختلف الدروس الدينية في حلقات المسجد النبوي الشريف خاصة على يد أستاذه وكافله الشيخ محمد الطيب الأنصاري كما تعلم الكتابة على يد أحد الخطاطين الأتراك. وحينما بلغ السادسة عشرة من العمر انتقل للدراسة بمدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة في عام ١٣٤١ هـ عند بداية تأسيسها وكان الشيخ الطيب الأنصاري مشرفا عليه وحصل على الشهادة النهائية منها في سنة ١٣٤٦ للهجرة.

وبعد تخرجه من مدرسة العلوم الشرعية شغل بها وظيفة أستاذ الأدب العربي، ثم انتقل إلى العمل الحكومي فعمل بديوان الأمانة بالمدينة المنورة معاونا لرئيس

الديوان، وفي سنة ١٣٥٩ هـ عين رئيساً لتحرير جريدة أم القرى فانتقل عمله إلى مكة المكرمة فبقي بها إلى نهاية سنة ١٣٦١ هـ (١). حيث انتقل للعمل بديوان نائب جلالة الملك في مكة المكرمة، ثم عين سكرتيراً لمجلس الوكلاء وتنقل في الوظائف الادارية الى أن عين مستشاراً في الديوان ثم مديراً للشئون المالية بديوان رئاسة مجلس الوزراء ثم تفرغ بعد ذلك لاعماله الخاصة.

ثقافته

لم يكتف عبد القدوس بما تلقاه من العلوم في حلقات الشيخ الطيب الأنصاري بالمسجد النبوي الشريف ولا بما تعلمه في مدرسة العلوم الشرعية فلقد كان الشاب عبد القدوس محبا للقراءة منذ نشأته فأكب على ما كان يصل الى يديه من كتب الأدب والشعر قديمه وحديثه يقرأ ويحفظ ويتحدث إلى زملاء دراسته وأصدقاء صباه في كل هذا الذي يصل اليه. ولقد كانت حلقة قريبه وكافله الشيخ الطيب الأنصاري تضم الكثير من شباب المدينة الذين لمعت إسمائهم فيما بعد، وكان من زملائه في حلقة الشيخ الأنصاري الشيخ ضياء الدين رجب والسيد عبيد مدني والأستاذ عبد الحميد عنبر رحمهم الله ومعالي الشيخ محمد الحركان والأستاذ عبد الحق نقشبندی وغيرهم ممن نسأل الله لهم العافية والعمر المديد. (٢)

كانت قراءات عبد القدوس الأولى تجعل الأدب القديم هو القدوة التي يحذو حذوها ولكن صلته بصديق صباه وزميله في حلقة الشيخ الطيب الأنصاري السيد عبيد مدني رحمه الله فتحت له المجال للأطلاع على الأدب الحديث فقرأ دواوين شوقي وحافظ والزهاوي وسامي البارودي، كما قرأ مؤلفات المنفلوطي والزافعي فتفتحت أمامه الآفاق ليسلك هذا الطريق الجديد وكان لتشجيع صديقه السيد عبيد مدني الذي وصفه بأنه رائد الأدب الحديث في المدينة المنورة كما وصف نفسه

١ - ١١٤ تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية لعثمان حافظ.

٢ - انظر الحلقتين المنشورتين بجريدة المدينة المنورة عن السيد عبيد مدني في سلسلة أعلام الحجاز.

بأنه الرجل الثاني بعده في ريادة الأدب الحديث في مدينة الرسول عليه أفضل الصلاة واتم التسليم .

ذكرياتي عن الأنصاري

عرفت عبد القدوس رحمه الله من مقالاته التي كان تنشر في صوت الحجاز أولاً ثم من مجلة المنهل التي اصدرها في الحجة من عام ١٣٥٥ هـ وتوثقت صلاتي به بما كنت أنشره في مجلة المنهل من قصص ومقالات وشعر ثم حضر إلى مكة المكرمة للحج في النصف الثاني من الخمسينات على ما اذكر ونزل ضيفاً على معالي المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان الذي كنت سكرتيراً له فكنت أراه في كل يوم ، وقد زادتني هذه اللقاءات معرفته به فرأيت فيه الأديب الذي يجمع بين الأدب والعلم ، فكان أديباً محققاً يزن الكلام الذي يكتبه ويقوم الكلام الذي يقرأه ويتنبه إلى ما يقع فيه الكثيرون من أخطاء في اللغة في نطق بعض الكلمات وتصريفها ومن يتتبع مجلة المنهل يجد الكثير من هذا الذي اذكره مبثوثاً بين صفحاتها ، وكان الرجل الى جانب هذا وذاك أديب الطبع والخلق فكان يتنزه في مجلسه وفي كلامه عما يسف به الكثيرون .

غرامه بالآثار

وكان مغرمًا بالآثار وتحقيقها وله في ذلك المؤلفات التي ستتحدث عنها بعد ومما اذكره عن ولعه بالآثار اني ذكرت له يوماً وكنا نصطاف بالطائف ولعل ذلك كان في أوائل الستينات اني بينما كنت أسير في ضواحي الطائف عثرت على مقبرة وجدت بها شواهد على كثير من قبورها وقد كتب في هذه الشواهد أسماء المتوفين ومن أعجب ما رأيت شاهداً وضعه زوج ثكل زوجته وبعد ان ذكر اسمها وتاريخ وفاتها سألت الله ان يلحقه بها فكتب هذه الجملة «والحق بها زوجها» واهتم عبد القدوس رحمه الله بأمر هذه المقبرة وطلب ان اصفها له فاخبرته اني كنت امشي على غير جادة بعد عصر أحد الأيام وكانت الطائف محصورة بين أسوارها ولم يكن خارج

مسجد ابن العباس الا بعض البيوت والبساتين وكانت الأرض خلوا من البناء بين
شهار وحوايا وقروى والسلامة ، وبعد الحاح منه تواعدنا على الخروج معا ، وكنا
نسير على الأقدام ، فلم يكن لواحد منا في ذلك الزمان ما يركبه من دابة فضلا عن
السيارة والحمد لله على ما أعطى ووهب ، وكنا في اكتمال الشباب ومطلع الرجولة
قويين نشطين فخرجنا وقضينا الوقت من بعد العصر الى ان ادركنا الظلام
نضرب على غير هدى ولم استطع العثور على المقبرة التي رأيتها والتي حرص عبد
القدوس رحمه الله ان يراها .

اطلاعه الواسع

وكان عبد القدوس رحمه الله واسع الاطلاع على الكتب قديمها وحديثها وكان
يخص الكتب القديمة منها بكثير من اهتمامه ولعل ذلك يعود الى ولعه بالتاريخ
والآثار والمتبع لمؤلفاته المطبوعة وآثاره المنشورة يدرك سعة اطلاعه وعظيم معرفته .
اخبرني رحمه الله ان مكتبته الخاصة تشغل شقة كاملة في العمارة التي يملكها
والتي يدير منها مجلة المنهل وقال لي فيما قال ان كتب الرحلات في المكتبة اصبحت
تشغل جزءا كبيرا منها . وما اذكره في هذا الباب اني كنت اقيم في مكة منذ عام
١٣٥٥ إلى عام ١٣٦٤ هـ وقد استلقت نظري ما رأيته في المسجد الحرام مما لم يكن
معهودا أو مذكورا في العهد النبوي وفيما تلاه مثل المطوفين الذين يقودون الطائفين
بالبيت الحرام وبين الصفا والمسعى ، وكذلك الحمام الموجود في المسجد الحرام وهو
بلون واحد وشكل واحد مما يدل على انه من فصيلة واحدة وكذلك الاغوات الذين
ينظمون الصفوف في ساحة المطاف ويقومون على شئون النساء .

استلقت هذه الأمور كلها نظري وبدأت أسأل عنها فضلاء المكين وابحث عن
جذورها الأولى ومتى بدأت 'وكنيت أعد لذلك كتابا ذهبت مع كل أسف أصوله كما
ذهب الكثير من أوراقى عبر السنين وكنيت قد كتبت بعض الفصول عن بعض
هذه المواضيع ونشرتها قديما في جريدة البلاد السعودية .

كما نشرت أخيراً شيئاً من ذلك في جريدة المدينة المنورة ونعود بعد هذا الاستطراد الى صديقنا المرحوم الأستاذ عبدالقدوس ، فقد كتبت اليه وهو في المدينة المنورة قبل انتقاله الى مكة ورجوته ان يبحث في مكاتب المدينة المنورة عن كل ما يتعلق بأغوات الحرمين ويزودني به ، ولم يكذب عبدالقدوس رحمه الله ظني فلما لم يجد كتاباً باللغة العربية في هذا الشأن أرسل الي بترجمة كتاب باللغة التركية في هذا الموضوع . اريد بذكر هذه الحادثة ان أثبت سعة اطلاعه ومدى اهتمامه بالابحاث التاريخية والأثرية رحمه الله .

مجلة المنهل

اصدر عبدالقدوس مجلة المنهل في ذى الحجة من عام ١٣٥٥ هـ وهو مقيم بالمدينة المنورة وقد اتخذ لها مقراً بشارع العنبرية قريباً من المسجد النبوي الشريف وكان يصدرها وهو يعمل بالوظائف الرسمية التي كان يتقلدها .

ومجلة المنهل تمثل الكثير من شخصية عبدالقدوس رحمه الله فقد اصر على اصدارها واستمرارها رغم قلة الموارد ولست أشك انه لقي الكثير من الصعوبات المالية خاصة حتى ابقاها مستمرة ما يقرب من نصف قرن دون كلل او ملل ، فالمنهل ليست من المجلات التي تحظى باعلانات المؤسسات والشركات أو الأفراد ولقد كانت ارامكو تنشر بها اعلانات ثابتة لا أشك ان الباعث عليها هو التقدير لهذا العمل الثقافي الرائد ولم تكن الجدوى الاعلامية للاعلان في حسابها .

ومجلة المنهل كما يعلم قراؤها مجلة متخصصة تعنى بالشئون الثقافية والأدبية والعلمية فليس للاعلان فيها سوق رائج لان قراءها طبقة خاصة من الناس . ولكن عبدالقدوس استمر في اصدارها رغم العوائق بل واستمر في تطوير طباعتها عاماً بعد عام فاخذت تسامر المجلات الأخرى في الطباعة الانيقة المزودة بالصور والرسوم مع جودة الورق وجمال الأخراج .

والمنهل تصدر شهرية منذ بدء تأسيسها ولكنني لاحظت في السنوات الأخيرة ان

المجلة تصدر كل شهرين مرة إلا في بعض الشهور التي تتجمع فيها المواد فيصدر بها عدد خاص لكل شهر، وعلى أي حال فإن هذا الدمج قابله زيادة عدد الصفحات وكثرة المواد التي تحتويها. وإلى جانب تطور المجلة هذا من الناحية المادية فإن المحتوى كان دائماً يزخر بالمواد الثقافية في شتى فنون العلم والأدب وبعض هذه المواد كان يتميز بالتحقيق والتدقيق وخاصة في المباحث التاريخية والأثرية واللغوية التي كان عبدالقدوس نفسه يرحمه الله يعنى بها.

وقد حظيت مجلة المنهل بتقدير كثير من العلماء والباحثين من خارج المملكة العربية السعودية فكانوا يرسلون إليها بعضاً من آثارهم تقديراً لدورها البارز في نشر العلم والأدب والدين. وقد احتفظ عبدالقدوس للمنهل بمكانتها الطيبة بابتعاده عن المهاترات وترفعه عن الاسفاف في الجدل أو الخروج عما رسمه للمجلة من حدود البحث في نطاق مقارعة الحجة بالحجة والمجادلة بالحسنى، وتخير النافع والمفيد. ولقد كان لاحتفاظ المجلة بهذا المستوى اكبر الأثر في استثنائها حين صدور قرار دمج الصحف وتحويلها إلى مؤسسات فكانت المنهل هي المجلة الوحيدة التي استثنيت من بين جميع المجلات والصحف التي كانت تصدر في المملكة العربية السعودية وبقيت خالصة بإسم صاحبها دون شريك، ولقد كان هذا الاستثناء سبباً في احتفاظ المنهل بملاحمها الخاصة دون تغيير.

المنهل مرجع هام

وأستطيع أن أقول ان اعداد المنهل عبر هذه العقود من السنين تعتبر مرجعاً هاماً لكثير من الشخصيات والمباحث ولقد رجعت إليها في ترجمتي للسيد عبيد مدني رحمه الله في أعلام الحجاز كما رجعت إليها فيما انا بسبيل اعداده من ترجمة للشيخ أحمد إبراهيم غزاوي الشاعر المعروف يرحمه الله، وستبقى مرجعاً للباحثين بما تضمه بين جوانبها من كنوز الثقافة والعرفان، واني لارجو ان يعنى الأستاذ نبيه الانصارى بالسير بها على خطى والده الكريم وأن يحافظ على تطويرها مادة ومعنى وهو

القادر على ذلك بعون الله .

مؤلفات عبدالقدوس

ألف عبدالقدوس رحمه الله مؤلفات كثيرة نثبت هنا اسماءها :

التوأمان - قصة اجتماعية

آثار المدينة المنورة

بين التاريخ والآثار

الانصاريات - ديوان شعر

بناة العلم في الحجاز وهو ترجمة للسيد أحمد فيض آبادي مؤسس مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة .

موسوعة تاريخ جدة وهو كتاب ضخمة في تاريخ جدة .

الملك عبدالعزيز في مرآة الشعور وهو البحث الذي قدمه الى مؤتمر الأدباء السعوديين الأول الذي عقد بمكة المكرمة في ١٣٩٤/٣/٤ هـ

تاريخ الكعبة المعظمة قبل الاسلام

شاعر العرب عبدالمحسن الكاظمي

اصلاحات في لغة الكتابة والأدب

بنو سليم

رحلة في كتاب من التراث

التحقيقات المعدة بحتمية ضم جدة .

مع ابن جبير في رحلته

طريق الهجرة النبوية

تحقيق اماكن مجهولة بالحجاز وتهامه .

والقسم الأكبر من هذه المؤلفات يتسم بطابع التحقيق التاريخي ، ويدل على

اهتمامات عبدالقدوس رحمه الله بالآثار والتاريخ أما القسم الآخر فيدل على

اهتماماته بالتحقيقات اللغوية والأدبية وهى مكملة لاهتماماته التاريخية والأثرية .
هذا هو المطبوع من مؤلفاته ولقد ترك بعض المؤلفات التى لم تطبع فمنها ما قد
كمل وما هو تحت الأكمال ، ولن تتسع هذه الترجمة للكتابة عن كل هذه المؤلفات
لذا فقد اخترت الكتابة عن اضخم كتبه وهو موسوعة تاريخ مدينة جدة والذى بذل
الكثير من الجهد والوقت فى جمعه وتحقيقه .
وكذلك عن كتابه الهام آثار المدينة المنورة الذى ظهرت طبعته الأولى قبل نصف
قرن ولنبدأ بآثار المدينة المنورة

آثار المدينة المنورة

لعبد القدوس رحمه الله كتاب صغير الحجم ولكنه عظيم القيمة والقدر هو
كتاب آثار المدينة المنورة الذى ألفه قبل نصف قرن ، فقد ظهرت طبعته الأولى فى
سنة ١٣٥٣ هـ ، وعبد القدوس يومها فى الثلاثين من العمر ثم أعيد طبعه فى عام
١٣٧٨ هـ وطبع للمرة الثالثة فى سنة ١٣٩٣ هـ وقد قسم الكتاب الى عشرة أقسام
هى كما يلى :-

١ - قسم الدور

وقد تحدث فيها المؤلف أولا عن الدور التى نزل بها الرسول الكريم صلوات
الله وسلامه عليه أول وصوله إلى المدينة المنورة وهى دار كلثوم بن الهدم وسعد بن
خيثمه بقباء ثم دار أبي أيوب الأنصارى التى اتخذها ﷺ مسكنا الى أن بنى
دوره بجوار المسجد . كما تحدث عن دور عبد الله بن عمرو وجعفر الصادق وعثمان ابن
عفان وأبي بكر الصديق ودار ربيعة ودار خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ودار
مروان بن الحكم . وحدد المؤلف مواقع هذه الدور مستشهدا بالأدلة التاريخية التى
توصل إليها .

٢ - قسم القصور

أما عن القصور الأثرية فقد تحدث الكاتب عن قصر سعيد بن العاص الذى لاتزال آثاره باقية حتى اليوم تشهد بماضٍ عريق لهذا القصير الذى قال الشاعر فى وصفه :

القصر فالنخل فالجماء بينهما احلى الى القلب من أبواب جيرون

وزين حديثه عن القصر بصورة فوتوغرافية لبقاياها الشاهدة بماضيه الغابر التليد . وكذلك تحدث عن قصر عاصم والسد الذى بناه بجوار قصره .

٣ - قسم الحصون

وفى هذا القسم تحدث المؤلف عن حصن كعب بن الأشرف فى بنى النضير واثبت له أو على الأصح لبقاياها صورة فوتوغرافية ، وقد زار عبدالقدوس رحمه الله الحصن ثلاث مرات ليتثبت من ان هذه البقايا هى حصن كعب بن الأشرف ، وليست بقايا حصن آخر أو منازل أخرى ويقص علينا الشكوك التى قامت فى نفسه ، والأدلة التى توصل اليها بعد البحث فى كتب التاريخ والاستفسار من سكان المنطقة من الأحياء ، وكذلك الأمر بالنسبة لأطم الضحيان الذى اثبت صورة فوتوغرافية لبقاياها وهو لاحيحة بن الجلاح وماذكرناه عن اطم الضحيان بنطبق على اطم ابي دجانة الساعدي الانصارى .

٤ - قسم المساجد

تحدث فيه المؤلف عن مسجد قباء ومسجد الجمعة والمسجد النبوي الشريف ومسجد المصلى أو مسجد الضمان ومسجد الفتح ومسجد ذباب ومسجد القبلتين ومسجد بني ظفر ومسجد السقيا ومسجد الاجابة ومسجد السجدة ومسجد الشمس .

المسجد النبوي الشريف

وقد رأيت ان استخلص للقارىء بعض المعلومات عن المسجد النبوي الشريف لما لهذا المسجد من مقام عظيم في نفوس المسلمين عامة ولاثره البالغ في تاريخ الاسلام.

١ - بني المسجد النبوي الشريف في السنة الأولى للهجرة على يدى النبي صلوات الله وسلامه عليه وكان بناؤه بسيطاً بالغ البساطة كان اساسه الحجارة وجدرة من اللبن وعمده من جذوع النخل وسقفه الجريد وكانت مساحته نحواً من ٣٥ متراً من الجنوب الى الشمال و ٣٠ متراً من الشرق الى الغرب وقد اشترك المسلمون في البناء وشاركهم في ذلك النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

٢ - زاد النبي ﷺ في المسجد في السنة السابعة للهجرة فاصبح مربعا.

٣ - زاد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه في المسجد في السنة السابعة عشرة للهجرة خمسة أمتار في الجنوب وعشرة أمتار في الغرب و ١٥ متراً في الشمال.

٤ - جدد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه في عمارته في سنة ٢٩ للهجرة فبناه بالحجارة والجص والعمد المحشوة بالحديد وسقفه بالساج وزاد في الشرق والغرب والشمال والجنوب، يقول المؤلف وهي منتهى الزيادات بجنوبي المسجد حتى الآن.

٥ - جدد الوليد بن عبد الملك عمارة المسجد في عام ٨٨ للهجرة وانتهت العمارة في سنة ٩١ للهجرة، وزاد فيه من الغرب والشرق وادخل حجارامهات المؤمنين في المسجد وأقام الدائر الخمس على الحجرة، وعمره بالحجارة المطابقة، والجص والعمد، ونقش جدرانه بالفسيفساء والمرمر وسقفه بالساج وذهبه.

٦ - زاد المهدي العباسي في عام ١٦١ هـ فيه وانتهت عمارته في سنة ١٦٥ هـ ولم يذكر المؤلف مقدار هذه الزيادة.

٧ - وقع حريق في المسجد النبوي الشريف فقام الخليفة المستعصم بتجديده وبدأت العمارة في سنة ٦٥٥ للهجرة وانتهت في عصر الظاهر بيبرس البندقدارى.

اقول ولايضاح الأمر نذكر ان الخليفة العباسي المستعصم امر بتجديد عمارة المسجد النبوي الشريف وبدأت العمارة في سنة ٦٥٥ هـ وفي عام ٦٥٦ هـ هاجم التتار بقيادة هولاكو بغداد واجتاحوا واسرفوا في قتل أهلها حتى يذكر ان عدد القتلى بلغ اكثر من ألف ألف نسمة - مليون قتيل - وقتلوا الخليفة رفسا .

ثم ساروا الى الشام فالتقى بهم المصريون بقيادة قطز في عين جالوت وهزم الله التتار على يد جيش المسلمين في الخامس عشر من رمضان سنة ٦٥٨ هـ ، ثم تولى الظاهر بيبرس البندقداري السلطنة في مصر بعد أن قتل قطز ومد نفوذه الى الحجاز فقام بعدة اصلاحات بالحرم النبوي الشريف وارسل الكسوة الى الكعبة كما أرسل الصدقات والزيت والشموع ، ويبدوانه بدأ سياسته في مد نفوذه الى الحجاز باكمال العمارة في المسجد النبوي الشريف التي بدأها الخليفة المستعصم العباسي في سنة ٦٥٥ هـ . (١)

٨ - جدد الملك الناصر محمد بن قلاوون سقفه شرقي رحبته وغربها وزاد رواقين في السقف الجنوبي مما يلي الرحبة عام ٧٧٥ و ٧٠٦ و ٧٢٩ للهجرة .
٩ - وقد تم تجديد الرواقين المذكورين آنفا في عهد الأشرف برسباي عام ٨٣١ للهجرة .

١٠ - جدد الظاهر سقف الروضة وسقوفا أخرى عام ٨٥٣ للهجرة (٢)

١١ - عمره قايتباي سنة ٨٧٩ هـ .

١٢ - قام بعمارته العظمى المنتهية في آواخر القرن التاسع الهجري .

(١) «٣٠٨ / ٣١٦ تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين للسيوطي . «١٩٥ / ١٩٨ قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام لأحمد مختار العبادي»

(٢) أقول هو الظاهر جقمق من سلاطين المماليك الجراكسة . جاء في وفاء الوفاء للسهمودي مايلي :

(ثم حصل خلل في سقف الروضة الشريفة وغيرها من سقف المسجد في دولة الظاهر جقمق فجدد ذلك في سنة ثلاث وخمسين وثمانائه ومقابلها على يد الأمير بربك الناصر المعمار وغيره . «٢٦٨ المماليك للدكتور السيد الباز العريفي «٤٣٣ وفاء الوفاء الجزء الثاني» . . .

أقول والظاهر مما ذكره المؤلف ان قايتباى قام بعمارتين للمسجد الأولى فى سنة ٨٧٩ هـ والثانية التى وصفها بالعظمى هى التى انتهت فى سنة ٨٧٩ هـ .
١٣ - جدد السلطان سليمان كامل الجدار الغربى من حذاء باب الرحمة إلى المنارة السلليمانية سنة ٩٧٤ هـ كما هو منقوش بعلو الجدار المذكور من الداخل قرب باب الرحمة ، وبنى المحراب السلليمانى عام ٩٣٨ هـ والمحراب النبوي على ما يبدو من هيئته .

١٤ - عمره السلطان سليم الثانى سنة ٩٨٠ هجرية .
١٥ - بنى السلطان محمود القبة على القبر الشريف ثم أمر بترميمها ودهنها باللون الأخضر الذى لاتزال تصبغ به الى اليوم وذلك فى سنة ١٢٣٣ كما ورد فى مرآة الحرمين لابراهيم رفعت ، وقد ذكر المؤلف نقلا عن كتاب مرآة الحرمين لايوب صبرى المؤلف باللغة التركية والمطبوع فى الآستانة سنة ١٣٠٠ هجرية ما ملخصه :
فى عهد السلطان محمود خان الثانى وجد فى القبة الخضراء تشقق ، بسبب عدم متانة جدرانها ، وعدم متانة حزامها العلوى ، فأمر السلطان محمود بهدمها من قواعدها ، وبنائها على قواعد مثبتة ورفع بناءها الحالى .
ويعلق المؤلف على ذلك قائلاً ، ويتضح من ذلك ان القبة التى بناها قايتباى هى غير هذه القبة الخضراء الحالية ويؤيد ان القبة الخضراء الحالية عثمانية البناء هذا الالهلال الموضوع فوقها وهو شعار الدولة العثمانية كما هو معروف .

أقول : والذى استطعت إستخلاصه مما نقلناه آنفا هو أن السلطان قايتباى بنى القبة الخضراء على القبر الشريف فى عمارته العظمى للمسجد والتى انتهت فى اواخر القرن التاسع الهجرى ، ثم ان هذه القبة ظهر فيها التشقق فى عهد السلطان محمود خان فى سنة ١٢٣٣ هجرية فقام بهدمها وإعادة بنائها ومن ثم اتخذت هذه العمارة الطابع العثماني الذى أشار اليه المؤلف وعلى هذا فإن القبة الخضراء المقامة على القبر الشريف يرجع تاريخها الى أواخر القرن الهجرى التاسع والله اعلم .
١٦ - قام السلطان عبدالمجيد العثماني بالعمارة الكبرى للمسجد فى عام ١٢٦٥

هـ وانتهت في عام ١٢٧٧ هـ وفي هذه العمارة فتح الباب المجيدى وسمي باسم فاتحه السلطان عبدالمجيد العثماني .

الترميمات في المسجد

- ١ - رمم فخري باشا الوالي التركي المحرايين النبوي والسليمانى ورمم البئر التى كانت فى صحن المسجد عام ١٣٣٦ هـ ومعلوم ان هذه البئر قد طمت ..
- ٢ - رمم المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود أرض المسجد مما يلى رحبته فى الجهات الأربع عام ١٣٤٨ هـ ووضع اطواقا حديدية على بعض الاساطين التى حدث فيها تشقق بغربي الرحبة وشرقيها وذلك فى سنة ١٣٥٠ هـ .
- ٣ - رمت الحكومة المصرية المسجد فى سنة ١٣٥٤ هـ من غلة أوقاف الحرمين الشريفين بمصر ولم يورد المؤلف تفاصيل هذا الترميم .

العمارة السعودية للمسجد النبوى الشريف

على أثر ظهور الخراب فى بعض اعمدة المسجد النبوى الشريف أمر الملك عبدالعزيز رحمه الله بتوسعة المسجد النبوى الشريف وقد اصدر امرا بذلك بتاريخ ٥ رمضان ١٣٦٨ هـ وبدىء بتنفيذ العمارة السعودية فى ٥ شوال ١٣٧٠ هـ .

هدم الدور والاماكن المحيطة بالمسجد

وبدأ المشروع بهدم الدور والاماكن المحيطة بالمسجد بعد انتزاع ملكيتها وتعويض اصحابها تعويضا سخيا وبلغت الدور والاماكن المنزوعة للتوسعة وللميادين والشوارع المحيطة بالمسجد ٢٢٩٥٥ مترا مسطحا .

استمر العمل فى البناء من ٥ شوال ١٣٧٠ هـ وانتهى فى أوائل ١٣٧٥ هـ وقدرت المواد التى استعملت فى العمارة السعودية بثلاثين الف طن من الأسمنت والحديد والأخشاب والمؤن حملتها الى ميناء ينبع اكثر من ثلاثين باخرة ونقلت

بالسيارات الضخمة من ميناء ينبع الى المدينة المنورة ، واقيم مصنع خاص لاعمال الموازيك في منطقة ذى الحليفة وجلب له المهندسون والاختصاصيون .
 وبلغ عدد العاملين في عمارة المسجد النبوى الفا وخمسمائة عامل يشاركونهم مائتي صانع ويشرف عليهم أربعة عشر مهندسا جميعهم من الدول الاسلامية من مصر وسوريا والباكستان والسودان واليمن وحضر موت علاوة على السعوديين وبلغت مجموع الزيادة التى تمت فى العمارة السعودية للمسجد ستة آلاف وأربعة وعشرين مترا .

مراحل الزيادات فى المسجد النبوى الشريف

وننقل فيما يلى مراحل الزيادات التى تمت فى مساحة المسجد النبوى الشريف منذ تأسيسه على يدي الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه وحتى هذا الوقت الحاضر كما اثبتها المؤلف وهى موضحة بالآتار:
 آتار مربعة

٢٤٧٥	مساحة بناء النبي ﷺ
١١٠٠	زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .
٤٩٦	زيادة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه
٢٣٦٩	زيادة الوليد بن عبد الملك الأموى .
٢٤٥٠	زيادة المهدي العباسى
١٢٠	زيادة الملك الأشرف قايتباى
١٢٩٣	زيادة السلطان عبدالمجيد العثمانى

١٠٣٠٣	مجموع المساحة العامة للمسجد قبل التوسعة السعودية
٦٠٢٤	الزيادة السعودية الحالية الأولى

والواقع ان العمارة السعودية تنقسم الى قسمين،القسم الأول هوهدم بعض

أجزاء المسجد القديم وإعادة تعميرها وكذلك ترميم بعض أجزائه والقسم الثاني هو التوسعة التي زيدت في مساحة المسجد وقد أوضح المؤلف ذلك كما يلي :

٦٠٢٤ مقدار التوسعة السعودية

٦٢٤٧ مقدار الأجزاء القديمة التي هدمت واعيد تعميرها وهي الجهات

الثلاث

١٢٢٧١

٤٠٥٦ مساحة الجهة القبلىة - الجنوىة - الباقىة من البناء القدىم .

١٦٣٢٧ المجموع الكلى لمساحة المسجد النبوى حالىا .

معلومات عامة عن المسجد

أساطين المسجد ونوافذه

يبلغ عدد الأساطين فى المسجد النبوى الشريف قبل العمارة السعودية ٣٢٧ اسطوانة: يبلغ عدد الأعمدة فى العمارة السعودية ٤٧٤ عمودا محيطة بالجدار و ٢٣٢ عمودا مستديرا . يبلغ طول كل من الجدار الغربى والشرقى للمسجد ١٢٨ مترا ويبلغ طول الجدار الشمالى ٩١ مترا . يبلغ عدد النوافذ فى الجدار القبلى للمسجد أربعة عشر نافذة مكونة من شبكة حديدية فى منتهى الدقة والجمال وأمام الواجهة الشرىقة نافذة تطل على دار عبدالله بن عمر .

المحراب العثمانى

يقع المحراب العثمانى قبلى المسجد وهذا المحراب هو الزيادة التى زادها الخليفة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فى المسجد ويدخل اليه من باب السلام وفيه محراب الامام وفى نهاية المحراب موضع الزيارة للقبر الشريف .

المحراب النبوي - والروضة الشريفة

يقع المحراب النبوي في شرقي المنبر وما بين المنبر والقبر الشريف هو الروضة ومساحة الروضة ٢٢ متراً في عرض ١٥ متراً ، وفي الجانب الغربي من المحراب كتب بخط نافر هذا مصلی رسول الله ﷺ .
يقول المؤلف وشكل بنایة هذا المحراب ينبىء بأنه قرین المحراب السليمانی في طراز العمارة وقد حصل فيه ترميم أيام فخرى باشا وبعدها .

المحراب السليمانی

أما المحراب السليمانی فيقع في غربي المنبر وهو على شكل المحراب النبوي في زخرفته وبنائه وقد بناه السلطان سليمان العثماني في سنة ٩٣٨ هـ كما يظهر من الكتابة المثبتة فيه وقد رمم في عهد الوالي التركي فخرى باشا ابان الحرب العالمية الأولى .

المنبر

يقع غربي المحراب النبوي وبه اثنتا عشرة درجة ثلاث بخارجه وتسع بالداخل وهو مصنوع من المرمر وظاهره مغمور بالتذهيب والنقوش الفاتقة وفوقه قبة لطيفة تقوم على أربعة أعمدة مضلعة من المرمر، وقد أمر ببنائه السلطان مراد العثماني وأرسل الى المدينة سنة ٩٩٨ هـ كما هو مثبت على بابه شعرا ويتم طلاء المنبر والمحراب في المسجد النبوي الشريف بالذهب

الحجرة النبوية الشريفة

وكانت تسمى قديما المقصورة ومساحتها من الشمال الى الجنوب ستة عشر مترا ومن الشرق الى الغرب خمسة عشر مترا وقد أمر ببنائها الملك الأشرف قايتباي وجعل لها السور الخارجي من النحاس الأصفر ووضع عليها القبة الداخلية وهي مبنية بالحجر الأسود والأبيض وتقع فوق الحجرة الشريفة وللسور الخارجي المعروف

بالشباك باب قبلي اى جنوبي ويسمى باب التوبة، ويقول المؤلف وعليه صفيحة فضية مرقوم عليها تاريخ صنعها سنة ١٠٢٦ هـ.

أقول : لعل المقصود وهو تاريخ صنع الباب المذكور.
وللحجرة الشريفة باب فى الشمال يقال له باب التهجد.
وباب فى الشرق يدعى باب فاطمة . وكذلك باب فى الغرب .

صب الرصاص حول الحجرة

وقد حفر الملك العادل نور الدين الشهيد سنة ٥٥٧ هـ خندقا عميقا حول الحجرة وصب فيه الرصاص للحيلولة بين الجسد الشريف ومن يريد الوصول اليه .

الكوكب الدرى

وكانت الهدايا تهدى الى الحجرة النبوية الشريفة ، وقد ذكر المؤلف نقلا عن كتاب مرآة الحرمين لابراهيم رفعت باشا أن من ضمن ماكان فى الحجرة الشريفة من الذخائر قطعتان كبيرتان من الالماس نقلتا الى الاستانة خلال الحرب العالمية الأولى ولم تعادا الى الآن .

حجرة فاطمة

وبشمالى الدائر الخمس فى داخل الشباك حجرة فاطمة أوقبرها - والاصح أن فاطمة دفنت فى بقيق الغرقد كما يقول المؤلف - وبخلف هذه الحجرة محراب يقال له محراب فاطمة .

محراب التهجد

وفى شمال الشباك من الخارج محراب يسمى محراب التهجد جدد فى عهد

السلطان عبدالمجيد وقد ازيل اخيرا .

الصُّفَّة

وتسمى في الوقت الحاضر دكة الاغوات وكانت هى المكان الذى يجلس فيه فقراء المهاجرين فى حياة النبي ﷺ وهى مواجهة لمحراب فاطمة وهى عبارة عن دكة طولها ١٢ مترا فى عرض ٨ أمتار تعلو عن الأرض التى حولها بنصف متر . وعليها داربزين من الصفر وبجانبيها الى الشرق مخزن امامه دكة كانت معدة جلوس شيخ الحرم النبوي فى أيام الدولة العثمانية .

المآذن

مآذن المسجد خمس أربع منها شاذحة وهى ١ - الرئيسية بالجنوب من المسجد بناها قايتباي ٢ - منارة باب السلام بالجنوب الغربي منه . ٣ - السليمانية شرقي الباب المجيدي . ٤ - الشكلىة بشماله . ٥ - منارة باب الرحمة وقد ازيلت وضم مكانها الى رحبة باب الرحمة وكان بناؤها فى عهد قايتباي وهى أقصر من جميع المآذن وقد حصل فى كل المآذن ترميم فى العمارة السعودية الجديدة .

أبواب المسجد النبوى الشريف

كان للمسجد خمسة أبواب كعدد مآذنه قبل التوسعة السعودية وهذه الأبواب هي :

باب السلام فى الجنوب الغربي وكان يسمى باب مروان .

باب الرحمة بالشمال الغربي وكان يقال له باب عاتكة .

باب النساء وهويقابل باب الرحمة من المشرق وكان يسمى باب ربيعة

باب جبريل بحذاء باب النساء من الجنوب .

الباب المجيدى بشمال شرقي المسجد ونسبته الى السلطان عبدالمجيد العثماني الذى عمر فى عهده المسجد النبوى العمارة التى سبقت التوسعة السعودية مباشرة .

وقد زيد في التوسعة السعودية خمسة أبواب هي :-
باب الصديق ابي بكر وهو بثلاث فتحات متلاصقة ويقع بين باب السلام
وباب الرحمة غرب المسجد .
باب الملك وله ثلاث فتحات متلاصقة أيضا ويقع كسابقه في غرب المسجد .
باب عمر بن الخطاب في شمال المسجد الغربى .
باب عثمان بن عفان في شمال المسجد الشرقى .
باب عبدالعزيز وهو ذو ثلاث فتحات متلاصقة وموقعه في الجهة الشرقية من
المسجد النبوي .

جدران المسجد

هى بصفة عامة مبنية من الحجر الأسود المنحوت المطابق وهى فى غاية المتانة
وسمكها نحو ٣ امتار وكلها مطلية بالجير داخلا وخارجا وهذا الوصف للجدران فى
العمارة العثمانية وقد هدم بعضها فى العمارة السعودية وبنيت بقوالب الأسمنت
وطليت من الداخل والخارج بالدهانات .

إنارة المسجد النبوى

كانت الأنارة فى المسجد النبوي تعتمد على قناديل الزيت التى لاتزال بقاياها
معلقة فى العوارض الحديدية بين أعمدة المسجد، كما كانت الشموع توقد فى المسجد
للإضاءة الى جانب القناديل ، وأول من أضاء المسجد النبوى بالكهرباء هو
السلطان عبدالمجيد الثانى العثماني الذى بعث مكيبة كهربائية لإضاءة المسجد
وكان بدء الانارة بالكهرباء يوم ٢٥ شعبان ١٣٢٦ هجرية وهو يوم الاحتفال بإفتتاح
السكة الحديدية الحجازية بالمدينة المنورة .

ولما قدمت المكيبة المذكورة أهدى الحاج الشاوي الجزائري المغربي مكيبة جديدة
للإضاءة المسجد الشريف وبقيت هذه المكيبة مستعملة كما يقول المؤلف الى سنة
١٣٥٣ هجرية وهى سنة تأليف كتابه هذا .

التوسعة الثانية للمسجد النبوى

لقد ظهرت الحاجة الى توسعة المسجد النبوى الشريف على أثر تكاثر الحجاج عاما بعد عام وكذلك لسهولة المواصلات بين مدن المملكة مما سهل للمواطنين القدوم الى المدينة المنورة بطريق الجو والبر ولهذا فقد جرى الاعداد للتوسعة الثانية للمسجد وتم نزع ملكيات كثير من المباني والاماكن ويقول المؤلف ان هذه التوسعة ستتم باتجاه الغرب وستمتد من الجدار الغربى للمسجد الى الشارع العيني بطول يبلغ مقداره ١٦٥ مترا كما ستمتد من الجنوب الغربى الى الشمال الغربى حتى محلة الساحة ويبلغ مجموع مساحة التوسعة الجديدة مايزيد على ستة وعشرين ألف متر وتزيد قيمة التعويضات فيها على خمسين مليون متر.

هذا ماكتبه المؤلف فى سنة ١٣٩٣ هـ فى آخر طبعة لكتابه القيم الذى نتحدث عنه ، وقد تم نزع ملكيات اخرى حول المسجد النبوى الشريف كما والحقت مساحات كبيرة من الأرض به واحيطت بالأسوار وضيئت بالكهرباء واعدت للصلاة والمأموّل ان تجرى العمارة الجديدة المنوية وان تتم كما تمت سابقتها فى المسجد النبوى والمسجد الحرام وفق الله ولاية الأمور وأعانهم على اتمام ذلك انه سميع مجيب.

وقد تحدث المؤلف فى كتابه القيم عن اودية المدينة وعيونها ومحلاتها الشهيرة الى غير ذلك من المباحث الهامة والقيمة التى نكتفى بالاشارة اليها خشية الاطالة ونحيل الراغب فى الاستزادة الى هذا الكتاب الصغير فى حجمه والكبير فى قدره ومحتواه.

ان كتاب آثار المدينة المنورة الذى الفه عبدالقدوس رحمه الله وهو فى الثلاثين من العمر من الكتب النادرة فى موضوعه وهو خلاصة جهد عظيم ودأب وتحقيق كبيرين ، ولقد كنت اتمنى لوأنه رحمه الله افاض فى بعض المواضع التى عاجلها لكن ذلك اشفى لنفس القارئ واكثر فائدة لأن هذه المباحث العزيزة يتشوق اليها

الراغب في المعرفة وهي مرتبطة بتاريخ المدينة المنورة عاصمة الاسلام الأولى ومنطلق الجهاد ومهبط الوحي ومستقر صحابة رسول الله ومن تبعهم من اعلام الاسلام .

وأخيرا فان هذا الذى ذكرت لا ينقص من قيمة الكتاب فالمؤلف كان يكتب الآثار ولم يكن يكتب التاريخ ولكل كاتب اسلوبه فيما يكتب وطريقته فيما يعالج من الأمور.

ان الكتاب من المراجع الهامة التى لم يؤلف مثلها فى بابها ولهذا يقرأ على توالى السنين والأيام .

موسوعة تاريخ مدينة جدة

ألف عبدالقدوس كتاب تاريخ مدينة جدة وظهرت طبعته الأولى فى سنة ١٣٨٣ هـ بطلب من رئيس بلدية جدة ثم أصدر طبعته الثانية فى سنة ١٤٠٠ باسم موسوعة تاريخ مدينة جدة وازداد اليه اضافات كثيرة كما ذكر لي ان للكتاب جزءا ثانيا هو بسبيل اعداده وأظهاره للناس وهذا الجزء هو لتاريخ جدة بعد عام ١٣٨٣ هـ حيث شهدت المدينة بعد هذا التاريخ الكثير من التطور والامتداد بحيث اصبحت تسابق الزمن فى تطورها واتساعها كما سبقت المدن الأخرى بما نالته من عناية فى جميع الأحوال .

ولقد اخبرني نجله الاستاذ نبيه ان القسم الاكبر من الجزء الثانى من هذا الكتاب قد اتمه عبدالقدوس رحمه الله قبل وفاته وانه كان قد حدد مواد المواضيع الباقية لهذا الجزء لاكمالها .

على اي حال فإن الجزء الأول بين ايدينا والذى يحتوى على مايقرب من ألف صفحة والمحلى بكثير من الصور وبعضها نادر وبعضها قديم يمثل الجهد الضخم الذى بذله المؤلف فى اعداده وتأليفه . ويعد هذه المقدمة عن الكتاب فلتحدث عن مدينة جدة التى هى موضوع الكتاب .

قدم مدينة جدة

تعددت الروايات التي اوردتها المؤلف عن قدم مدينة جدة فبعض الروايات يذكر ان عمرو بن معد بن عدنان نزل بها واتخذها له ولقومه سكنا ومرعى ، وعمرو هذا هو قضاة ويستشهد على ذلك بان احد احفاده - جدة بن حزم بن ريان بن حلوان بن عمرو بن الحارث بن قضاة ولد بجدة فسمى باسم الموضع الذي ولد فيه .

وحدد عاتق بن غيث البلادي في معجم معالم الحجاز مساكن قضاة ومراعيها من شاطئ البحر ومادونها الى منتهى ذات عرق الى حيز البحر من السهل والجبل . ويحدد الأستاذ عبد القدوس هذا التاريخ بصورة تقريبية الى القرن الثاني قبل الميلاد. (١)

بناء الفرس لمدينة جده

أما الرواية الثانية فتذكر ان الفرس - العجم - هم الذين بنوا مدينة جده في عهد ملكهم يزيد جرد وبنوا عليها سورا من الحجارة عرضه خمسة عشر شبرا كما احاطوها بخندق من الماء يدور حول المدينة بما يجعل وضعها الجغرافي في شكل شبه جزيرة . ويحدد المؤلف هذا التاريخ بمنتصف القرن السادس الميلادي. (٢)

اما سبب بناء فرس لمدينة جدة فهو خراب الميناء الفارسي سيراف ورغبة ملك الفرس في ايجاد ميناء آخر بدلا عنه . وهناك رواية اخرى تجعل بناء الفرس لمدينة جده مرتين المرة الأولى معمعة في القدم والثانية هي التي تمت في عهد الملك يزيد جرد في القرن الميلادي (٣)

على أى حال فان ارتباط مدينة جدة بالفرس يبقى واضح المعالم خلال القرون المتتالية بعد الاسلام كما ورد على ألسنة الرحالة والمؤرخين مما سنتعرض له بعد .

(١) «ص ٦٦ موسوعة تاريخ مدينة جدة»

(٢) «ص ٦٦ نفس المصدر»

(٣) «ص ٦٦ نفس المصدر»

جدة قبل الاسلام

فإذا تركنا العهد الممعة في القدم التي اشرنا اليها نجد ذكرًا لشاطئء جده قبيل الاسلام حينما اعتزمت قريش بناء الكعبة قبل الاسلام بعد احتراقها فعلموا ان سفينة لبحار رومي كسرت قريبا من شاطئء جدة وقد بعثت قريش فاشترت اخشاب السفينة واحضرت صاحبها باقوم وكان نجارا ليساعدهم في بناء الكعبة وهذا البناء هو الذي وضع الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه فيه - الحجر الأسود - بيده الشريفة حين اختلفت قبائل قريش في الأمر كما هو معلوم وكان هذا قبل البعثة النبوية بخمس سنين (١)

جدة في العهد الاسلامي الأول

فإذا وصلنا الى العهد الاسلامي وجدنا أن أهل مكة طلبوا من الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ان يجعل ميناء مكة في ساحل جدة بدلا من الشعبية، ويتطرق المؤلف الى الشعبية ويناقش ماورد في بعض الروايات من انها ميناء مكة قبل جده ويخلص الى القول ان جدة هي المدينة وهي الميناء القديم وان الشعبية لاتعدوا ان تكون قرية صغيرة كل ميزتها ان ميناءها لاتكثر فيه الشعب المرجانية التي تضطر السفن في ميناء جدة للرسوب بعيدا عنها وان الخليفة المهدي العباسي اختارها - الشعبية لرسو السفن التي تحمل الرخام المرسل لعمارة الحرم المكي الشريف في عهده لهذه الغاية ليسهل نقله من السفن الى مكة ويقول المؤلف ان بعض هذا الرخام لايزال حتى اليوم مدفونا في رمال الشعبية . (٢)

١ - انظر ماكتبناه عن تاريخ الكعبة المعظمة في ترجمة الشيخ حسين عبدالله باسلامه ضمن اعلام الحجاز

٢ - ٦٠١ موسوعة تاريخ مدينة جدة»

جده فى روايات الرحالة والمؤرخين

وصف البلخى المتوفى سنة ٣٢٢ هجرية جدة فى كتابه ذكر المسافات والاقاليم .
بأنها كثيرة التجارات والأموال وليس بالحجاز بعد مكة اكتر مالا وتجارة منها وقوام
تجارته الفرس (١)

ووصفها البشارى فى كتابه احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم بأنها :
مدينة حصينة عامرة أهلة أهلها أهل تجارات ويسار، خزانة مكة مطرح اليمن
ومصر وأهلها فى تعب من الماء وقد غلب عليها الفرس ، ولهم بها قصور عجيبة
وازقتها مستقيمة ووضعها حسن شديدة الحر جدا . (٢)

اقول ولايضاح مذكره البشاري فى وصف جدة انها مطرح اليمن ومصر- ان
هذا الوصف كان لجدة فى القرن الرابع الهجرى، ولقد كانت جدة حتى منتصف
القرن التاسع عشر الميلادى الموافق للقرن الثالث عشر الهجرى مطرحة لمصر واليمن
والقصد بالمطرح هنا ان البضائع التى ترد الى مصر من الهند تطرح بمدينة جدة،
ثم يجرى نقلها بالسفن الشراعية الى القاهرة وذلك قبل حفر قناة السويس فى
منتصف القرن التاسع عشر للميلاد . والواقع ان تجار جدة كانوا يحتفظون بهذه
البضائع فى السفن التى كانت عبارة عن مخازن عائمة ثم يصدرونها الى مصر
بطريق البحر الى ميناء السويس حسب الحاجة (٣)

ونعود بعد هذا الاستطراد الايضاحى لتتابع وصف الرحالين لمدينة جدة عبر
القرون ، وصف ناصر خسرو جدة فى القرن الخامس الهجرى بأنها مدينة جميلة
محصورة فى داخل سورها الحصين كما لفت الانتباه الى عدم وجود الاشجار والزرع
بها رغم ازدهارها العمراني ، وعلل ناصر خسرو ذلك الى ندرة وجود الماء العذب

١ - صفحة ٧٧ موسوعة تاريخ مدينة جدة .

٢ - صفحة ٧٧ نفس المصدر

٣ - انظر ماكتبناه مفصلا عن ذلك فى كتابنا ملامح الحياة الاجتماعية فى الحجاز صفحة ١٧٢ / ١٧٣ .

بها، وقدر ناصر خسرو سكان مدينة جدة بخمسة آلاف ووصف اسواقها بانها نظيفة جدا ولها بابان مما يلي مكة، وباب البحر وقال ان اميرها مملوك لامير مكة الذى هو فى نفس الوقت أمير المدينة المنورة (١) واسمه ابو المعالي ابن ابي الفتوح. فإذا وصلنا الى القرن السادس الهجرى نجد الرحالة الاندلسي الشهير ابن جبير يقدم لنا وصفا مخالفا كل المخالفة لوصف من سبقه من الرحالين فى القرنين الماضيين فعمارتها الضخمة استحالت اكثرها الى خصائص اما اهلها الذين وصفوا بالثراء وكثرة المال فيصفهم بانهم يستخدمون انفسهم فى كل مهنة لتحصيل لقمة العيش

فكان منهم من يكرى الجمال ومنهم من يبيع اللبن أو الماء للحجاج وإذا لم يكن لاحدهم شيء مما ذكر فهو يلتقط التمر من الشوارع او يحتطب الحطب من ضواحي البلد ويبيع ما جمع، وربما تناول نساؤهم الشريقات ذلك بانفسهن (٢)

ويعلق المؤلف على وصف ابن جبير بان الحالة السياسية المضطربة فى العالم الاسلامي واشتغال السلطان صلاح الدين الايوبي بالحروب الصليبية فى فلسطين ومهاجمة الصليبين للسواحل الاسلامية كل هذا أدى الى الاضطراب السياسي الذى انعكست آثاره على الحالة الاقتصادية مما أدى الى رحيل ثروة جدة وسراتها بأموالهم واهليهم وخدمهم إلى مكان أمين وان هذا الرحيل اخلى مدينة جدة من عناصر الثروة والقوة بها فلم يبق فيها الا الضعفاء الذين ليست لهم القدرة على الهجرة او القلة القليلة المتمسكة بالبقاء فى البلاد رغم المتاعب والصعاب (٣)

إبحر

ومن الأخبار الطريفة فى رحلة ابن جبير وصفه لمرسى إبحر الذى رسى المركب

١ - ٨٠ / ٧٩ تاريخ موسوعة مدينة جدة.

٢ - ٨٠ موسوعة تاريخ مدينة جدة.

٣ - ٨٠ / ٨٢ موسوعة تاريخ مدينة جدة.

القادم به ابن جبير فيها فيقول وفي عشي يوم الأحد ثانی ربيع الآخر أرسينا
بمرسى يعرف بابحر وهو على بعض يوم من جدة وهو من اعجب المراسي وضعا
وذلك ان خليجا من البحر يدخل الى البر والبر مطيف به من كلتا حافتيه فترسى
الجلاب به من قرارة هادئة (١)

عودة الى الرحالين

قدم المؤرخ العربي جمال الدين أبو الفتح بن يوسف بن يعقوب المعروف بابن
المجاور الى الحج بعد ابن جبير بنحو قرن من الزمان فوصف جدة بانها مدينة
صغيرة على ساحل البحر مزدحمة بالحجاج وذكر ان الماء بها قليل وانه يجلب اليها
من اماكن بعيدة كما ذكر ان اهلها من نسل العجم وان ابنيتهما من الحجر الكاشور
ومن الخوص وانه يوجد بها خانات من الخوص تؤجر فيها الغرف للمسافرين ،
وقال ان بها خانيين كبيرين متقابلين بمخازن كبار وانه كان تجبى بها رسوم -
ضرائب - للعقار من قبل سلطان مصر مقابل تعمير كل بيت مبني بالخوص ومقدار
هذه الرسوم العقارية هي ثلاثة دراهم على كل بيت (٢)

والتأمل يرى ان وصف ابن المجاور الدمشقي يقترب من وصف الرحالة
السابقين باستثناء وصف ابن جبير ، الذى يقول المؤلف انه ربما أنزل في هذه
الخانات المبنية من الخوص فاخذ الانطباع القاتم عن المدينة واحوال اهلها .

أهل جدة يرحلون منها

ويقدم المجاور الدمشقي قصة تحمل في طياتها أسباب ترك ثروة جدة لمدينتهم في
سنة ٤٧٣ هـ فيقول ما معناه :
أرسل أمير مكة الى شيخ تجار جدة يطلب منه إرسال حمل من الحديد فأمر شيخ

١ - ٨٠ / ٨٢ موسوعة تاريخ مدينة جدة .

٢ - ٣٢ موسوعة تاريخ مدينة جدة ويقول الأستاذ حمد الجاسر ان كتاب المستبصر ليس من تأليف ابن

المجاور الشيباني الدمشقي وانها هو منسوب اليه خطأ وان مؤلفه فارسي الأصل .

التجار غلامه بإرسال الحديد إلى مكة وأرسل الغلام الحديد المطلوب فلما وصل إلى صاحب مكة وجد أن الحمل الذي أرسل كان من الذهب الخالص وقد علاه الصدأ من طول بقائه فتغير لونه فظنه الغلام حديدًا فبعثه على أنه من الحديد، ولكن إلى مكة الذي عرف أن الذهب في مخازن تجار جدة موجود على شكل قضبان من الحديد طمع في حمل آخر فأرسل إلى شيخ التجار يطلب حملاً آخر من نفس الصنف، وقد تنبه التاجر فاستدعى غلامه الذي أرسل الحمل الأول وسأله عن الحديد الذي أرسله إلى مكة فقال حمل حديد أصفرً بتشديد الراء .

يقن شيخ التجار أن الحمل الذي أرسل إلى صاحب مكة كان من الذهب الخالص وليس من الحديد كما يقن باطماع أمير مكة وما تجرّه هذه الاطماع عليه على تجار المدينة جميعاً، وهنا تختلف الرواية، فتقول إحدى الروايتين أن أمير مكة الأمير داود بن إبراهيم هاجم جدة بالأعراب وحاصرها فهرب التجار بأموالهم وأهليهم وكلما يملكون ، والرواية الأخرى تقول أن شيخ التجار استشار أحد كبار السن في المدينة فأشار عليه بالتزوح من المدينة فنزح تجار جدة بكل ما يملكونه وركبوا البحر فسكن قوم منهم السرين والراحة وعتر والجرعة والدرعة والشميد وجزيرة ذهبان وكسران وبنو موسى وباب موسى ، ويعلق ابن المجاور على القصة فيقول فلما خلت الأرض من الأحباب ملكها الأعراب . (١)

وعلق المؤلف على ذلك أن هجرة أهل جدة نتيجة لمحاصرة الأعراب لها كانت جماعية وأنها كانت إلى ناحية الجنوب لأن أكثر الأسماء التي أوردها الدمشقي هي من مدن اليمن .

أقول والمتأمل في الرواية التي أوردها ابن المجاور لا يطمئن إلى حكاية الحديد الذي طلبه أمير مكة فأرسل إليه حمل ذهب بدلاً منه فالذهب مهما كثر عند شيخ

(١) ٨٧ موسوعة تاريخ مدينة جدة .

التجار أو أي ثري لا يلقي في المخازن حتى لا يفرق بينه وبين الحديد، ولقد أدركت الناس بينون الغرف السرية في بيوتهم أو متاجرهم ليودعوا بها ما يخشون عليه ولكن الحقيقة التي يمكن استخلاصها من رواية ابن المجاور أن حصار الأعراب والبادية لمدينة جدة طمعا في ثروات أهلها وعدم اطمئنان الناس إلى وجود الحماية الكافية لهم تجاه هذا الغزو هي التي دفعتهم إلى الرحيل بأولادهم وثرواتهم هذا إذا صحت الرواية وليس هناك ما يمنع صحتها.

وذكر ابن المجاور كذلك شيئا عن الرسوم التي كانت مفروضة على الحجاج المغاربة والتي تستوفي منهم بأمر والي مكة المكرمة كما ذكر أن بعض الحجاج الذين لم يستطيعوا دفع الرسوم جرى إيقافهم في جزيرة قريبة من جدة (١)

أما الرحالة الشهير ابن بطوطة الذي قدم إلى الحج بعد قرن من قدوم ابن المجاور لها في القرن الثامن الهجري فيقدم لنا وصفا يشبه وصف ابن جبير فيذكر أن سكان المدينة قليل بحيث لا يجتمع النصاب لصلاة الجمعة فسبحان مغير الأحوال.

ويعلل المؤلف هذا الانحدار المؤسي الذي آلت إليه أحوال جدة إلى اضطراب الأحوال السياسية في العالم الإسلامي فالاندلس يتقاسمها المسيحيون وبنو نصر، والصوماليون الوثنيون انتزعوا الساحل المناوحي لمدينة جدة، والحجاز نفسه كان طعمة سائغة لاطماع ونزوات أمراءه الأشراف وكانوا شيعة ذوى أهواء متفرقة، والبادية في الحجاز تعيث فسادا في الأرض بدون رادع أو زاجر، ويد السلاطين خارج الحجاز قاصرة عن أن تمتد إليهم لإعادة استقرار الأمن إلى ربوعه، فلا غرو أن يهبط كما يقول المؤلف مستوى التجارة البحرية في البحرين الأحمر والأبيض الذين تعتمد عليهما تجارة جدة في تقدمها وازدهارها، وهكذا فإننا نرى أن فقدان الأمن في المدينة بسبب تنازع وتسلط البادية واطماعها أدخل الرعب

الى قلوب الناس فتركوا ديارهم ورحلوا بأموالهم وذرياتهم الى حيث يجدون الأمن والاطمئنان .

البرتغاليون يهاجمون جدة

فى سنة ٩٤٨ للهجرة هاجم البرتغاليون مدينة جدة بحراً بنية الاستيلاء عليها وكان الاستعمار الغربى قد بدأ يزاول نشاطه فى احتلال الشرق الأقصى والأوسط والاستيلاء على البلاد الهامة فى آسيا وأفريقيا وكان البرتغاليون هم أول الشعوب الغربية المستعمرة للبلاد البعيدة، وكانت نواياهم قد أصبحت معلومة بعد ان استولوا على اجزاء من الهند، كما حاولوا الاستيلاء على بعض مدن المغرب العربى ، ولما كان الله تعالى قد تكفل بحماية الحجاز من هذه الشرور لأنه موضع المقدسات الاسلامية فى مكة والمدينة فقد اهم الله السلطان قانصوه الغورى قبل ذلك بتحسين مدينة جدة ضد الغزو المنتظر وكان الحجاز فى تلك الحقبة تابعا لولاية سلاطين المماليك فى مصر .

أمر السلطان قانصوه الغورى باحاطة مدينة جدة بسور حصين وبناء القلاع فى مواجهة البحر وتزويدها بالمدافع الحربية وبالرجال لصد المغيرين على المدينة وأرسل جيشا من الترك والمغاربة للدفاع وعهد برئاسة الجيش الى حسين الكردى الذى أمر أهالى المدينة عامة بالمشاركة فى بناء السور وتم بناؤه فى سنة ٩١٥ للهجرة ولكن البرتغاليون لم يفدوا للغزو الا فى سنة ٩٤٨ للهجرة الموافقة لسنة ١٥٠٩ للميلاد .

دفع البرتغاليون حملتهم البحرية من الهند الى جدة وكانت مدينة جدة مستعدة للدفاع عن المدينة وكان أمير مكة الشريف ابونمي على علم بخطورة الحالة فترك الحج وحضر الى جدة مع جنوده والمتطوعين من الناس لمواجهة الغزاة فحاصر البرتغاليين واصلاهم نارا حامية وشاركت القلعة البحرية التى كانت فى مواجهة السور باطلاق النيران من المدافع ولم يجد البرتغاليون سبيلا الى المدينة فلاذوا بالفرار مخلفين الذخائر والسلاح .

وقد شكر السلطان سليمان للشريف أبى ندى صنيعه هذا وقدر عمله الطيب

وجهاده في صد البرتغاليين عن مدينة جدة مدخل مكة المكرمة ودهليز الحرمين الشريفين (١)

أقول لقد ادركت سور جدة الذي كان يحيط بها إحاطة السوار بالمعصم والذي ازيل في سنة ١٣٦٤ تقريبا كما ادركت القلعة البحرية التي ورد ذكرها وكانت قد تحولت الى سجن جدة (٢) ولم يبق من آثارها سوى ملامح البناء القديم .

الشريف والوالي

انتقل الحكم في الحجاز من سلاطين مصر الى دولة الخلافة بالقسطنطينية وكان لما ابداه الشريف ابونمي أمير مكة من استبسال في صد الغزاة النصارى عن مدينة جدة اثره الطيب لدى السلطان فاصبح الحكم في الحجاز مشتركا بين شريف مكة والوالي التركي الذي تعينه السلطنة بمرسوم من الخليفة، وكان لا بد لهذه الازدواجية في الحكم ان تظهر آثارها منافسة بين الشريف والوالي وكان لكل منهما انصاره ورجاله وكان الشريف يقيم بمكة ويعين وكلاء له بجدة والوالي يقيم بجدة وكان لكل من الشريف والوالي انصاره الذين يلجأ اليهم في دار الخلافة وهكذا يقع الشد والجذب وتعانى المدينة من جراء التنافس بين الحزبين هزات تهدد امنها واقتصادها وقد اورد المؤلف بعض الأمثلة على ذلك .

كان أمير مكة في سنة ١١٨٢ هـ الشريف مساعد وطمع شريف آخر هو الشريف أحمد بن الشريف عبدالكريم في الأمانة ولم يجد وسيلة لذلك الا اظهار الشريف مساعد بمظهر الرجل العاجز عن السيطرة على الأعراب والبدو الذين يتبعون أمير مكة عادة فهاجم الشريف أحمد مدينة جدة بواسطة البدو لنهب أموال تجارها ودافعت جدة عن نفسها متحصنة بسورها واصلت المهاجمين نارا حامية ولكن المهاجمين اطلقوا على المدينة قنابل المدافع وسهام الكبريت الموقد في رؤوسها كالرياش فاحترقت عيش جدة .

١ - ٨٨ - ٩١ موسوعة تاريخ مدينة جدة .

٢ - يراجع تفصيل كل ما يتعلق بسور مدينة جدة في كتابنا ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز صفحة ٥٩ / ٦٢

ويرى المؤلف ان الوالي التركي كان ضالعا في هذه المؤامرة والا ماتمكن المهاجمون من احداث الحريق في جدة (١)

ولكن المؤلف لم يعط مصدرا تاريخيا لهذا الاستنتاج والذي اراه ان الطمع في اماره مكة هو الذى احدث الحريق وليس من المعقول ان يساعد الوالي الشريف الذى يمهد لعهد بالاخلال بالامن وحصار مدينة تجارية كبيرة كمدينة جدة والله اعلم .

والواقع ان الفتن بين ولاية مكة من الأشراف كانت اظهر من الخلافات بين الوالي التركي والشريف المكي وخطر وقد اورد المؤلف بعد ذلك حادثة توضح هذا الرأى نوجزها فيما يلى :

في سنة ١١٨٥ هـ كان شريف مكة أحمد بن سعيد وكان وكيل الإمارة في جدة التاجر الشهير يوسف قابل أحد أعيان جدة ودهاتها كما يصفه المؤلف غضب شريف مكة على وكيله هذا فعهد بوكالته في جدة الى حسين ابن إبراهيم الشامي وكان حاضرا في مجلس الشريف بمكة وأمره أن يتوجه الى جده ليقبض على يوسف قابل ويضعه في الاغلال ويتولى وكالة إمارة مكة بدلا منه . يقول المؤلف ولحسن حظ يوسف قابل وسوء حظ شريف مكة ان صديقا للتاجر يوسف قابل كان حاضرا بالمجلس وسمع في شأن صديقه ماسمع هذا الصديق هو الشريف سرور بن مساعد فأسرع بالسفر الى جدة واخبر صديقه يوسف قابل بما يراى به ، وكان سرور ابن مساعد يطمع في إمارة مكة كما ان يوسف يريد دفع الاذى عن نفسه فاتفقا ان يمد يوسف قابل الشريف سرور بالمال الوفير ليستولى على إمارة مكة ويعزل الشريف أحمد بن سعيد ، وهكذا تمكن الشريف سرور بمساعدة يوسف قابل من عزل شريف مكة والاستيلاء على إمارتها وإبقاء يوسف قابل وكيلا للإمارة بجدة . (٢)

١ - ٩٣/٩٢ موسوعة مدينة جدة

٢ - ٩٤/٩٣ موسوعة تاريخ مدينة جدة

ويذكر المؤلف ان قبائل حرب اشتبكت في قتال مع أمير مكة الشريف سرور ابن مساعد في سنة ١١٩٥ للهجرة وان مدينة جدة قد وقفت الى جانبه وانجذته في هذه الحروب ولكنه كذلك لا يعطى تفصيلا عن هذا الأمر (١)

الانكليز يقذفون جدة بالقنابل

في سنة ١٢٧٤ للهجرة أرسل الانجليز بعض قطع الأسطول الى مدينة جدة وقذفوا المدينة بالقنابل وذلك على أثر مقتل القنصل الانكليزي والقنصل الفرنسي وبعض الفرنجة من قبل الأهالي والسبب في ذلك هو انه سرت اشاعة بأن القنصل الانجليزى دعس بقدمه علم الدولة العثمانية فاعتبر الاهالي ذلك اهانة للإسلام وقام عبدالله المحتسب ومعه جماعة من الأعيان بتهيج الاهالي على الافرنج فاقدموا على قتل القنصلين كما ذكرنا ورأت انكلترا ان تنتقم لمقتل قنصلها ومن معه بإرسال أسطولها الى جدة ولم تكن المدينة مستعدة لمقابلة الأسطول الانجليزى فتدخلت الحكومة العثمانية في الأمر ووعدت الانجليز بالتحقيق في الحادث ومعاقبة المعتدين وتم بالفعل القبض على المحرضين وصدر الأمر بقتل المحتسب وسعيد العامودى ونفي الآخرين الى جزيرة قبرص واطفاء الفتنة (٢)

إرسال الأسطول الانجليزى مرة اخرى الى جدة

وفي سنة ١٣١١ للهجرة أرسل الانجليز قطعاً من اسطولهم مرة أخرى الى جدة أثر قتل الأعراب لوكيل القنصل الانجليزى وقد جرح في هذه الحادثة كذلك وكيل القنصل الفرنسي والقنصل الروسي وتدارك الشريف عون الرفيق امير مكة الامر قبل ان يستفحل فحضر الى جدة وعالج الأمر صلحا وعادت المراكب الانجليزية

١ - ٩٣ نفس المصدر

٢ - ٩٥/٩٤ موسوعة تاريخ مدينة جدة وانظر تفصيل هذه الحادثة في ترجمة عبدالله باشا باناجه في الجزء الثاني من كتابنا اعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة.

دون ان تتعرض للمدينة بأذى(١)

هجرة أهل جدة الى مكة

فى سنة ١٣٣١ هجرية هاجر كثير من سكان جدة الى مكة خشية من ان تتعرض المدينة لمهاجمة الأسطول الإيطالى من البحر وذلك على اثر نشوب الحرب بين الدولة العثمانية وإيطاليا فى طربلس الغرب ، ويبدو انه وردت بعض الأخبار بذلك ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث (٢)

الانجليز يضربون جدة بالقنابل

وفى سنة ١٣٣٤ للهجرة اطلقت البوارج الانجليزية قنابلها على المدينة واستهدفت بالذات الثكنة العسكرية التى كانت الحامية التركية معتصمة بها وذلك على أثر اعلان الشريف الحسين ابن علي الثورة على الحكومة التركية وقد قاومت الحامية التركية خمسة عشر يوماً فاستقدم الانجليز بعض الطائرات التى القت منشوراتها على المدينة محذرة ومنذرة وكان الشريف الحسين قد حاصر جدة برّاً فلما طال الامر اتصل الشريف الحسين بأهلها واندبرهم بضرورة التسليم وتم ذلك بالفعل واستسلمت الحامية التركية وغنم الشريف الحسين الاسلحة والذخائر الموجودة لديها فى جدة وتم نقلها الى مكة لمحاربة الحامية التركية المعتصمة بقلعة اجياد (٣)

جدة مقرا للملك علي بن الحسين

وفى سنة ١٣٤٣ هـ على أثر خروج الملك حسين بن علي من الحجاز بعد أن

١ - ٩٥ موسوعة تاريخ مدينة جدة .

٢ - ٩٦٩٥ نفس المصدر .

٣ - ٩٦ نفس المصدر

خلعه أهل الحجاز عن الملك وتولية ابنه الملك علي بن الحسين ملكا على الحجاز اتخذ الملك علي من جدة عاصمة له وكانت جدة معرضة للحصار من قبل جيوش السلطان عبدالعزيز آل سعود الذي استولى على الطائف واستسلمت مكة له دون حرب وكانت الحرب مستمرة بين الهاشميين والسعوديين في جدة الى ان تم الصلح بين الطرفين في جمادى الثانية ١٣٤٤ هـ وغادر الملك علي جدة نهائيا ٣ جمادى الثانية ١٣٤٤ هـ ثم دخلها السلطان عبدالعزيز آل سعود - جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله - وانتهت بذلك المحنة التي تعرضت لها البلاد (١)

وهكذا طاف بنا المؤلف عبر التاريخ لنرى كيف تقلبت الأحوال بمدينة جدة عسرا ويسرا وحربا وسلمًا وخوفاً وأماناً فسبحان من له البقاء والدوام والعزة والملوكوت .

كان الحكم في الحجاز وخاصة في العهد العثماني مناصفة - اذا صح هذا التعبير - بين امراء مكة الذين جرت العادة على اسناد الامارة اليهم وهم من الأشراف ، والولاة الاتراك الذين تختارهم الحكومة العثمانية وترسلهم من قبلها . وكان أمير مكة يعين له وكيلًا في جدة يطلق عليه لقب - الوزير - وكان امراء مكة من الأشراف يناط بهم شئون البادية والأعراب والمحافظة على الامن وخاصة في الطريق بين مكة وجدة وبينهما وبين المدينة الذي تعبره قوافل الحجاج الى جانب ادارة الأمور في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة .

وكان مقر الولاية الاتراك في جدة وكان هؤلاء منوطا بهم الشؤون الادارية والمالية المتعلقة بجباية الضرائب الحكومية والرسوم الجمركية وإدارة شئون جدة من النواحي الادارية والعسكرية والمالية ، وكان لأشراف مكة معاليم تدفع لهم من واردات جدة ويبدو ان هذه المعاليم مرتبطة بنسبة ما يتحقق من الواردات التي كان أهمها الرسوم الجمركية ولما كانت الواردات المالية تستوفي بجدة فإن شريف مكة يتسلم استحقاقاته بواسطة وزيره في جدة من الوالي التركي .

وكانت هذه الازدواجية في السلطة بين الوالي التركي والشريف المكي توجد الكثير من التنافس لرغبة كل طرف بالاستئثار بالسلطة الكاملة ، ولهذا فان تاريخ جدة حافل بالكثير من الحوادث التي وصل الأمر فيها بين الشريف والوالي الى الحروب ونحن ننقل هنا بعض الحوادث الهامة الواردة في الكتاب عن هذه الأمور لاهميتها التاريخية التي تنبئ عما كانت عليه أحوال البلاد من الاضطراب في تلك العصور.

حكام جدة

كان حسين الكردي حاكم جدة من قبل السلطان قانصوه الغوري وهو الذي بنى بأمر السلطان قانصوه سور جدة وقلعتها البحرية التي صدت البرتغاليين حينما هاجموا البلدة وكان حسين الكردي هذا جبارا صارما فعندما أمره قانصوه ببناء السور فرض على عامة اهالي البلدة وتجارها المشاركة في البناء وحمل الطين والاحجار حتى اتم السور في اقل من عام وقد حدث ان احد البنائين تأخر يوما في الحضور فأمر حسين الكردي ببناء السور عليه وهكذا دفن الرجل حيا تحت هذا السور.

وقد انفصل الحجاز عن حكم السلطان الغوري وانتقلت السلطة الى السلطان سليم أول السلاطين العثمانيين الذين حكموا الحجاز في سنة ٩٢٣ ويبدو ان الشكوى من حسين الكردي وجبروته وصلت الى مسامع السلطان فأصدر أمره الى والي جدة قاسم الشرواني بإغراق حسين الكردي في بحر جدة ونفذ الشرواني أمر السلطان فربطت على ظهره صخرة والقي في البحر (١)

قيطاس بك

وفي سنة ١٠٦٠ ولي حكم جدة غيطاس أوقيطاس بك وهو أحد ممالك رضوان العقادي أمير الحج المصري ولآه سيده إمارة جدة نكاية بالشريف زيد أمير مكة فدرس انفه في شؤون الإمارة واخذ يناصر الشريف عبدالعزيز بن الشريف ادريس

١ - ٢٩٨١/٢٩٩ نفس المصدر

على أمير مكة ويغريه بالاستيلاء عليها حتى انتهى الأمر الى نشوب قتال عظيم بين الطرفين في مكان يقع قريبا من السيدة ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها وقد أصيب عدد كبير من الجانبين .

ولما اشتد القتال وخشي الشريف عبدالعزيز من الهزيمة طلب الامان لنفسه ولقيطاس بك ومن معهما فاعطاهما الشريف زيد الامان وأرسل مع غيطاس اشخاصا يوصلونه الى جدة وبعد ذلك صدر الأمر بعزل غيطاس بك وترحيله الى مصر مع الشريف عبدالعزيز الذي تأمر معه . (١)

حسين باشا

وفي سنة ١٠٧٩ اسندت الدولة إلى حسين باشا أمر جدة ومشیخة الحرم المكي والنظر في أمر مكة وكان هذا الوالي طموحا ، غاضب الشريف سعد بن زيد امير مكة وعاكسه في توزيع الصرّ المرسل معه لمستحقه ولم يعتن به ثم توسط بينهما بعض أمراء الحج فتواصلوا على مضض وحذر، وبعد انتهاء حج عام ١٠٧٩ عاد الى جدة مقر امارته وظهر منه شقاق كبير على أمير مكة الشريف سعد وبارزه بالعداوة وقطع معاليمه من جدة - المعاليم - هي المخصصات المالية التي كانت مخصصة لشريف مكة بأمر السلطان - ثم قدم الى مكة في حج ١٠٨١ فلما كان اليوم الثالث من منى اطلقت عليه رصاصة وقيل ثلاث رصاصات فاصيب في فخذه عند جمرة العقبة في وقت الغروب وهو منحدر الى مكة فوقع من حصانه فاحتمله العسكر الى التخت ونزلوا به الى مكة بعد ان قتلوا من وجدوه تجاههم من الحجاج الفقراء الى أن وصلوا الى بيته في باب الباسطية بمكة .

وبلغ الخبر الشريف سجدا فنزل من منى بمن معه من العسكر والأشراف في لباس الحديد ، واستعدت عساكر حسين باشا للحصار وجعلوا المدافع على باب السدرة ورباط الباسطية ومن جهة باب الشبيكة بمكة . واجتمع امراء الحج بالشريف فأخبرهم أنه لم يعلم بهذا ولم يأمر - وطلب الشريف محاسبة حسين باشا

١- (٣٠١/٣٠٢ نفس المصدر)

عن استحقاقه الذي منعه حسين باشا بدون حق . ووكل الشريف وكيلا من قبله فأقام الدعوى لدى قاضي مكة على الباشا واحضرت دفاتر بندرجدة فصيح للشريف عند الباشا مبلغ ٢٤٠٠٠ قرش وتوسط الأمراء بينهما فآخذ الشريف عشرة آلاف وسامح في الباقي ، ثم توجه حسين باشا عائدا الى جدة في السابع عشر من ذى الحجة وتوجه منها الى المدينة المنورة وكان يضطرم غيظا على الشريف مكة فاستدعى الشريف أحمد بن محمد الحارث بن الحسين بن ابي نمي وولاه شرافة مكة والبسه الخلعة في الروضة الشريفة ونادى له في البلد وأمر بالدعاء له على المنبر .

وأرسل الى جدة يطلب الذخيرة والسلاح ليتوجه الى مكة لخلع الشريف سعد وبلغ الشريف سعدا ماحدث فساfer من مكة الى ينبع لقتال حسين باشا ثم توالى الحوادث حتى ورد عزل حسين باشا الى الشريف سعد وجاءته البشرى بامداده بالذخيرة والخزانة التى طلبها حسين باشا فارسلت اليه من جدة ، ثم وافى خبر العزل حسين باشا فتوجه من المدينة الى غزة وتوفي بالطريق . (١)

الاشراف يشكون أمير مكة الى الوالي سليمان باشا

وفى سنة ١١١١ اسندت ولاية جدة الى سليمان باشا واستمرت ولايته لها الى سنة ١١١٨ وخلال هذه السنوات اختلفت الأشراف مع أمير مكة الشريف سعد ، واخذوا يعيشون فى الأرض فسادا فتعرضوا لنهب المسافرين بين مكة وجدة من الحجاج وغيرهم وكان أمير مكة الشريف سعد قد امتنع عن دفع استحقاقات الأشراف اليهم فكاتبهم الوالي سليمان باشا ووعدهم بضمان حقوقهم واعادتها اليهم وطلب منهم تأمين طريق مكة للحجاج فانصاع الأشراف لرغبة الوالي وأمنوا الطريق بل وصار البعض منهم يصطحبون القوافل فى ذهابها الى مكة وإيابها محافظة عليها وكتب الوالي الى الشريف بما فعل

١- ٣٠٣/٣٠٢ نفس المصدرة

وطلب منه اطلاق حقوق الأشراف اليهم ، ولكن الشريف سعيدا امير مكة لم يحفل بالأمر فما كان من الأشراف الا انهم اجتمعوا وعزلوا الشريف سعيد وولوا بدلا منه الشريف عبدالمحسن وتجمع الأشراف قرب جدة في منطقة غليل وارسلوا الى سليمان باشا يذكرونه بوعده لهم وبما تم الاتفاق عليه معهم وطلب منهم سليمان باشا الدخول الى جدة فدخل بعضهم وبقي البعض الآخر في غليل على حذر. ويبدوان سليمان باشا كان من دهاة الرجال وقد احكم خطته فاستبقى الأشراف في جدة وكتب الى الشريف سعيد أمير مكة وكذلك الى والده رسالة يقول فيها :

ان الأشراف نزلوا غليلا لمحاصرة جدة ومنعهم اهلها من الماء (١) وربما يحدث منهم خلاف على البندر- مدينة جدة- وليس لنا قدرة على دفعهم ، وارجوان تخرجوا اليهم ونحن من عندنا معكم اوتدفعوا ما هو لهم من المعاليم ليرجعوا عما هم فيه من مضرتنا ومضرتكم وليدخلوا تحت الطاعة ، وان كنتم عاجزين عن ذلك فاخرجوا من البلاد فقد نعين لها من يقوم بحفظها .

إن المتأمل في رسالة الوالي يجدها مبطنة بالتهديد فهو يخبره بين القضاء على مشكلة الأشراف الذين يعيشون بالأمن اما بالقوة ويعدده بالمساعدة على ذلك ، أو بالحسنى بدفع ما لهم من استحقاقات وفي حالة عدم استجابته لأي الامرين يدعوه الى ترك إمارة مكة لانه يصبح عاجزا عن القيام بواجباته .

وركب الشريف سعيد رأسه فكانت اجابته لسليمان باشا - ليس لهم عندنا الا السيف او يرضون بالحيف .

لم يضع سليمان باشا وقتا فاستدعى الشريف عبدالمحسن بن أحمد بن زيد فعقد له إمارة مكة بحضور القاضي والأشراف والأعيان وهيأله كل ما يحتاجه من عساكر خيالة ومشاة وأمن له المرتبات اللازمة من المطعم والمشرب ، وكتب الى المدينة المنورة

١ - منطقة غليل فيها عين الماء التي ن تستقي منها جدة

بأمرته فنودى به أميراً لمكة وخطب بأسمه على المنبر النبوي كما كتب إلى قبائل حرب وإلى شمال الحجاز وإلى اليمن والطائف بأمرته فاطاعوا. ولكن وإلى مكة الجديد بقي بجدة لأن الأمير الشريف سعيد مازال بها.

ولم يرضخ الشريف سعيد للأمر الواقع فقابل الكيد بالكيد إذ استصدر فتوى شرعية من قاضي مكة المكرمة بإبطال البيعة للشريف عبد المحسن وعزله هو وسليمان باشا من منصبيهما، ولكن سليمان باشا كان فيما يبدو قد استصدر أمراً سلطانياً بإطلاق يده في تولية إمارة مكة من يشاء وعزل من يشاء وكان قد أعذر إلى الشريف سعيد برسالته التي أرسلها إليه.

أبرز سليمان باشا الأوامر السلطانية بتفويضه في أمر ولاية إمارة مكة فلم يستطيع الشريف سعيد أن يفعل شيئاً واضطر في نهاية الأمر إلى الخروج من مكة ليدخلها الشريف الجديد عبد المحسن بن أحمد بن زيد.

وكما ولي سليمان باشا الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد فإنه قام بعزله عن منصب الإمارة وتولية الشريف عبد الكريم بن محمد بدلاً منه، ويقول المؤلف إن الباشا شعر أن الشريف عبد المحسن يعمل على التخلص من نفوذ الباشا.

وعلى أي حال فإن هذه الوقائع تظهر قدرة هذا الوالي على السيطرة على حكام مكة من الأشراف و إخضاعهم لنفوذه استناداً إلى ما بيده من تفويض من السلطان، وقد اقترنت ولاية سليمان باشا بالقضاء على تمرد المتمردين من الأشراف والبدو سواء بالحسنى كما رأينا في تأمينه طريق القوافل بين مكة وجدة وبالقوة حينما جرد حملة بحرية قوامها السفن الشراعية على الشريف عبدالله بن عبد الكريم الذي استولى على مدينة ينبع وكذلك حملة بحرية أخرى على الشريف سعد والد الشريف عبد الكريم الذي حاول انتزاع القنفذة بواسطة الأعراب في الجنوب ولكن الشريف سعيداً لم يهدأ بالاً حتى استصدر أمراً من السلطان بإعادته إلى الإمارة مرة أخرى وفوجى سليمان باشا بأمر السلطان الذي رضى له فبايع الشريف سعيداً بالامارة وبذل الشريف سعيد لسليمان باشا الأمان ولكن هذا لم يلبث أن استصدر

فرمانا من السلطان أحمد بعزل الشريف سعيد وتولية الشريف عبدالكريم مكانه، وهكذا انتصر سليمان باشا الوالي الداهية اخيرا واجلس صديقه الأمير عبدالكريم على دست الأمانة في سنة ١١١٧ للهجرة (١).

شريف مكة يهاجم جدة

ادت الخلافات المتفاقمة بين امراء مكة من الاشراف وولاة جدة من الترك الى حدوث احتكاكات ادت الى هجوم اشراف مكة بجيوشهم على مدينة جدة ومحاصرتها واجبار الوالي التركي على الهرب من جدة.

فقد اسندت ولاية جدة سنة ١١٤٦ الى الوالي علي باشا وحدثت بينه وبين الشريف مسعود أمير مكة منازعات بسبب المقررات الخاصة للشريف في بندر جدة وقدمت جنود الشريف مسعود لمحاصرة جدة وكان الوالي قد استعد لهذا الحصار ونشبت المعارك الا ان وكيل شريف مكة في جدة وانصاره فيها اشاروا على قائد جيش الشريف مسعود بمهاجمة المدينة من الجهة الجنوبية لضعف الدفاع في تلك الجهة وبالفعل تمكن الجنود والمهاجمون من التسلل من الثغرات الضعيفة في السور واصبحوا داخل المدينة، فلاذ الوالي التركي بالفرار بحرا وتمكنت جيوش امير مكة الشريف مسعود من الاستيلاء على جدة وبالحاح من الشريف مسعود تم عزل الوالي التركي وارسلت القسطنطينية واليا آخر. (٢)

وقد حدث نفس الشيء بالنسبة للوالي الذي عينته مصر في سنة ١١٨٣ هـ واسمه حسن اغاشبكية - ويبدو ان المصريين تمكنوا من استعادة بعض سلطتهم في الحجاز في ذلك الوقت فتوجه الوالي الى وادي فاطمة ثم الى جدة ولكن الشريف أحمد بن سعيد أمير مكة لم يكن راضياً عن وصول هذا الوالي المصري فأرسل اليه يأمره بالخروج من جدة فلم يقبل فأرسل اليه جيشا يزيد على أربعة آلاف مقاتل

(١) ٣١٤/٣٠٧ نفس المصدر

(٢) ٣١٩/٣١٨ نفس المصدر

ومعه بعض قبائل اليمن، واستعد حسن اغا للدفاع عن المدينة وأخرج المدافع الكبيرة ونصبها على الكدوة وصارت خيله تخرج كل ليلة وتعيش الى الرغامة. وصلت سرية من جيش شريف مكة الى غليل ولجأوا الى وسيلة أخرى فإرسلوا كتابا الى الشريف أحمد رئيس جند حسن اغا وجعلوا له مقدارا معلوما من المال ليفسد الجنود على الاغيا، وتم التواطؤ بين الشريف أحمد وقائد سرية أمير مكة وأوعز اليهم ان يهاجموا البلدة من الباب اليماني لضعف وسائل الدفاع فيه. وبأدر هو بالهجوم مع السرية الواردة من مكة فتمكنوا من الاستيلاء على جدة في نهاية جمادى الآخرة.

وقد استسلمت لهم البلدة بعد ان قتلوا جملة من الاتراك وأخرجوهم من البلدة ولم يبق في يد والي جدة الا القلعة التي احاطت بها جيوش شريف مكة ولما ايقن قائد القلعة ان القلعة لا تحميه خرج منها من الباب المطل على البحر وخاض في البحر بخيله وتوجه بمن معه الى رابغ ومنها الى مصر وبذلك انتهت ولاية حسن اغا على جدة. (١)

غزو الاحباش لجدة

ولإكمال ما حدث من الوقائع الحربية بجدة نذكر ان الاحباش قاموا بغزو جدة بحرا في سنة ١٨٣ للهجرة ووقعوا بأهلها فخرج الناس من مكة يومئذ غزاة في البحر وعليهم أميرهم عبدالله بن محمد بن إبراهيم المخزومي الذي ولي مكة لهارون الرشيد العباسي. (٢)

وكذلك غزاها اسماعيل الاخضر سنة ٢٥٦ للهجرة فنهبا وقتل أهلها قتلا

ذريعا. (٣)

تعداد سكان جدة

اختلف المؤرخون في تعداد سكان مدينة جدة فقد رهم ناصر خسرو في عام

١- «٣١٩/٣٢٠ نفس المصدر»

٢- «١٠٣ موسوعة تاريخ مدينة جدة»

٣- «موسوعة تاريخ مدينة جدة»

٤٤٢ للهجرة بخمسة آلاف نسمة وقدر الرحالة المستشرق بوركهات سكان جدة في سنة ١٢٣٠ ما بين اثني عشر ألفاً وخمسة عشر ألفاً وفي سنة ١٢٧٧ قدر مالتزن عدد سكان جدة لما حج الى مكة بخمسة عشر ألفاً، وفي سنة ١٢٨١ قدرهم هوجلين بأربعين ألفاً، وقدرهم فاندريك باثني عشر ألف نسمة، وفي سنة ١٣٠١ قدرتهم دائرة معارف البستانى بثمانية عشر ألف نسمة، وقدر عدد سكان جدة في مطلع هذا القرن الهجرى سنة ١٣٠٠ هـ محمد صادق باشا بخمسة وعشرين ألف نسمة، وكذلك كان تقدير إبراهيم رفعت باشا، وفي سنة ١٣٢٧ هـ قدرهم محمد ليب البتانوي بخمسين ألفاً بينهم عشرة آلاف من الاجانب المسلمين بين فرس وحضارمة وهنود وبخاريين، أما الافرنج فيبلغ عددهم مائة اويزيد قليلا واغلبهم من الاروام. وفي سنة ١٣٣٠ هـ قدرتهم دائرة المعارف البريطانية بعشرين ألفاً، وفي سنة ١٣٣١ هـ قدرتهم دائرة المعارف الاسلامية بنحو ثلاثين ألفاً من العرب المختلطين بالتكاير ونحو ٥٠ نصرانيا. وقدرهم محمد فريد وجدى في دائرة معارفه بنحو ثلاثين ألف نسمة. (١)

عدد الاجانب في جدة

في سنة ١٣٥٥ هـ الموافق لسنة ١٩٣٧ م ذكرت دائرة المعارف البريطانية انه كان بجدة من الأجانب ما يأتي :

٥٠ أمريكيا - ١٩ ايطاليا - ٤٤ بريطانيا - ٥ روس - ٥ فرنسيين - ١١ هولندياً وفي سنة ١٣٧٥ هـ قدرت دائرة المعارف البريطانية سكان جدة بمائة وستين ألف نسمة، وقدرتهم دائرة المعارف الامريكية في سنة ١٣٧٦ هـ بستين ألف نسمة، وقدرهم توتشل بثمانين ألف نسمة وجاء في هامش الصفحة ان عددهم الفعلى ١١٢ ألف نسمة ونشر قارى اوين ممثل شركة الزيت العربية الامريكية مقالا في مجلة المنهل ذكر فيه ان الخبراء يقدرون عدد سكان جدة قبل عشر سنوات بخمسة وثلاثين الفا. ويقدرونهم اليوم سنة ١٣٧٩ هـ بثلاثائة وخمسين ألفاً أو نصف

١- (١١٠/١١٧ نفس المصدر)

مليون، وقدرهم عبدالله عبد الجبار في كتابة التيارات الأدبية الحديثة في قلب جزيرة العرب بأربعمائة ألف وقدرت منظمة الصحة العالمية في الإحصاء الذي قامت به العدد بمائة وستة آلاف في سنة ١٣٨١ هـ وورد فيه أن ٣٥٪ منهم من الأجانب معظمهم من العمال وأصحاب الحرف. ودل المصور الجغرافي لجدة سنة ١٣٦٨ هـ أن تعداد السكان يقدر بـ ٢٤٤٠٠ نسمة وأن تعدادهم سنة ١٣٧٥ هـ كان ٩٤٢٠٠٠ وفي سنة ١٣٧٩ هـ وصل إلى ١٠٦٠٠٠ والإحصاء الذي أجرى سنة ١٣٨٢ هـ أظهر أن عدد السكان قد بلغ ١١٤٠٠٠.

تعداد المباني في جدة

أما بالنسبة لتعداد المباني في جدة على اختلاف أنواعها فإن الكتاب يضم هذه المعلومات:

جاء في كتاب الجواهر المعدة للحضراوي أن دكاكين جدة تزيد على خمسة آلاف ومقاهيها تزيد على المائة وجاء في نشرة إحصاء السكان والمؤسسات التي أصدرتها وزارة المالية والاقتصاد الوطني في ذى القعدة سنة ١٣٨٢ هـ أن عدد مباني جدة - ٣٢٣١٧ مبنى (١) وعدد شوارع جدة حاليا ١٣١ شارعا، هذا في عام ١٣٨٣ هـ (٢)

شارع قابل

وفي زمن حصار الملك عبدالعزيز آل سعود لجدة باع الملك علي بن الحسين هذا الشارع لسليمان قابل بثلاثة آلاف جنيه ذهباً وأعطاه سليمان قابل أرزا وشعيراً بدلاً من النقود المشار إليها ومن ثم صار الشارع ملكاً له. (٣)

البحر الأحمر

يبتدئ البحر الأحمر من خط عرض ٣٠ شمالاً من خليج السويس وينتهي عند ١٣/٤٠ جهة باب المندب ويبلغ طوله نحو ٢١٥٠ كيلومتراً وعرضه في المتوسط

١- «٥٦٠ موسوعة تاريخ مدينة جدة»

٢- «٥٦١ نفس المصدر».

٣- «٥٦٧ نفس المصدر»

٢٨٠ كيلومتر ويتسع فيما بين مدينتي جازان شرقا ومصوع غربا ويبلغ نحو) ٣٤ كيلومتر .

وتبلغ اعماقه بالقرب من السواحل نحو ٢, ٢٠٠ قدم وتنحدر الى ان تصل الى زهاء ٦٦٠٠ قدم ويبلغ امتداد السواحل في المملكة العربية السعودية مايزيد عن

١٠٠٠ ميل . الماء في جدة

كانت جدة تعاني من شح الماء عبر القرون وفي القرن العاشر الهجري قام السلطان قانصوه الغوري بجلب الماء العذب الى جدة من وادي قوص الواقع شمال الرغامة وتبعد الرغامة عن جدة ساعتين سيرا على الاقدام ولكن هذا الماء كان يتعرض للملوحة اذا شحت الامطار ويعذب بكثرتها ، فلما دخل القرن الحادي عشر الهجري انقطعت العين ثم اجريت ثم انقطعت مرة اخرى في القرن الثالث عشر الهجري ، وذلك تبعا للتطورات السياسية والامنية التي تتعرض لها البلاد ولتوفير الصيانة والتنظيف واهماهما . وفي سنة ١٢٧٠ هـ ، قام التاجر فرج يسر باعادة اجراء العين بعد اصلاحها وجمع لذلك التبرعات من التجار واستمر جريانها الى سنة ١٣٠٤ هـ وفي سنة ١٣٠٦ هـ تم ايصال الماء الى جدة بأمر من السلطان عبدالحميد الثاني فوصل الماء الى جدة في عهد الوالي التركي صفوت باشا وسميت هذه العين بالحميدية نسبة الى السلطان عبدالحميد الثاني ، ولكن الاسم الذي غلب على هذه العين لدى أهل جدة هو العين الوزيرية وكانت هذه العين تنبع من سفوح الجبال الشرقية لجدة والتي تبعد مسافة نصف ساعة عن جدة ، وبنيت لهذه العين مناهل في انحاء متفرقة من مدينة جدة ليأخذ الناس منها حاجاتهم من الماء كما تأخذ البواخر منها حاجتها كذلك .

تقطير الماء من البحر

تكرر انقطاع الماء عن مدينة جدة فجلبت الحكومة التركية في سنة ١٣٢٥ هـ أول آلة لتقطير مياه البحر وكان أهل جدة يسمونها الكنداسة ، ولم تكن هذه الكنداسة كافية لسقيا مدينة جدة فكانت موردا مساعدا للصهاريج الموجودة في جدة والآبار الأخرى . وقد تعرضت هذه الآلة للخراب حينما انقطع الفحم

الحجري الذي كان وقودها في عام ٤٣ و ١٣٤٤ هـ وفي سنة ١٣٤٦ هـ استوردت الحكومة السعودية آلتين مقطرتين بدلا من الآلة البخارية .

عين العزيزية

اجتمع أهل جدة في ١٣٦٧ هـ وقرروا جمع المال من أثريائهم لجلب الماء إلى جدة بعد ان تكرر انقطاع العين العزيزية عنها وقد جمع الأهالي نصف مليون ريال واستقدموا خبيرا انجليزيا لهذه الغاية ولما علم جلالة الملك عبدالعزيز بالأمر أمر بجلب الماء على حسابه وكلف الشيخ عبدالله السليمان وزير المالية بهذا المشروع وقد جلب الماء من عيون وادى فاطمة بعد الاتفاق مع أهلها على ذلك وتعاقدت الحكومة مع شركة جلاتلي هنكي الانجليزية على تنفيذ المشروع وبدى العمل به في منتصف عام ١٣٦٧ هـ وفي غرة المحرم ١٣٦٧ هـ وصل الماء الى جدة منقولا بالأنابيب بطول خمسة وستين كيلومترا وبذلك انتهت قصة انقطاع الماء التي دامت عبر القرون (١) .

وعلى ذكر الكنداسة نورد هنا بعض أبيات من قصيدة المرحوم محمد سعيد العتيبي في الكنداسة :

ياذوى الرأى والحجي والكياسة خلصونا من دوشة الكنداسة
كلكم تأخذون بالدُس ماءً ونشوف النجوم من أجل كاسه
ومنها

كل عشرين طابقون حمارا ويل من عضه الحمار وداسه
منظر يضحك الخواجات منه والأديب السليب من هز رأسه
ويضم الكتاب كثيرا من المعلومات التي تجمع بين الطرافة والغرابة وقد اخترنا منها ما يلي : (٢)

(١) ١٥٦/١٤١ نفس المصدر .

(٢) ٥٣/١٥٢ نفس المصدر .

امتيازات الحضارمة في جدة

جاء في مذكرات المرحوم الشيخ محمد صالح بن علي باعشن ان كثيرا من تجارات جدة كانت بيد الحضارمة وان لهم تقاليدهم الموروثة في جدة وكانت لهم مكانة في المجتمع باعتبارهم من رجالاته وكانت الدولة العثمانية تقدر لهم هذه المكانة وكانوا يمتازون عن سكان المدن الأخرى في الحجاز- مكة والمدينة وغيرها من مدن الحجاز- بأن دعاواهم وتركاتهم وبيع وشراء دورهم تتم عند شيخ السادة ولايتعرضهم وال ولا قاضٍ .

وقد صدر بذلك فرمان سلطاني في سنة ١٢٣٧ هجرية من السلطان محمود خان وبقى هذا الامتياز ساريا في العهد العثماني ثم في العهد الهاشمي ، ولما تولى الملك عبدالعزيز امر الحجاز طلب منه الحضارمة ابقاء امتيازاتهم لهم فوافق على ذلك ولكنهم اختلفوا فيما بينهم في أمر المشيخة وكانت اجتماعاتهم تتم في دار الشيخ محمد صالح باعشن ولم يتفقوا على شيء فضاعت امتيازاتهم وتغير الأمر بالنسبة اليهم(١).

ثروات البحر

وصف الرحالة الحميري جدة وضخامة الثراء بها فقال وفي أعلى منازلها قباب محكمة ويذكر أهلها ان من بلغ كسبه مائة ألف دينار بنى على داره هذه القبة ليعلم ان كسبه قد بلغ العدد المذكور(٢).

صادرات جدة

وصف بطرس البستاني تجارة جدة بأنها متسعة جدا تجرى على الأكثر بواسطة مراكب انجليزية ومراكب عثمانية ووطنية صغيرة محمونها نحو ٨٠ طنا وأن من صادراتها البن والصمغ والطيوب والبلسم والبخور والسنا والعاج والعطر والخيارشنبر وصدف اللؤلؤ وتروس السلاحف وريش النعام والتمور والسكاكين والخزف والجلود.

(١) ٢٣١/٢٣٢ نفس المصدر.

(٢) ٢٧٥ نفس المصدر.

رأس المال

يقول الشيخ محمد صالح بن علي باعشن : وكان من يبلغ رأس ماله ستة عشر ألف ريال يعتبر تاجرا ناحجا مرموقا . (١) .

اللؤلؤ في جدة

وقد ذكر توتشل ان بعض اللآلى وجدت على طول البحر الأحمر قرب جدة الى الجنوب ولكن الغوص لم يكن حتى الآن احد المشروعات الناجحة . (٢) .

واردات جدة

حددت دائرة المعارف الاسلامية واردات جدة بانها كانت بعد فتح قناة السويس بمقدار مليون وخمسمائة الف جنيه ذهب (٣) .

وذكرت دائرة المعارف المطبوعة سنة ١٩٦٠ ، ان استيرادات جدة من البضائع في سنة ١٩٥٥ م بخمسة ملايين جنيه .

صادرات المملكة وواردها في سنة ١٣٧٩ هـ

ذكر تقرير رئيس الغرفة التجارية بجدة الأرقام التالية :

٣,٣١٣,٥٠٦٧٤٤ ريال صادرات المملكة في سنة ١٣٧٩ هـ .

٩١٧,٦٣٢٧٠٢ ريالا واردات المملكة في العام المذكور . (٤)

حارة المظلوم - سبب التسمية

في سنة ١١٣٤ هـ وقعت بالمدينة المنورة فتنة أهلية أتهم أغوات المسجد النبوي فيها العالم الديني السيد عبدالكريم البرزنجي بأنه من مشعلي الفتنة ورؤوسها وصدر الأمر من السلطنة بقتل السيد البرزنجي ومن اتهم معه من زعماء الفتنة ومثيريها . وبقي السيد عبدالكريم البرزنجي بالمدينة خائفا ولم تلجأ الدولة الى القبض عليه في المدينة وتنفيذ حكم القتل فيه تحسبا لما قد ينجم عن ذلك من

(١) ٢٧٦١ نفس المصدر .

(٢) ٢٧٩١ نفس المصدر .

(٣) ٢٨٠١ نفس المصدر .

(٤) ٢٨٣١ نفس المصدر .

القلقل ، ويبدو ان لمكانة الرجل الدينية الاثر الاكبر في تحسب الدولة لذلك .
لهذا فقد اغروا به من زين له الخروج من المدينة والانتقال الى جدة حيث انها
آمن له من المدينة ، وقرر السيد البرزنجي الخروج من المدينة والانتقال الى جدة
فلما وصل الى مكة في طريقه الى جدة قبض عليه الوزير ابوبكر باشا وأرسله الى
جدة فحبس بقلعتها وقتل خنقا والقي بجسده في سوق جدة يوما كاملا وكان قتله
بهذه الصفة الشنيعة ثم القاؤه في السوق قد أثار حنق أهل جدة وسخطهم على
الحكومة العثمانية فسموه المظلوم وسميت المحلة التي القى بها جسده محلة المظلوم
من يومئذ الى اليوم .

يقول المؤلف اما كتاب السلاح والعدة في فضل جدة فيسمى البقعة التي في
داخل السور بالجهة الشمالية باسم بقعة المظلوم نسبة الى عفيف الدين مظلوم
المدفون فيها(١) أقول والرواية الأولى تتفق مع ماسمعه من بعض العارفين بتاريخ
جدة من أهلها والله أعلم .

باب المغاربة - سبب التسمية

وكان هذا الباب يقع أمام عمارة معرض الجفالي ، ولعل منشأ التسمية انه كان
مدخل حجاج المغاربة أيام كانت تفرض عليهم رسوم حج باهظة من قبل امراء
مكة ، كما حدثنا ابن المجاور الدمشقي من أهل القرن السابع الهجري في كتابه
تاريخ المستبصر ، وقد افادنا ابن المجاور بأن صلاح الدين الأيوبي أنفذ من مصر
الى الأمير مكثر أربعة آلاف اردب حنطة (والأصح ستة آلاف أردب حنطة) إلى
جدة وإلى مكة وقال له خذ هذا القدر واترك عن المغاربة الجزية مع دية الكلب
فازال الأمير مكثر ذلك كله في سنة ست وثمانين وخمسمائة ثم أراد الأمير قتادة ان يرد
الشيء الى أصله - يعنى اخذ الجزية من المغاربة فادركه الموت وارتفع عنهم . وقد
وصف ابن جبير الاندلسي الذى حج في زمن امارة الأمير مكثر ما كان يمنى به
الحجاج من أرهاق في أخذ المكوس على اشخاصهم «وكان مقدار الجزية سبعة
يوسفية على كل رأس كما كان القواد في جدة يأخذون من كل رأس منهم يوسفيا» .

(١) . (٣١٦) نفس المصدر .

قال ابن جبير ولولا ماتلاني الله به المسلمين في هذه الجهات الحجازية بصلاح الدين لكانوا من الظلم في امر لا ينادى وليده لا يزجر شديده فانه رفع ضرائب المكوس عن الحجاج وجعل عوض ذلك مالا وطعاما يأمر بتوصيلها الى أمير مكة، فمتى ابطأت عنهم تلك الوظيفة المترتبة لهم، عاد هذا الأمير الى ترويع الحجاج بسبب المكوس واتفق لنا من ذلك ان وصلنا الى جدة فامسكنا بها خلال ماخوطف مكثر الأمير المذكور فورد امره ان يضمن الحجاج بعضهم بعضا ويدخلوا الى حرم الله فان ورد المال والطعام للذان برسمه من قبل صلاح الدين والا فهو لا يترك ماله قبل الحجاج، ثم قال ابن جبير - والذي جعل له صلاح الدين بدلا من مكس الحجاج الفى دينار والفى أردب من القمح وهونحو الثمانمائة قفيز بالكيل الاشيلي عندنا حاشا اقطاعات اقطعها بصعيد مصر وبجهة اليمن لهم بهذا الرسم المذكور، ولولا مغيب هذا السلطان العادل صلاح الدين بجهة الشام في حروب له هناك مع الأفرنج لما صدر عن هذا الأمير المذكور ما صدر في جهة الحجاج (١).

أوليات في جدة

الفرنجة - القنصليات الأجنبية

في سنة ١٢٥٢ هـ كان وصول أول قنصل انجليزى الى جدة وتوطنه بها ونصبه أول علم للأجانب بها فكانت القنصليات الأجنبية في جدة تابعة لبريطانيا وفرنسا والنمسا وروسيا وهولندا وبلجيكا وإيران وكان للحكومة البولندية قنصلية في جدة وانقطعت العلاقة معها بعد استيلاء الروس على بولندا، اما العلاقة السياسية مع روسيا فقد بدأت في ١٦ فبراير سنة ١٩٢٦ م وانقطعت في سنة ١٩٣٨ م (٢). وكان للمسيحيين في جدة نظام خاص في لباسهم وتنقلهم كما يظهر في الفقرة التالية.

١- «٥٥٩/٥٥٨ نفس المصدر - عن رحلة ابن جبير نفس المصدر - عن رحلة ابن جبير ٥٥٩/٥٤».

٢- «٣٩٣/ ٣٩٨ نفس المصدر».

المسيحيون في جدة

ويوجد مسيحيون يقيمون في جدة وهناك يونانيون قليلون يعملون في التجارة ، وكان قدومهم الى جدة من مصر وكانوا مجبرين في ايام الشريف على ارتداء لباس خاص وكانو ممنوعين من الوصول الى باب مكة في مدينة جدة وعندما حكم الاتراك الحجاز ازيل هذا النظام الدقيق ، والآن للمسيحي كامل الحرية في التنقل في جدة واذا مات لايدفن في جدة لانها تعتبر ارضا تابعة للأرض المقدسة ويوجد محل خاص في الجزر الصغيرة يؤذن لهم في الدفن به . (١)

أما اليهود فقد طردوا من جدة كما يظهر من الفقرة التالية .

اليهود في جدة

وكان اليهود وهم سماسرة هذا البلد ولكنهم طردوا منذ سبعين عاما لسوء أخلاقهم و نزحوا الى اليمن وصنعاء على مايقوله بوركهارت . وبوركهارت مستشرق سويسري تسمى بإسم إبراهيم عبدالله وتزى بزي المسلمين ودخل جدة ومكة والمدينة ووصف موسم الحج وصفا بارعا في كتاب سماه السفر الى بلاد العرب وظهر باللغة الانجليزية سنة ١٨٢٩ م . (٢)

وتعليقا على ذلك اقول أن مايتعلق بالمسيحيين ربما كان في العهود السابقة للحكم العثماني والتي تبدأ في أواخر القرن العاشر الهجري والمقصود بكلمة أيام الشريف الواردة في الخبر هو شريف مكة . لقد ادركت المسيحيين في العهد الهاشمي ووائل العهد السعودي وهم يعيشون حياة عادية في ملابسهم وتحركاتهم وكانت لهم شركاتهم واعمالهم أما بالنسبة لمدافنهم فقد كانت لهم مقبرة في جدة في الجهة الجنوبية قرب الميناء ولا تزال موجودة حتى هذا اليوم ، اما عن اليهود فلم يكن بجدة الا يهودي واحد اسمه ماركو وكان له دكان في شارع متفرع من السوق الكبير وقد رحل من جدة بعد ان تزوجت ابنته الخواجه نقولا وكان يونانيا مسيحيا على

١- (١١١) نفس المصدر

٢- (١١١) نفس المصدر

غير رضاء منه فترك جدة غاضبا الى غير رجعة .

اضاءة الشـوارع

واضيئت شوارع جدة بالمصابيح الغازية في أول عهد الحرية في سنة ١٣٢٧ هـ وكان المتصرف سوريا اقول والمقصود بعهد الحرية هو الانقلاب الذى قام به الأحرار العثمانيون وكان شعاره حرية مساواة عدالة وكان حزيمهم يسمى حزب الاتحاد والترقى . (١)

دخول فن التصوير الفوتوغرافي

يقول المؤلف : حدثني الشيخ محمد نصيف بأنه في سنة ١٣٠٠ هـ اخذ رسمه - فوتوغرافيا - وهو ابن ستة اشهر المستشرق الهولندى سفوك هو جرنه الذى كان يومئذ نزيل جدة قادما اليها من مصر وكان ذلك برغبة من جدة الشيخ عمر نصيف . (٢)

الحسبة والمحتسب

المحتسب هو المتصرف في شئون المدينة وييده مفاتيح أبوابها وهو المسئول عنها وكان لديه مراكب مؤلفة من بغال وحمير وجمال ولديه رجال شجعان مسلحون لنشر الأمن في البلدة واذا حدث أمر هام في الليل مثلا فان الكتب الرسمية التى يكتبها حاكم جدة إلى إمارة مكة في هذا الشأن لاترسل الا مع رجل خاص من رجالات المحتسب . وكانت إمارة مكة تبيع الحسبة لطلابها مقابل مبلغ من المال يدفعه المحتسب لخزانة أمير مكة وربما كان الحال في جدة شبيها بذلك في بعض الظروف . وكانت لحسبة في عام ١٢٧٠ هـ تدور بين ثلاثة اشخاص من أهل جدة هم محمد طويل جد محمد الطويل رحمه الله وعبدالله محتسب وآخر من بيت جاسر . وفي مطلع القرن الهجرى الرابع عشر حولت الحسبة الى رئاسة بلدية جدة مثل سواها من مدن الحجاز .

١ - (٣٩٣) نفس المصدر

٢ - (٤٩٥) نفس المصدر

قبر حواء

كان موضع هذا القبر هيكلا عبدته قضاة قبل الاسلام وبقي اثره بعد الاسلام فاقم القبر مكانه، ولقد حاول الشريف عون الرفيق هدم هذه القبة - قبة قبر حواء - وقام قناصل الدول في وجهه حيال عزمه المذكور وحيلولتهم بالتفاهم الودى بينه وبين تنفيذ ما عزم عليه بحجة ان حواء ليست أم المسلمين وحدهم بل ويشاركهم في بنوتها جميع البشر من الاجناس غير الاسلامية . (١)
أقول وهذا الخبر فيه شيء من الغرابة والله أعلم .

تقييم الكتاب

وبعد فهذا الحديث الطويل عن جدة هو ما رأيت نقله من موسوعة تاريخ مدينة جدة وهو من أهم الكتب التي ألفها المرحوم الأستاذ عبد القدوس الأنصارى فتتبع كلما يتعلق بمدينة جدة في كتب الرحلات والمؤرخين والجغرافيين ودوائر المعارف إضافة الى أبحاثه الخاصة في شتى المجالات حديثها وقديمها والاتصال بالعارفين من أهلها كالشيخ محمد نصيف والشيخ محمد صالح بن علي باعشن رحمهما الله وهما من كبار أهل جدة الذى يجمعون بين العلم والخبرة ومعاصرة الأحداث، والتنقيب عن المذكرات والكتب المخطوطة في تاريخ جدة واستخلاص المعلومات منها . ان الكتاب حجة في موضوعه ولقد بذل فيه المؤلف من الجهد والوقت ما لم يبذله سواه من أهل جدة أو غيرها مما يجعله مرجعا قيما لكل مؤرخ أو دارس والكلمة الأخيرة في هذا الكتاب هي استحثات الاستاذ نبيه الأنصارى ابن المرحوم عبد القدوس في إكمال مابدأه والده وإخراج الجزء الثانى من هذه الموسوعة الضخمة في تاريخ جدة .

١ - « ٤٨ / ٤٩ » نقلا عن رحلة ليلى البتوني .

المعارك الأدبية

خاض عبدالقدوس رحمه الله معارك أدبية كثيرة أولها فيما اذكر مع الأستاذ محمد حسن عواد يرجمه الله حينما اصدر عبدالقدوس كتابه التوأمين وكان رأي الأستاذ عواد فيه سيئا ودارت المعركة في جريدة صوت الحجاز بين الأديبين ، وقد اصدر عبدالقدوس كتابه هذا ولعله أول كتبه في مطلع شبابه وكان العواد قد فرض نفسه في دنيا الأدب وذاع اسمه وصيته .

أما المعارك الأخرى فلقد كانت مع الأستاذ حمد الجاسر والأستاذ عبدالله بن خميس ولعلها ان لم تخفي الذاكرة تتعلق بابحاث تاريخية وأثرية . . وعلى اى حال فليس من غرض هذه الترجمة الحكم بين عبدالقدوس وغيره من الأدباء والعلماء وإنما اعطاء صورة عن حياته الأدبية والعلمية .

ولقد كان الرجل فيما أعلم موضوعيا في هذه المعارك يترفع عما يسف من الكلام ويلتزم أدب البحث ولكنه يجهر بما يعتقد انه الصواب رحم الله الانصارى وعواد وغفر لهما وامد الله في حياة الأديبين الكبيرين حمد الجاسر وعبدالله بن خميس فهما من أعلام الأدب والعلم في هذه البلاد .

الكلمة الأخيرة

وإذا كانت هناك كلمة أخيره تقال في آثار عبدالقدوس رحمه الله فلعل المنهل الذى رعاه عبدالقدوس شابا ورجلا وشيخا هو الموسوعة الحقيقية لمعارفه وتحقيقاته ، وهي المرجع الضخم لادبه وعلمه ، وهو كذلك من أهم المراجع لكثير من الأدباء والعلماء الأموات منهم والأحياء .

لقد وهب عبدالقدوس رحمه الله نفسه للأدب والعلم والتحقيق والبحث ف قضى حياته كلها في عمل دائب مفيد وترك لنا هذا التراث الضخم من الأبحاث والتحقيقات سواء في كتبه الخاصة أو فيما كان ينشره في مجلته العظيمة المنهل خاصة وفي الصحف الأخرى عامة وهو بهذا الدأب يصور لنا حياة رجل العلم الذى وهب

حياته كلها للعلم النافع المفيد.

مرضه ووفاته

مرض عبدالقدوزس رحمه الله مرضا شديدا تردد فيه على المستشفيات في جدة والرياض ويبدو ان العلة كانت قد استعصت على العلاج وأذان مصباح حياته بالانطفاء فتوفي في ليلة الثاني والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ١٤٠٣ هـ عن عمر يناهز الثمانين عاما ودفن بمكة المكرمة في مقبرة المعلاة بعد ان صلي عليه صلاة الظهر من يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من جمادى الآخرة ، تغمده الله برحمته الواسعة وانزله منازل رضوانه وتقبل منه عمله الطيب في خدمة الأدب والعلم انه سميع الدعاء . .



• عبدالله ياشا باناجه •



عبدالله ياشا باناجه

معتدل القامة نحيف البدن حنطي اللون واسع العينين، اقنى الانف، مهيب المنظر يكسو الشيب لحيته وعارضيه وشاربه وحاجبيه، يرتدى الجبة والعمامة الالفي وتحتها الشاية وهى اللباس الخاص بالتجار فى ذلك الزمان .

ولد بمدينة جدة فى الفترة حوالى عام ألف ومائتين وسبعين للهجرة، وسافر بصحبة والده التاجر يوسف باناجة الذى نفي مع من نفي من تجار جدة الى جزيرة قبرص على اثر غزو الأسطول الانجليزى لميناء جدة اثر قيام الاهالى بقتل القنصل الانجليزى والقنصل الفرنسى وبعض الفرنجة فى جدة .

وتفصيل هذه الواقعة ان شائعة انطلقت فى مدينة جدة فى ذلك الزمان مفادها ان القنصل الانجليزى دعس العلم العثمانى بقدمه فى إحدى البواخر الراسية فى الميناء، واعتبر الأهالى ان هذا العمل الذى قام به القنصل الانجليزى اهانة للعلم الذى هو رمز الاسلام فقتلوه وقتلوا معه القنصل الفرنسى كما قتل فى هذه الحادثة بعض الافرنج المقيمين بجدة ونهبت دورهم .

استشاطت حكومة الانجليز غضبا لما حل بقنصلها وغيره من الفرنجة فارسلت بعض قطع اسطولها الى ميناء جدة، واطلقت بعض هذه القطع قنابلها على

المدينة فالحقت الخراب ببعض اجزائها، ولم تستطع القلعة البحرية مقابلة هذا الهجوم بما لديها من مدافع قديمة وأسلحة اكل عليها الدهر وشرب .

وقد رأت الدولة العثمانية ان من الحكمة تسوية هذه المسألة فاجرت تحقيقا في الحادث الخطير وعاقبت القائمين به والمحرضين عليه بالقتل والنفي ، وقد نفذ القتل في عبدالله المحتسب الذي كان محتسب مدينة جدة - المحتسب هورئيس البلدية - وسعيد العامودي وغيرهم وكان من ضمن المنفيين الشيخ يوسف باناجة والد المترجم (١) .

وقد توفي الشيخ يوسف باناجة في منفاه بجزيرة قبرص فعاد عبدالله باناجة مع أخيه عبدالرحمن ووالدتهما إلى جده، وكان اخوهما الاكبر محمد باناجة هو الذي يشرف على شئون العائلة منذ نفي والدهم من البلاد . ونشأ عبدالله باناجة في جدة وتعلم أولا في قبرص حينما كان والده منفيا بها وربما اتاح له هذا تعلُّم اللغة التركية هناك فقد كانت الجزيرة تحت حكم الاتراك وبها جالية تركية اسلامية كبيرة وعلى اي حال فقد نال من العلم ماكانت تسمح به ظروف ذلك الزمان، ولما بلغ مبلغ الشباب عظم الخلاف بينه وبين أخيه الاكبر محمد الذي هورئيس العائلة وكان جافي الطبع شديدا في تصرفاته فلم يستطع عبدالله العيش مع اخيه هذا فهاجر إلى مدينة الاستانة - اسطنبول - عاصمة الخلافة العثمانية وهي في اوج مجدها وازدهارها .

واشتغل عبدالله باناجة بتجارة المجوهرات من اللآلئ والاحجار الكريمة، وكان لهذه التجارة سوقها الرائج اذا جمع صاحبها بين حسن الاختيار وجمال التنسيق وصاحب ذلك الكياسة وحسن السياسة .

ووجد عبدالله باناجة طريقه الى بلاط الخليفة وقصوره بما تحمله من نفيس الجواهر وكريم اللآلئ فاصبح مقربا الى البلاط ولم يمض طويل وقت حتى عيَّنه

١ - انظر تفاصيل القصة في كتاب موسوعة تاريخ مدينة جدة ٩٥/٩٤ للاستاذ عبدالقدوس الانصارى .

السلطان عبدالحميد عضوا في مجلس المبعوثان وانعم عليه بلقب الباشوية الرفيعة في ذلك الزمان فاصبح اسمه - عبدالله باشا باناجه - وهو الوحيد فيما أعلم من أهل الحجاز الذى حصل على هذه الرتبة الرفيعة العالية بها لها من امتيازات واوسمة باستثناء بعض اشرف مكة المكرمة الذين منحت لهم رتبة الباشوية من السلطان في ذلك الزمان .

بزغ نجم الفتى وطابت له الإقامة في عاصمة الخلافة وتزوج بها واقتنى الضياع وطالت اقامته هناك حتى ينس اهله واخوته من رؤيته بينهم في جدة مرة اخرى ، ولكن للأقدار احكامها التى تغير ماقدّر الناس لانفسهم وما ارادوا ، مات محمد باناجه الاخ الاكبر ، واصبح عبدالله هورئيس العائلة فعاد الى وطنه مرة اخرى ليكون على رأس البيت الذى تركه شابا وكانت هذه العودة سببا في كلما حققة بيت باناجه ومآناله من شهرة وذيوخ صيت ، كانت العائلة تسكن في بيت صغير في منطقة سوق الندى وحول هذا البيت بيوت صغيرة اخرى متناثرة الى جانبها أرض خالية ترمى فيها النفائات . اشترى عبدالله باناجه باشا البيوت الصغيرة المحيطة بدار اسرته كما اشترى الأرض المهملة وهدم الجميع لينشيء مكانها بيت العائلة الكبير الموجود حاليا بسوق الندى وليبني حوله المخازن الخاصة بالبضائع وليكون سفله مكاتب للعمل التجارى ، وعلوه للسكن وكان هناك بيت صغير متصل بمسجد الحنفى وهو من أقدم المساجد في جدة ، وملاصق لبيت باناجه فاشتراه الباشا ليجعل منه مقصورة للصلاة متصلة بالمسجد ومحجوزة عنه بشباك كبير من الحديد ، وشيد في نفس الوقت صالة فخمة والحقها بهذه المقصورة وكان في تصرفه هذا مثالا للذكاء وبعد النظر .

كان آل باناجه يستعلمون المقصورة في صلاتهم اليومية فإذا أذن الظهر والعصر تركوا مكاتبهم واجتمعوا في هذه المقصورة يصلون بصلاة أمام المسجد وهم يشاهدون المصلين كما يشاهدهم المصلون كان هذا في الايام العادية ، اما في يوم الجمعة فان الامر يختلف اختلافات تاما . لقد اصبحت هذه المقصورة ملتقى الولاة

والحكام والاعيان ، يفد الوالي التركي والقائمقام ومدير الشرطة وكبار الاعيان
لصلاة الجمعة في مقصورة آل باناجه فإذا انقضت الصلاة انتقل المجتمعون الى
الصالة الكبيرة المؤتثة باجل الاثاث للاستراحة وفيها تدار عليهم اكواب القهوة
والشاي وينطلق بخور العود، وتدور الاحاديث التى تتعلق بأهم الاحداث كما
تدور المجاملات وليس هذا فحسب كانت، المقصورة مكانا امينا للشخصيات الهامة
من الملوك والعظماء الذين يصلون الى جدة وتدرهم الجمعة بها، ولقد شهدت
كثيرا من الملوك الذين عاصرتهم يصلون الجمعة فى مقصورة آل باناجه .

الملك الشريف الحسين بن علي ملك الحجاز.

السلطان وحيد الدين آخر سلاطين آل عثمان الذى زار الحجاز بدعوة من
الشريف الحسين بعد خلعه من العرش . الملك الشريف علي بن الحسين الذى
خلف اباه الشريف الحسين على عرش الحجاز.

الملك الامام عبدالعزيز بن سعود ملك الحجاز وسلطان نجد بعد فتح الحجاز.
الملك سعود بن عبدالعزيز. . . الملك فاروق ملك مصر حين زيارته الأولى
للحجاز.

السلطان القعيطي سلطان حضرموت حينما حضر للحج . وغيرهم من الحكام
وأولى السلطان .

وفى الجمععات التى يصلى فيها أحد الملوك يستعد آل باناجه اعظم استعداد
لاستقبال الضيف الكبير فيجهز المجلس ويرش الحوش الذى يدخل منه الموكب
ويصطف الجند حول المنزل وفى سوق الندى المحيط بالدار، فإذا اقبل الضيف

استقبله الرسميون ومعهم كبير العائلة وأهم افرادها وانطلق امامه حملة المباخر
ينطلق منها شذى العود . فإذا استقر المقام بالضيف الكبير قدمت له القهوة العربية
واديرت اكوابها على الحاضرين ورش الحاضرون بماء الورد ، ثم قدمت اكواب
الشراب الحلوى الذى يحتفظ به آل باناجه لهذه المناسبات وهو من أحسن الأشربة
واجودها .

فإذا أذن للصلاة قام الجميع الى المقصورة لاداء الصلاة بعد الاستماع الى الخطبة فإذا انقضت الصلاة عاد المصلون الى المجلس مرة أخرى لتدار عليهم القهوة وأكواب الشاي بينما ينطلق الشذى العاطر من بخور العود وبعد الاستراحة يودع الضيف الكبير بكل مظاهر الاجلال والاكبار.

وعلى ذكر هذه المقصورة فان أول من بنى المقاصير للصلاة من الخلفاء هو الخليفة الاموي معاوية بن ابي سفيان رضى الله تعالى عنه وذلك بعد ان تعرض لمحاولة قتله من قبل الخوارج في ١٧ رمضان سنة اربعين للهجرة . ذلك ان ثلاثة من الخوارج اجتمعوا واتفقوا فيما بينهم على ان كل الفتن العظيمة التى يعانى منها المسلمون سببها هو الخلاف بين علي ومعاوية وعمرو بن العاص فتعاهد الثلاثة على ان يقوم كل منهم بقتل واحد من هؤلاء ، وقتل الامام علي رضوان الله تعالى عليه بيد الشقي عبدالرحمن بن ملجم وهو خارج الى المسجد ينادى لصلاة الفجر - الصلاة الصلاة .

ونجا عمرو بن العاص رضى الله عنه لانه لانه مرض ليلتها فلم يخرج الى الصلاة واناب عنه من يصلي الفجر بالناس فقتله عمرو بن بكر التميمي الخارجي وهو يظنه عمروا . اما معاوية رضى الله عنه فقد اصاب السيف موضع جلوسه وكان جسيما فجرح ولكنه نجا من القتل وكان الذى ضربه بالسيف هو البرك بن عبدالله التميمي الخارجي . بعد هذه الحادثة اقام معاوية رضوان الله تعالى عليه مقصورة يصلى فيها وكلف من يقوم على حراستها اثناء الصلاة .

ولقد رأيت الملك عبدالعزيز رحمه الله يصلى فى مقصورة آل باناجه وعلى باب المقصورة يقف عبد اسود طوال شاعرا سيفه ومن خلف جلالته يقوم الحرس شاهرين سيوفهم .

ومما تحتفظ به الذاكرة ان الشريف الحسين حينما وصل مع السلطان وحيد الدين الى دار آل باناجه للصلاة الجمعة كانا يستقلان عربة تجرها الخيول وكان الملك علي بن الحسين يصل الى المسجد وهو يمتطي السيارة . أما الملك عبدالعزيز رحمه الله

فقد شاهده في أول جمعة صلاها في مدينة جدة خرج ماشيا من بيت نصيف الشهير تتقدمه مجموعة ضخمة من الرجال ربما يصل عددهم المائة ومن خلفه مجموعة أخرى بنفس العدد وهم يحملون اسلحتهم ، وعاد بنفس الموكب وكان طريقه من بيت نصيف مروراً بشارع قابل ثم بالسوق الكبير الى سوق الندي حيث يقع بيت آل باناجة وكان الحرس يملؤون الساحة الكبيرة للبيت والتي زينت ببوابة ضخمة وواسعة جدا من الخشب المتين القوى المنقوش وكان الناس يملؤون الطرقات والشوارع التي بها الموكب في الذهاب والاياب .

نعود بعد هذا الاستطراد الى عبدالله باشا باناجة فنقول انه كما أسس هذا البيت في مدينة جدة بمقصوده التي دخلت التاريخ كما اسلفنا عنها من حديثه اشترى في مكة بيتاً بل قصراً عظيماً آخر كان يقع في مواجهة الحرم الشريف امام باب علي ، في منطقة الصفا وكان ملحقا بهذا البيت بيت صغير آخر يطل على شارع القشاشيه أمام بيوت علي باشا التي كان تشغلها مدارس الفلاح بمكة المكرمة في ذلك الزمان .

وقد ازيل بيت باناجة الكبير والبيت الآخر مع كافة البيوت التي كانت موجودة في منطقة المسعى والقشاشيه وادخلت في التوسعة السعودية العظيمة التي تمت للمسجد الحرام ، وكان هذا البيت في منطقة المسعى قرب الصفا وقبل العلامة الخضراء التي يمر فيها الساعون بين الصفا والمروة .

كان هذا البيت ملكا للحكومة المصرية كما علمنا حتى قيل ان فيه - مهلكا - يرمى فيه من يراد اهلاكه والعياذ بالله .

حدثني الاستاذ عبده صالح باناجة قال : كان في الدور العلوي الكشك الكبير (١) وكان في جانب منه باب مقفول لا يفتح أبداً ، قال وكانوا يخوفوننا منه قائلين هذا الباب المهلك . يفتح الباب ثم يدفع فيه من يراد به الهلاك فيهوى الى حيث لا يرى

١ - الكشك اصطلاح تركي يطلق على المجلس العظيم الذي يشرف من أعلى البيت .

بعد ذلك والعياذ بالله .

وسواءً أصحت الرواية التي ذكرت للاستاذ عبده . أم لم تصح فلقد كان بيت

باناجة بيتا عظيما وقصرا منيفا هو الآخر دخل التاريخ في زمنه ، فحينما حضر الخديوى عباس خديوى مصر للحج نزل فيه بمكة المكرمة وكان عبدالله باشا باناجه فى مصر فى ذلك الزمان عل ما سيأتى تفصيله بعد . وكذلك نزل فيه السلطان القعيطي حينما حضر للحج وكان نزوله فى جدة فى بيت آل باناجه . ومما لاشك فيه ان الكثيرين من العظماء قد نزلوا فى بيتهم بمكة . وكان آل باناجه يتركونه مفتوحا طيلة العام ويوظفون من يقوم بالناية به وخدمة النزلاء فيه وكانوا كما لست فى حاجة لان أقول ينزلون به اذا قدموا الى مكة كما ينزل به أصدقاؤهم وضيوفهم .

وكان أهم من هذا وذاك ان الناس فى مكة يعتبرونه مكانا صالحا للندوات الكبيرة والاجتماعات .

أقام فيه شباب مكة المكرمة وأدباؤها حفلة تكريمية للشاعر الأستاذ خير الدين الزركلى حينما حضر الى مكة فى اوائل العهد السعودى والقيت فيه القصائد والكلمات الترحيبية والقي فيها الأستاذ خير الدين قصيدة له مشهورة مطلعها .

حي الحجاز ونجدا - حيا بها مكرميها ، ونشرتها الصحف فى حينها .

كان هذا البيت مقرا لهذه الاجتماعات وامثالها مما لسننا بسبيل حصره ولكننا نكتفى بالإشارة اليه فى وقت لم يكن فى مكة كلها مكان مهيو لمثل ذلك فى مثل موقعه الفريد بجوار المسجد الحرام .

ان مالفت نظرى فى سيرة عبدالله باشا باناجه هى عصاميته العجيبة التى انتهت به من شاب مهاجر من بلده وهو مغاضب لاهله ليشق طريقه فى اعظم عواصم الدنيا فى زمانه حتى يصل الى المكانة المرموقة التى وصل اليها ثم يعود الى بلاده فينفق الكثير من ماله فى سبيل المجد الذى يرفع من مقامه ومن سمعة بلده . لست أشك ان عبدالله باشا باناجه قد افاد من المجد والسمعة وربما جر عليه

هذا الكثير من المنافع باسباب صلته بالملوك والحكام وليس هذا بالامر الذى يחדش من قيمة العمل الذى اداه ما دام لم يستغل هذه الصلات فى الاضرار بالناس أو الاثراء على حسابهم بل ان هذه الصلاة مطلوبة وحسنة لانها مفيدة للناس فان امثال هؤلاء الرجال يكونون لسان من لا يستطيع إيصال صوته الى الحكام والولاة وهم بهذا يستطيعون ان يرفعوا الظلم والحييف عن الناس او يجلبوا لهم الراحة والخير .

نعود مرة أخرى الى عبدالله باشا باناجه فنقول - حينما عاد عبدالله باناجه باشا الى جدة كان امير مكة هو الشريف عون باشا الرفيق وقد اتصلت صلة الباشا القادم من دار الخلافة بالشريف المعين من السلطان وظل عبدالله باشا باناجه على صلة حسنة بامراء مكة من الاشراف حتى ولي الملك الشريف الحسين بن علي في عام ١٣٣٤ هـ فأثر الهجرة الى مصر، ولعله خشي على نفسه من الشريف لسابق صلته بالأتراك . ولكنه كان من الذكاء والامعية بحيث دفع ابن اخيه احمد افندي باناجه ليعمل في خدمة العهد الجديد وقد اختاره الشريف الحسين بن علي وزيرا لماليته وكان يطلق عليه الوزير الحضرمي وقد تحدث عنه المؤرخ الكبير أمين الريحاني في مؤلفه القيم - ملوك العرب - حديثا شقيا .

هاجر عبدالله باشا الى مصر ولكنه كان رجلا ألمعيا يستطيع ان يهيء لنفسه مكانا في أى بلد ينزل فيه أو هو كما قال الشيخ الافغاني - لا يعدم الأسد أينما ذهب فريسته .

أقام عبدالله باشا بمصر في بيت بشارع المدارس ثم اشترى منزلا فخماً بالعباسية وكانت المحل المختار لسكنى عظماء مصر وسراتها، فانتقل اليه ، وكان هذا البيت مفتوحا لاستقبال اصدقاء آل باناجه القادمين من الحجاز للعلاج او للترريح عن النفس وكان فيه مكان مخصص للضيوف وفيه مأدبة عشاء كل ليلة مدودة للحاضرين . وانتقلت الأسرة بكاملها الى مصر في الفترة التى قامت فيها الحرب بين السلطان عبدالعزيز والهاشميين ثم عادت بعد ذلك الى الحجاز حينما

استقر الأمر في الحجاز للملك عبدالعزيز رحمه الله .

كانت الحكومة المصرية قد صادرت بيت أحمد عرابي باشا الذى قام بالثورة على الانجليز والخبديوى فى عهد الخديوى توفيق باشا ، وكان هذا البيت يقع فى ميدان الفلكى ، الذى يسمى كذلك ميدان الازهار واشترى الباشا بيت عرابي باشا من الحكومة المصرية وهدمه وشيد مكانه عمارة كبيرة شغل معظم ادوارها الاطباء ومعظم حوانيتها الصيادلة وغيرهم وكانت هذه العمارة تعتبر فى زمانها من احسن العقار فى موقعها ومردودها ، واشترى كذلك العمارات والعزب والفدادين على النيل وكانت من أجود الأراضي الزراعية .

كان الرجل محظوظا وكان المعيا صادق الفراسة والتقدير وطارت شهرته بين أرباب العقار وتجاره قالوا كان يخرج اصيل كل يوم بالعربة المظهمة التى تجرها الخيل للتر وريح والنزهه وشعر بالحاجة الى النزول فى مكان ما فترجل من العربة واخذ يمشى فى أرض فضاء ، ولم يشعر الا وبعض الناس قدموا اليه وعلى وجوههم آثار الارتباك . . كانوا يريدون شراء عقار او ضياع فى المنطقة ، وحينما رأوا الباشا ادركوا انه حضر لنفس الغرض وانه سيضايقهم ويرفع عليهم الأسعار أو يجرهم من الشراء ، فاشترىوا انفسهم منه يطلبون منه التنازل مقابل الألوف من الجنيهات ، فتنازل وهكذا جاء الرزق اليه من حيث لم يحتسب .

كانت ممتلكات آل باناجه من العقار فى مصر عظيمة وكان ايرادها يبلغ أربعين ألف جنيه مصري سنويا - وكان الجنيه المصرى فى ذلك الزمان اعلى من الجنيه الذهب - وكان عقارهم فى جدة احسن العقار وانني انقل هنا ما كتبه فى كتابي ملامح الحياة الاجتماعية فى الحجاز - عن عقار آل باناجه الذى آلت ملكيته الى الشيخ عبدالرحمن باناجه - شقيق عبدالله باشا باناجه .

وكانت أحسن الدور موقعا واجملها بناء تؤجر فى جدة على السفارات الاجنبية وكان للشيخ عبدالرحمن باناجه يرحمه الله نصيب الاسد فى هذه البيوت التى تستأجرها السفارات وكانت تسمى القنصليات فى ذلك الوقت لان درجة التمثيل

كانت على مستوى القنصلية ثم تحولت فيما بعد الى درجة الوزير المفوض ، نقول كان آل باناجه يملكون معظم البيوت التى تقع فى باب جديد امام البحر - شارع الملك عبدالعزيز أمام فندق البحر الاحمر الى فندق قصر جدة حاليا - وكانت السفارة المصرية تسكن فى موضع عمارة النشار حاليا والى جانبها الدار التى لاتزال موجودة وقد اشترها الشيخ عبدالرحمن الصير فى وكان يسكنها السفير او الوزير الايطالي وقد بنيت هذه الدار خلال ستة شهور بعقد مع السفارة الايطالية والى جانبها كان هناك بيت آخر كان مقرا للقنصلية الايطالية ثم حلت فيه السفارة السورية بعدما نالت سوريا استقلالها وهذا البيت هو الذى يقوم محله الآن فندق انترناشونال الذى بناه المرحوم الشيخ عبده باجير بعد شرائه من آل باناجه - ثم جاء فيه ماأتى .

وكانت هناك بيوت صغيرة لآل باناجه كذلك كانت مقرا للمستر توتشل الذى سعى فى إحياء العمل فى منجم الذهب وأسس شركة التعدين الامريكية السعودية ثم اصبح مقرا للبنك الهولندى ثم للبنك العربى ، . وقد اشتره مع الدار المجاورة له ومايتبعها الشيخ أحمد عشاوي مؤسس شركة الأسواق السعودية كما ذكرنا قبل ، هذه البيوت جميعها كانت ملكا لآل باناجه وكانت أجورها تتراوح بين مائتين وثلاثمائة جنيه ذهب سنوياً للبيت الواحد . وكان هذا يعتبر ايجارا عاليا يغبط عليه أصحابه ، انتهى مانقلناه من كتابنا ملامح الحياة الاجتماعية فى الحجاز .

ولعل مما يحسن ذكره ان عبدالله باشا باناجه لم ينجب طيلة حياته فآلت ملكية ثروة آل باناجه الى شقيقه وشريكة المرحوم الشيخ عبدالرحمن باناجه بعد وفاته ولقد كان عبدالله باشا باناجه رجلا ثاقب النظر بعيد التفكير يسابق الزمن فيختار احسن المواقع لانشاء عقاراته فهذه البيوت التى ذكرناها والتى كانت تسكنها القنصليات الاجنبية كانت مطلة على البحر فى مدينة جدة من ناحيتى الغرب والشمال ، أسرع رحمه الله الى شرائها وتعميرها بحاسته الذكية فى الوقت الذى لم يكن يفكر الناس فى شرائها لانهم كانوا يعتبرون حارة اليمن فى ذلك الوقت افضل الاماكن

للاستغلال حيث يقطن وكلاء الاندنوسين والهنود وحيث تؤجر البيوت لسكن هؤلاء الحجاج فيستفيد أصحاب البيوت من هذه الأجور الموسمية الى جانب سكناتهم طيلة العام ، ولقد كانت البيوت في حارة اليمن والشوارع فيها تتحول الى سوق للحجاج حيث يسكن الحجاج في بيوت الوكلاء وذلك قبل انشاء مدينة حجاج البحر وتحويل الحجاج اليها لهذا فان حارة الشام كانت مخصصة للسكن الخاص وكذلك حارة المظلوم ، وقبل ان نختم الحديث عن عقار آل باناجه لابد ان نذكر ان عبدالله باشا كان قد شيد بيتا بل قصيرا في مدينة الطائف على الطراز التركي وهو على شكل باخرة وقد ادركت الناس في الطائف يسمونه الباخرة وهو في منطقة السلامة قريبا من الثكنة العسكرية وله فناء واسع لابد وانه كان حديقة في الماضي وله بعض الملحقات وعلمت ان الوالي التركي كان ينزل فيه اذا ذهب الى الطائف للاصطياف وربما كان هذا الوالي هو أحمد راتب باشا ، وقد بقي هذا البيت الى ما قبل سنوات حيث آلت ملكيته الى صديقنا الشيخ صدقه كعمكي . .

والبيت رائع الهندسة جميل البناء مرتفع السقوف ، كثير النوافذ وقد صنعت سقوفه جميعها من الخشب المصقول وقد تناولنا فيه طعام الغداء ذات صيف بدعوة من الشيخ صدقه وحينما اخبرني انه سيزال في التوسعة التي ستم في مدينة الطائف كان اسفى عليه عظيما لانه كان معلما من معالم الطائف ، ولعله قد ازيل فيما ازيل من المباني والآثار.

وعلى ذكر الوالي راتب باشا نقول انه كان آخر الولاة العثمانيين في عهد الخلافة العثمانية وحينما اجبر السلطان عبدالحميد على التنازل عن العرش غادر الحجاز ، قالوا وكان أحمد الهزاز - والد صديقنا الشيخ عمر أحمد الهزاز يحقد على راتب باشا فذهب اليه وصفعه على وجهه انتقاما منه وتحقيرا له بعد ان اصبح لاحول له ولاطول ، وسبحان المعز المذل الذي يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء . هذا وقد توفي عبدالله باشا باناجه بمدينة القاهرة في عام ١٣٤٤ للهجرة وقد تجاوز الثمانين عاما بعد مرض طويل ، وآلت ملكية آل باناجه من التجارة والعقار

الى الشيخ عبدالرحمن باناجه كما ذكرنا قبل ، وقد ادركت الشيخ عبدالرحمن باناجه في الأربعينات والخمسينات وهو رجل اشيب نحيف البدن شديد الشبه باخيه عبدالله باشا ولعله كان في الثمانينات وظل يقوم على ادارة هذه التجارة الواسعة ويشرف على كل كبيرة وصغيرة في امور العمل وفي امور العائلة الكبيرة التي يرأسها فقد وهبه الله الكثير من الاولاد البنات وشاهد الاحفاد وربما ابناء الاحفاد ، وكان بيت باناجه في عهده يحتفظ بمجده وراثته وبكلما خلفه اخوه عبدالله باشا رحمه الله فلقد كان الرجل حصيفا ، وكان آل باناجه يعدون اعظم بيوت جدة التجارية ثراء ولعله كان اعظم بيوت المملكة كلها ثراء في عهده .

وتوفي عبدالرحمن باناجه رحمه الله في عام ١٣٥٧ هجرية وقام بالأمر ابنؤه محمد صالح ومحمد سعيد ومالبث ان توفي ابنه أحمد ثم لحقه ابنه الثاني محمد صالح وبدأت التغيرات الكبيرة تظهر في الشؤون التجارية بعد الحرب العالمية الثانية وظهرت طبقة جديدة من التجار خرجت عن الطور التقليدي الذي كان معروفاً للتجار القدماء واتصلت بالعالم الواسع ، وكان حتماً على كل تاجران يساير التطور الجديد ويتواكب معه ، والا جرفه التيار واصبح مثله كما يقول الشاعر:

تقدمتني أناس كان بخطوهم وراء خطوي لو امشي على مهلي

هاجر آخر كبار العائلة المرحوم محمد سعيد باناجه الى مصر مكتفيا بما يدره عقار اسرته الواسع هناك من دخل وبهجرتة الى مصر انتهى امر البيت التجاري الكبير في جدة . واشتغل الجيل الجديد من آل باناجه باعمال مختلفة اتجه بعضهم الى أعمال خاصة صغيرة واتجه البعض الى الوظائف وتقسم العقار الكبير وبيع معظمه . وانطوت صفحة عظيمة من الثراء والجاه استمرت مايقرب من مائة عام . ولكنني المح الآن بسرور عظيم بواد الحياة والنشاط تدب بين ابناء الجيل الحاضر من هذه الأسرة الكريمة فقد رأيت وسمعت عن مؤسسات متعددة تحمل هذا الاسم الطيب في اماكن مختلفة من مدينة جدة واني لارجو ان يستعيد هذا الجيل من شباب الأسرة السمعة الطيبة والنجاح الذي حققه اجدادهم وآباؤهم من قبل .

وقبل ان اختتم الحديث عن عبدالله باشا باناجه اذكر انه انشأ رباطا في حارة الشام بمدينة جدة لايواء الارامل والسيدات اللاتي لاعائل لهن ولايزال هذا الرباط قائما يؤدي مهمته الانسانية منذ عشرات السنين . ولعل ماكتبناه عن المقصورة العائدة لآل باناجه والصالة التابعة لها مايدفع المختصين بشئون الآثار للاهتمام بها وتعميرها والمحافظة عليها باعتبارها من المعالم التاريخية لمدينة جدة .
رحم الله عبدالله باشا باناجه رحمة واسعة فلقد كان مثال الشاب العصامي الطموح ، ولقد اسس لنفسه ولاسرتة مجدا سلكه في عداد اعلام الرجال .



• السيد عبيد الله مدني •



السيد عبيد الله مدني

طويل القامة ممتلىء الجسم ابيض اللون تشوبه بياضة حمرة عرفته في العهد السعودي يلبس العباءة العربية والعقال ، ويضع على عينيه نظارة طبية . ولد السيد عبيد مدني بالمدينة المنورة في أواخر العهد العثماني للحجاز في عام ١٣٢٤ للهجرة وكانت اسرته تتميز بالثراء والوجاهة ، ووالده السيد عبد الله مدني هو الذي أسس في العهد العثماني أول فندق بالمدينة المنورة فكان المنزل المختار لكبار زوار المدينة المنورة، كما كان يستقبل ضيوف الدولة باعتباره النزل الفريد من نوعه في دار الهجرة على صاحبها أفضل الصلوات وأتم التسليم .

لمحة عن تاريخ الفنادق في المدينة المنورة

وهذا الفندق الذي أسسه السيد عبد الله مدني هو الذي استأجره الشيخ عطا الياس مؤسس فنادق التيسير بمكة وجدة والمدينة خلال العهد السعودي في أواخر الستينات ، ويبدو أن آل المدني أوقفوا استعماله كفندق بعد نهاية الحكم العثماني وكان يقع في باب المجيدي، وقد ازيل هذا الفندق في التوسعة التي اجريت للمسجد النبوي الشريف في العهد السعودي ولقد كان الناس ينزلون في بيوت الأدلاء الذين يقومون بمصاحبتهم في زيارة المسجد النبوي الشريف والآثار بالمدينة

المنورة ويتولى هؤلاء الأدلاء إنزال القادمين من الزوار في بيوتهم وإطعامهم والعناية بهم بدءاً من وصولهم إلى المدينة إلى حين ارتحالهم عنها، وكان الناس في الحجاز يسمون هؤلاء الأدلاء المزورين نسبة إلى الزيارة، وكانت معظم الاسر في مكة وجدة لهم أدلاء معينون تستمر الصلة بهم وتتوارث جيلاً بعد جيل .

كان هذا في العهد الماضي قبل ان يسهل الاتصال بين مدن الحجاز وبين بعضها ثم بدأ العهد الفندق في المدينة المنورة كما ذكرنا بافتتاح فندق التيسير في نفس مبنى الفندق الذي أسسه السيد عبدالله مدني ثم أقدم الناس على افتتاح الفنادق الكثيرة في العقود التالية حتى أصبحت المنطقة المحيطة بالمسجد النبوي الشريف مكتظة بالفنادق على اختلاف أنواعها ودرجاتها، ونعود بعد هذا الاستطراد إلى صاحب الترجمة فنقول :

تلقى السيد عبيد مدني دراسته الابتدائية حينما يقع في المدرسة الفيصلية الهاشمية وحصل على شهادتها ثم التحق بالمدرسة الراقية التي افتتحت في العهد الهاشمي لينتقل إليها الطلاب الحاصلون على الشهادة الابتدائية كمرحلة ثانية في الدراسة ولكن هذه المدرسة الراقية لم يطل بقاءها إذا لم يطل عمرها أكثر من بضعة شهور، ولقد كان في مكة المكرمة في العهد الهاشمي كذلك مدرسة تحمل هذا الاسم ويبدو أنها كانت أحسن حظاً وأطول عمراً من شقيقتها الصغرى في بالمدينة المنورة .

انتقل السيد عبيد بعد ذلك إلى الدراسة في المسجد النبوي الشريف في حلقة الشيخ محمد الطيب بن اسحق الانصارى في عام ١٣٣٧ للهجرة وهو في الرابعة عشرة من العمر وكان الشيخ محمد الطيب الانصارى يلقي الدروس المعتادة في المسجد النبوي الشريف في العلوم الدينية بما تستلزمه هذه الدراسة من علوم النحو واللغة ، وكان الرجل إلى جانب تضرعه في علوم الدين واسع الاطلاع على روائع الشعر والأدب ، فإذا لمس من بعض طلابه الميل القوي إلى الأدب أو البحث أخذ بيده لتنمية هذه الملكة فيه ، وقد حدثني المرحوم الشيخ ضياء الدين رجب وكان من

تلاميذ الشيخ الانصاري ان الشيخ الطيب كان يطلع على ما ينظمه تلميذه ضياء الدين من الشعر وانه كان دائم التوجيه له ، يبصره بمواقع الخطأ كما يبصره بمواقع الاجادة ، ولقد لفت نظري ان كثيرا ممن عرفت اسماؤهم من اعلام الرجال في المدينة المنورة كانوا من تلاميذ الشيخ الطيب اذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الى جانب السيد عبيد مدني والشيخ ضياء الدين رجب رحمهما الله العلامة الصديق الاستاذ عبدالقدوس الانصاري صاحب ورئيس تحرير مجلة المنهل الغنية عن التعريف وفضيلة الشيخ محمد الحركان وزير العدل الاسبق وأمين عام رابطة العالم الاسلامي حاليا . والاستاذ عبدالحق نقشبندی وغيرهم ، ولقد ترك الشيخ الطيب اثره الطيب في نفوس طلابه فكلهم تحدث عن هذا الاثر فكان منهم العلماء والقضاة والادباء والشعراء واخيرا فان الشيخ الطيب هو والد الدكتور عبدالرحمن الانصاري رئيس قسم الآثار بجامعة الملك سعود بالرياض .

ونعود بهد هذا الاستطراد عن الشيخ الطيب الانصاري الى السيد عبيد مدني رحمه الله ، لنواصل الحديث عنه .

رائد الأدب الحديث بالمدينة المنورة

يصف الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري السيد عبيد بأنه رائد الأدب الحديث في المدينة المنورة (١) في البحث الطويل الذي كتبه عنه في مجلة المنهل والذي نوجزه فيما يلي :

كانت الحياة الادبية في مدينة الرسول صلوات الله وسلامه عليه حتى بداية الأربعينات من القرن الهجري الرابع عشر راكدة ركودا يشبه السبات ، لقد الف الناس ماتعودوا عليه من هذا الشعر الذي يحفل بالمحسنات البديعية ، وذلك النثر الذي تضيع اغراضه في متاهات السجع الرخيص وهكذا تضيع المعاني والمقاصد

(١) انظر الجزء ٢ من المجلد ١٩ من السنة الثانية والعشرين لمجلة المنهل الصادرة في شهر ربيع الأول ١٣٧٨ هـ .

صفحة ١٨٢/١٧٣ وانظر ما كتبه الاستاذ عبد القدوس في مجلة المنهل بعد وفاة السيد عبيد في عام ١٣٩٦ هـ .

في هذه المتاهات والمبالغات ، وكانت محاولة الخروج على هذا النمط تعتبر مغامرة تعرض صاحبها للمتاعب وربما الصقت به التهم ، فالإنسان عدو ما يجهل .

وكان السيد عبيد مدني رحمه الله قد تمكن من اللغة والنحوبيا درسه من روائع الأدب القديم شعره ونثره سواء على يد شيخه الطيب الانصارى أو على يد صديق والده الشيخ محمد العمري وكان شاعرا مجيدا كما يصفه الاستاذ عبدالقدوس ويبدو انه كان على اطلاع واسع على هذه الروائع من الشعر القديم ، وكان هناك رافدا آخر اسهم في تكوين الحاسة الأدبية لدى السيد عبيد ، وهذا الرافد يتمثل في المكتبة الحافلة التي ورثها عن والده السيد عبدالله مدني والتي كانت تضم بين جوانبها الكثير من المؤلفات الحديثة في ذلك العهد ، مثل دائرة المعارف للاستاذ فريد وجدى ، ومؤلفات الأديب المفتن مصطفى لطفي المنفلوطي صاحب النظرات والعبرات والفضيلة والبعث الى جانب دواوين شوقي وحافظ وسامي البارودي وجميل صدقي الزهاوى من شعراء ذلك العصر المبرزين .

نهل الشاب عبيد من هذه المناهل العذبة فتسم ذهنه منها نسيم الحرية وانتعشت نفسه بهذا الأريج الطيب من عطور الثقافة والفن ، شعرا رائعا ، ونثرا رائقا ، ومعاني جميلة واضحة لاتتعرين قوافي السجع ولا تتسربل بسراويل الجناس والبديع ، ولا يطغى اللفظ على المعنى ، واراد الشاب عبيد مدني ان يكتب كما يكتب هؤلاء الكتاب الذين قرأ ادبهم وان ينظم الشعر كما نظم هؤلاء الشعراء ، وبدأت محاولاته على استحياء وحذر ، الاستحياء من ان يكون مايكتب وماينظم لا يصل الى الجودة التي ينشدها ، والحذر من ان تلصق به تهمة الفرسونية والخروج عن المألوف ، والفرسونية هذه كما وصفها الأستاذ عبدالقدوس وكما ادركنا آثارها في مطلع الشباب هي الانحراف عن جادة الدين ، فقد ربط الجامدون بين كل تغيير في اسلوب الكتابة والشعر وبين البعد عن الدين وهو سلاح كان يشهره الجامدون على الراغبين في التجديد واراد الشاب عبيد ان يشرك صديقه وزميله في حلقة الشيخ الانصارى فيما يقرأ ليكون هذا سبيلا الى اشراكه معه فيما يكتب وينظم ،

وأُسْرَ إلى زميله عبدالقدوس بما يريد ولكن عبدالقدوس لم يتقبل هذه الدعوة بادية بدء لانه لم يكن قادرا على تقبل هذا الجديد الذى لم تفتح نفسه له ، ولانه كان لا يزال يعيش فيما ألف واعتاد، ولكن هذا الاحجام مالبث ان تحول الى تقبل على حذر ثم الى استمتاع بما يقرأ ويستمتع ، ثم الى اقدام فكان هو المصلي كما يصف نفسه فى ريادة الأدب الحديث بالمدينة المنورة وكان المجلي هو صاحب هذه الترجمة السيد عبيد مدني رحمه الله .

لم يكن فى المدينة حتى ذلك الوقت صحيفة واحدة تنقل الى الناس ما ينتجه الادباء والشعراء وكانت هناك الوسيلة الوحيدة التى درج عليها الناس قبل ظهور المطبعة وهى تداول ما يكتب بين الناس فان كان الناس بعجبون بما يقرأون كثر تداول هذا الاثر وانتشاره وانتشر ذكر صاحب هذا الاثر بين الناس وان كان هذا الاثر يتنافر مع ما ألف الناس كان هذا ادعى الى حرص الناس على تداوله والتشهير بصاحبه ، وربما انقسم الناس فى امره بين قادح ومادح وكل هذا مدعاة لانتشار هذا الجديد بين الناس .

ومما تحتفظ به الذاكرة من ذلك العهد ان شاعرا مجهولا نظم قصيدة هجاء فى إحدى الشخصيات الشهيرة بمدينة جدة فانتشرت القصيدة وذاعت بعض ابياتها على كل لسان مع انها كانت سقيمة اللفظ مختلة الاوزان ، وهكذا كان ينتشر بين الناس كل جديد بالغ ما بلغ من السوء أو الاتقان .

وفى هذا الجو الحافل بروائع الفكر والعلم بدأت بواكير الشاب السيد عبيد مدني الشعرية تفتح كما بدأت افكاره وطموحاته تظهر فيما يكتب وبدأ أسمه يظهر فى المدينة المنورة كاديب جريء وشاعر مجدد ، ولقد استطاع السيد عبيد ان يتغلب على ماواجهه من اعتراض وانتقادات بالصبر والحكمة وبما عرف عن اخلاقه الشخصية ولعل لمكانة اسرته الاجتماعية اعظم الاثر فى تجنبه المتاعب والمصاعب ، ولسائل ان يسأل لماذا لم يظهر اثر السيد عبيد مدني وغيره من ادباء المدينة المنورة ضمن الآثار التى ظهرت فى كتاب أدب الحجاز وكتاب المعرض الذى نشر فى عام

١٣٤٤ هـ ولقد اجاب الاستاذ عبد القدوس على هذا السؤال فقال ان ذلك العهد كان عهدا انعزاليا فقد كانت المدينة المنورة تعيش داخل اسوارها ولم يكن هناك اتصال بين الأدباء في كل من مكة المكرمة وجدة والطائف، وأن أول اتصال بين أدباء المدينة المنورة وأدباء مكة إنما تم في عام ١٣٤٨ هـ حينما قام بزيارة المدينة المنورة الشاعر والأديب المكي الأستاذ محمد عمر عرب رحمه الله ونستطيع أن نعلل هذا التأخر في الاتصال في العهد الهاشمي لأسباب أهمها صعوبة المواصلات بين المدينة المنورة ومكة وجدة فالمسافة بين البلدين مكة والمدينة تبلغ خمسمائة كيلومتر وكانت وسائل الانتقال بين البلدين هي الجمال والخيول والحمر، وكان أسرع هذه الوسائل يقطع الطريق بين البلدين في أسبوع وكان الناس يخرجون في مجموعات وكانت هذه المجموعات تسمى الركبان وأحدها ركب وكان الراكب الواحد يضم المئات، وكان لمكة ركبها كما كان لجدة ركبها وكان الراكب يستعين ببعض الأدلاء من البادية على الأصح ببعض الحماية لضمان سلامته وعدم التعرض له بسوء وكان الراكب الى ذلك يصطحب المنشدين من ذوى الأصوات الجميلة وكان هؤلاء المنشدون ينشدون القصائد، الخاصة بهذه المناسبات وأغلبها من المدائح النبوية المعروفة وما شابهها، كما كان الراكب يقضى بعض الوقت في أماكن معينة في الطريق وخاصة في بدر التي وقعت فيها أول معركة فاصلة في الاسلام.

ولكنني في الواقع لا أستطيع تعليل تأخر الاتصال بين ادباء المدينة المنورة وادباء مكة المكرمة وجدة في العهد السعودي بعد ظهور السيارات واستعمالها للسفر بين البلدين وذلك ان الحركة الادبية الحديثة في المدن الاخرى مكة وجدة والطائف ولدت قوية في مطلع العهد السعودي وكان الفضل في ظهورها للمرحوم الشيخ محمد سرور الصبان الذي قام برعاية الحركة الادبية ونشرها على الناس (١) ومن

(١) انظر ترجمة الشيخ محمد سرور الصبان في كتابنا اعلام الحجاز وانظر الفصل الخاص بالاداب والفنون في كتابنا

ملاحم الحياة الاجتماعية في الحجاز.

المؤكد ان الحركة الادبية فى مكة بدأت فى العهد الهاشمى واتيح لها الظهور والانتشار بين الناس فى مطلع العهد السعودى .

السيد عبيد عضو مجلس الشورى

عين السيد عبيد عضوا بالمجلس الادارى بالمدينة المنورة ثم مديرا لاقواف المدينة المنورة ثم عين عضوا بمجلس الشورى بمكة المكرمة عن المدينة المنورة ولقد ادركت السيد عبيد مدني حينما انتقلت اقامته الى مكة المكرمة لتمثيل بلده فى مجلس الشورى ، وكان نظام المجلس يقضى ان تمثل كل مدينة بعضو أو اكثر فى المجلس وكان يتم اختيار العضو بالانتخاب ولعل الشيخ سعود ديشيشه هو أول من مثل المدينة المنورة فى مجلس الشورى واليه يعود الفضل فى رفع رسم الكوشان الذى كان تتقاضاه الدولة قبل ظهور الزيت للسفر بين مكة والمدينة حينما خاطب الملك عبدالعزيز رحمه الله قائلا : ياتويل العمر لقد وحدت المملكة جميعها فلماذا يدفع المسافر من المدينة أو اليها ضريبة على السفر داخل مدن المملكة ، فتم رفع هذه الضريبة عن السفر بين مدن المملكة وبعضها على السعوديين (١)

وهكذا تم انتخاب السيد عبيد مدني عضوا بمجلس الشورى لتمثيل بلده فى المجلس ، وكان يسكن فى دار بمحلة اجياد قريبا من المسجد الحرام ، وكانت داره تغص بالقادمين من المدينة ، كما كان مقصد ذوي الحاجات منهم ممن لهم مطالب او مصالح فى دوائر حكومية ، وكان الرجل عظيم الحياء وكان الشيخ محمد على ملطاني رحمه الله صديقا للسيد عبيد فكان ينوب عنه فى قضاء بعض هذه الحاجات وكان يوصل الى الشيخ محمد سرور رحمه الله بعض هذه المطالب وخاصة فيما يختص بطلبات الراكب الى المدينة المنورة ، أو المساعدة من وزار المالية او تعقيب بعض المعاملات وما اليها ، وكان الشيخ محمد سرور رحمه الله يعرف ما يتمتع به

١ - انظر ماكتبناه عن هذا الموضوع فى ترجمة السيد صالح شطا فى كتابنا اعلام الحجاز .

السيد عبيد مدني من الاصاله والوجاهه ويقدر فيه خلق الحياء الذى يحول بينه وبين ان يطلب لنفسه اولغيره شيئاً فكانت هذه الطلبات التى يتقدم بها المرحوم الشيخ محمد على ملطاني نيابة عنه تحظى بالاجابة والقبول .

وفد مجلس الشورى الى الملك عبدالعزيز

وفى العهد الذى كان فيه السيد عبيد عضوا بمجلس الشورى قام وفد من اعضاء المجلس بزيارة المغفور له الملك عبدالعزيز فى الرياض ، وكان جلالتة فى روضة التنتاهت ووصل الوفد وكان السيد عبيد قداعدُ قصيدة باسم وفد مجلس الشورى لالقاءها امام جلالة الملك عبدالعزيز وقد القى السيد عبيد القصيدة وكان من ضمن ابياتها هذا البيت :

عبدالعزيز ومن اذا ذكر اسمه وقف الجميع له وقام النادى وما ان وصل السيد عبيد فى القائه الى هذا البيت حتى قام المجلس كله تحية للملك عبدالعزيز رحمه الله وكان لهذه الالتفاتة من السيد عبيد رحمه الله وقعها الطيب فى نفس الملك عبدالعزيز وفى نفوس كل من حضر ذلك المجلس الحافل ، وقد نشرت هذه القصيدة حينها فى جريدة ام القرى وتحدث الناس عنها كثيرا فى ذلك الزمان ، ولقد كان السيد عبيد رحمه الله ممثلا للمدينة المنورة حقاً لم يترك مناسبة تمر الا وهويذكر المدينة المنورة وتطلعاتها واذكر انه القى كذلك امام الملك عبدالعزيز قصيدة دعاه فيه الى زيارة المدينة المنور بعد ان طال غياب جلالتة عنها فقال : ومن حق المدينة ان تزارا : وما يؤسف له ان الكثير من شعر السيد عبيد لم يطبع للاستشهاد به ، ولكننا سنعود للحديث عنه حينما نتحدث عن السيد عبيد الشاعر ، وقد ذكرنا ماوعته الذاكرة من هذا الشعر حينما كان السيد عبيد عضوا بالمجلس .

وقد آثر السيد عبيد العودة الى المدينة بعد ان طال شوقه اليها فتقدم باستقالته من المجلس ليعود الى مسقط رأسه فى طيبة التى احبها الحب كله .

معلمة تاريخ المدينة المنورة

كان السيد عبيد مهتما بالكتب يحرص على اقتنائها وقراءتها وكان اكثر ما شغل اهتمامه هو تاريخ المدينة المنورة البلد الذى ولد فيه ونشأ وامتلاء قلبه بحبه وحب كلما يمثل هذا البلد الطيب من القداسات والاجاد، لهذا فان الكتب التاريخية كانت من أبرز ما يهتم به السيد عبيد رحمه الله وقد تحدث اصدقائه المقربون عن الكتاب الذى ألفه السيد عبيد والذى سماه معلمة تاريخ المدينة المنورة.

يقول الأستاذ عبدالقدوس الانصارى فى مقاله المنشور بمجلة المنهل فى تأبين السيد عبيد تحت عنوان وفيات الاعيان الصديق الكبير الذى فقدناه: يقول الاستاذ عبدالقدوس مانصه: كثيرا ما كنا نتحدث - يقصد مع السيد عبيد رحمه الله - عن ضرورة طبع كتابه الفذ «معلمة تاريخ المدينة المنورة» الذى قضى جل عمره فى كتابته وتحقيقه وتزويده بأكبر قدر ممكن من المعارف عن تاريخ المدينة الشامل. . . وقد دون تلك المعارف الثمينة فى اجزاء ضخام حسنة الترتيب، جميلة البيان والتبويب، كل جزء منها فى كتاب مستقل، ومن اجداها نفعا وابعدها صيتا «تواريخ المدينة ومؤرخوها» وكان رحمه الله يدخل الى مكتبته الخاصة ويخرج لنا اجزاء هذا الكتاب النفيس الذى ملئ علمًا وحكمة، فنقرأ ونتدارسه ونراجعه فإذا هو كنز ثمين فالح عليه فى ضرورة القيام بنشره فيعد ويقول لي: لابد من مراجعة اخيرة لنصوصه وإكمال نواقصه ومن ثم نقدمه للطبع ان شاء الله».

انتهى مانقلناه عن الاستاذ عبدالقدوس وهو المؤرخ العالم الأديب الذى يتحدث عن خبرة بما اطلع عليه من اجزاء هذا الكتاب او هذه الموسوعة عن تاريخ المدينة المنورة.

ويقول الأخ الأستاذ السيد علي حافظ احد مؤسسي جريدة المدينة المنورة والأديب المعروف فى رثائه الذى نشر بالعدد ٣٨٣٣/٢٦/١١/١٣٩١ هـ بجريدة المدينة المنورة عن هذا الكتاب مايلى:

وعكف رحمه الله على تأليف تاريخ للمدينة عكف عليه يبحث ويدقق ويناقش

و يجمع المصادر من كل مكان مدة تزيد على عشر سنوات ، وبلغ الكتاب حوالي اثني عشر مجلدا رأيت بعضها وكان يعتزم طبعه هذا العام .

والسيد علي مد الله في حياته صديق مقرب الى المرحوم السيد عبيد فهو كذلك يتحدث عن علم بما رأى .

ولا اكتم القارىء اني كنت اود ان اطلع على هذا الكتاب القيم ليكون ما اكتبه صادرا عن الانطباعات التي تحدثها القراءة في نفسي وقد طلبت من الاخ الاستاذ السيد علي حافظ الذي تفضل بامدادى بكثير من المعلومات في هذه الترجمة ان يسر لي سبيل الاطلاع على مؤلفات السيد عبيد الشعرية والنثرية ، واجلت الكتابة شهورا ولكن هذا المطلب لم يتحقق .

ان الكتاب كما يصفه الأستاذ عبد القدوس الانصارى وكما كتب عنه الأستاذ السيد علي حافظ موسوعة ضخمة في تاريخ دار الهجرة وقد مد الله في عمر المؤلف فحشد فيها الكثير من التحقيقات حتى انه افرد في هذه الموسوعة جزءا خاصا بالمؤرخين الذين كتبوا عن المدينة المنورة ، والكتاب بهذا الوصف جدير بأن يأخذ مكانه بين أهم الكتب التي الفت عن دار الهجرة واني لارجو ان يتاح لهذا الاثر القيم ان يظهر الى النور بعد طول احتجاب فلعله يكون خير أثر يحفظ اسم صاحبه في قادم الازمان .

السيد عبيد الشاعر

عرف السيد عبيد رحمه الله بالاجادة في الشعر بعد ان دانت له مفردات اللغة وبعد ان استوعب ماقرأ من روائع الشعر قديمه وحديثه والقليل الذي نشر من شعره ينبيء عن أصالة جمعت بين جزالة اللفظ ، وسمو المعنى ، وقد ذكر الأستاذ عبد القدوس ان السيد رحمه الله جمع شعره في ديوان كبير اسمه المدينيات الكبرى ، كما ان له مجموعة اخرى اسمها المدينيات الصغرى ، وقد استشهد الأستاذ عبد القدوس بكثير من الشواهد من المدينيات الصغرى في البحث المستفيض الذي كتبه عن السيد عبيد رحمه الله والذي نشر في المنهل في الجزء الثاني من المجلد التاسع

عشر في ربيع الأول عام ١٣٧٨ هـ بعنوان أعلام العلم والأدب في جزيرة العرب .
 واد قبل كل شيء ان اذكر أن ما استطعت الحصول عليه من شعر السيد عبيد
 رحمه لا يعبر تعبيراً كاملاً عن شاعريته ولكنه يعطى القارىء صورة عن هذه
 الشاعرية لا تطفئ الغلة ولا تبيل الصدى ولكنها على اى حال خير من لا شيء .
 ولقد اضطررت للبحث عن النماذج التى ساوردها للقارىء الى الغوص فى
 بطون اجزاء مجلة المنهل التى كان يخصها المرحوم السيد عبيد بنشر آثاره ، كما نقلت
 بعض هذه النماذج من بحث الاستاذ عبدالقدوس الانصارى المنشور بمجلة المنهل
 والذي اشرت اليه آنفاً .

واكرر القول ان هذا الذى اورده للقارىء لا يعبر تعبيراً كاملاً عن شاعرية
 الشاعر فأني اعلم ان له من القصائد الجياد الكثير الذى هو اجدد بالتقديم ولكن
 هذا هو ما استطعت الحصول اليه بعد البحث والجهد والذي رأيت ان اختتم به هذه
 الترجمة التى طال امد بقائها لدى دون اتمام وبعد فهذه هي النماذج ولا اقول
 المختارات التى استطعت الحصول عليها من شعر السيد عبيد مدني الشاعر .

نفثة مصدور

نظم الشاعر قصيدة خلال الحرب الهاشمية السعودية جاء فيها :

هبوا بني الوطن المقدس ابدلوا	هذا الجمود بيقظة وثبات
وتضامنوا ان التضامن قوة	ترقى الشعوب بها ذرى الغايات
ومنها :	

هذه المدينة اصبحت العوبة	صماء بين زعانف وغواة
بستاقها النفر الرعاع ذليلة	لموارد الويلات والنكبات
الحكم فوضى والمطامع جمة	والشعب بينهما فريسة عات
حال تذوب لها الضمائر لوعة	والموت فيها اهون الحالات

وللشاعر قصيدة أخرى نظمها في سنة ١٣٤٨ يتنبأ فيها بالنهضة العظيمة التي
ستشهدها البلاد في مستقبل الأيام وقد جاء فيها:

بشرى فانا في بواذر نهضة	ستحول الصعب الجموح ذليلا
ولسوف نشأوا الطير في تحليقه	ونقيم من أسرابنا الاسطولا
ونشق ملتطم الخضم بوارجا	وبواخرا ونجر فيه ذيولا
ويصد وجه الشمس منا ججفل	لجب تصم به الفلاة صليلا
متدرب ان ساردك مما لكنا	واذل تيجانا وفل رعيلا
ويجوب أرجاء الجزيرة كلها	خط الحديد مهامها وتلولا
ويجلل الأرض السيفاع زراعة	فتفيض في عمالها التمويلا
ونعمم التعليم حتى لانرى	في كل انحاء البلاد جهولا
ونشيد دورا للصناعة جمة	شتى الشكول ونخرج البترولا
ونقيم فينا للصحافة منبرا	يضيفي البيان على الشعوب سيولا
ونبث في كبرى العواصم كلها	وزراء لا يألوننا تمثيلا
ونعيد للاسلام شرح شبابه	ونفك للشرق الأسير كبولا
ونسابق الأيام في اقبالها	ونكون للآتين أفضل جيلا
وينمق التاريخ ذكر نهوضنا	غررا على صفحاته وحجولا

وكأنى بالشاعر يرى بعين الغيب النهضة العظيمة التي تعيشها بلادنا العزيزة قبل
اكثر من نصف قرن ولقد تحقق منها الكثير. ونسأله تعالى ان يرفع كابوس
اليهود وان يظهر المسجد الأقصى وديار فلسطين ولبنان منهم حتى تتحقق امنية
الشاعر كاملة.

فنعيد للاسلام شرح شبابه . ونفك للشرق الأسير كبولا

ولقد مد الله في عمر الشاعر حتى رأى الكثير مما تنبأ به في سنة ١٣٤٨ هـ وقد
تحقق أو بدأت بواذر تحقيقه في الظهور.

ولقد ابصر الشاعر ما يدسه أعداء الاسلام للمسلمين في بلادهم من دسائس
تثير الآلام في الصدور فقال في سنة ١٣٥٥ هـ هذه الأبيات :

بين الماضي والحاضر

المسلمون غدوا وهم في ارضهم	غرباء بين زعانف وطغام
دسَّ العداة لهم فحال طموحهم	وتنحَّتْ الآمال للآلام
ان الذى شرع الشرائع للهدى	ضمن الخلود لشرعة الاسلام

وللشاعر مقطوعة عنوانها الفراق نظمها في سنة ١٣٥٧ هـ يقول فيها :

ازف الرحيل فعجَّتْ الزفرات	وتدفقت من وقعه العبرات
وتبدلت رسل القلوب واوضحت	عنها وعن مكنونها الخلجات
وتجاوبت كتب العيون وأعربت	عما تريد بيانه النظرات
ساد السكوت فليس الا دمة	تجرى والا آهة مزجاة

وهذه المقطوعة تذكرونا بالأسلوب الذى كان يتبعه الشعراء قبل النهضة الأدبية
الحديثة وقد أوردتها لأنها المقطوعة العاطفية الوحيدة التى وجدتتها للشاعر.
وهناك مقطوعة اخرى بعنوان (المناجاة) نظمها الشاعر في عام ١٣٦٠ هـ وقد
أطلق الشاعر نفسه على سجيته فجاءت هذه المناجاة صادرة من القلب :

دعوتك للجلي وقلبي خاشع	ومالي الا أنت يارب سامع
فعندى أمان في الحياة رحيمة	ولي أمل في ساحة المجد شاسع
وقد أخفقت فيما أردت مطامحي	وعثت على جهدى الحثيث الذرائع
على أنني لم آل جهدا ولم اقف	ولم تشني عما اعتزمت المدافع
وكم غمرة جاوزتها إثر غمرة	أجالد في اهوائها وإصارع
أعالجها بالعنف طورا وتارة	أحاولها مستديرا وإخادع
ولكنها أعيت علي فلم أجد	سواك ومالي غير جاهك نافع

ففضلك مرجو وعطفك وارف ولطفك ضافٍ واقتدارك واسع
ومما يدخل في هذا المعنى هذه النفثة التي صدرت من الشاعر في سنة
١٣٧٦هـ.

إذا التمس المكروب تفريج كربه من الناس لم اقصد سوى الله مرجعا
فحسبي به عوناً وغوثاً وعدة وملتجأ في كل حين ومفزعا

كان الشاعر كما ذكرنا عضواً بمجلس الشورى بمكة المكرمة ممثلاً لبلده المدينة المنورة وأدركه رمضان في أحد الأعوام وهو وحيد في غرفته بفندق التيسير ، ولرمضان كما يعرف الناس فرحة عظيمة يتبادل فيها الناس التهاني ويجتمع فيه شمل الأسرة مهئين مع اطلاق المدافع مؤذنة بحلول الشهر الكريم وتذكر الشاعر في هذه الساعة التي انطلقت فيها البشائر بدخول رمضان عام ١٣٧٢ هـ داره بالمدينة المنورة وأولاده وأهله وأحبابه تذكر المدينة بكل ما فيها وما له بين جوانبها من العواطف الجياشة بالحب والوفاء فأطلق هذه الزفرات :

رمضان جاء فكان مبعث بهجة شاعت مظاهرها على السعداء
وتجاوبت فيه المشاعر غبطة من كل منعطف وكل فناء
وتبادل الناس التهاني فرحة والبشريات عزيزة الآلاء
أما أنا فلقد قبعت بغرفتي في فندق التيسير بالبطحاء
أشكونواي ووحدتي وسأمي وعصي آمالي ومعضل دائمي

وفيها يقول :

قد كنت أضجر بالحياة وكنت في بعض النعيم فكيف بالبأساء
أيام كان يحف بي ويحيطني أهلي وكنافي حمى العذراء

وللشاعر مقطوعات تتكون من بيتين سماها المثنيات ونشرت في مجلة المنهل نقتطف منها النماذج الآتية وقد أشرنا الى الأعداد التي نشرتها وتواريخها ، أما

النماذج التي لم يذكر تاريخها فهي منقولة عن البحث الذي كتبه الأستاذ عبدالقدوس الانصارى عن صاحب الترجمة والذي أشرنا اليه آنفا .

المثنيات

إذا ماشيد الانسان جاها على أنقاض عزته تداعى
وان نهل السعادة بالتدني اصرت قلبه العقبى التيعا

بشرى

أقيل أو استقال فتلك بشرى وليس يهم أيهما الصحيح
وحسب الناس أن اليأس ولئى واقبل بعده الامل الفسيح
أي شعب كان معضول القوى فهو بالاحداث موصول الألم

سقوط فرنسا

هوت بعد التالىق والصعود وأحنت رأس سؤدها العتيد
طواها هتلر وأتى عليها فناءت تحت هيكله الشديد

انا لا أقبل الخداع

لاتقل لي اذا رأيتك اهلا وتدس الخداع في بردتيكا
أنا لا أقبل الخداع وادري بخبي الشكوك في صفحتيكا

أرض عنها

إذا لم ترضك الأيام فيما تشاء من المطالب فارض عنها
فان رضاك عنها سوف يفضي بنيلك كل ماتبغيه منها

سائر الى دور الرعاية

كفى بك بؤسا أن ترى العجز راحة وحسبك يأسا أن ترى السعى متعبا

فانت الى دور الرعاية سائر فتلقى بها أهلا ومأوى ومطلبا

المنهل المجلد (٤٠) ذو القعدة

وذو الحجة سنة ١٣٩٦ هـ

يصدق كل من يثني عليه مجاملة فيدخله الغرور
ويزعم ان ما قالوه نزر وماكتموا هو الشيء الكثير
من لا يحركه المديح ولا يضايقه الهجاء
فكانه بل انه في زجة الدنيا هباء

المنهل المجلد (٣٨) ذو الحجة ١٣٩٦ هـ

وفاء

كن كيف شئت تفننا ولحاجة واعمل كما تهوى أسى وتنكرا
فانا انا من قد عرفت وداده لانثني ابدا ولن اتغيرا

المجلد (٣٩) جمادى الثانية ورجب ١٣٩٨ هـ

ثق بالله

اذا صدر الدعاء من الحوايا يصاحبه الخشوع فقد أجيبا
فثق بالله معتمدا عليه لتكتسح النوائب والخطوبا

مفاجأة الحظوظ العائرات

نعيش على طريق الذكريات ونأمل في حدوث المعجزات
ونرقب كل آونة وأخرى مفاجأة الحظوظ العائرات

المجلد (٣٤) المحرم وصفر ١٣٩٣ هـ

الإبن والاب

الإبن ينشئ للحياة ويبعد وأبوه يمشي للسياق ويسرع
شتان بينهما فهذا مقبل يتملق الدنيا وذاك مودع

ياندّم الغفاة

أرى موت الرفاق على التوالي نذيرا للحياة من الممات
فمن يفهم يزوده نهاه ومن يجهل فيا ندم الغفاة
المجلد (٣٣) شوال سنة ١٣٩٢ هـ

هذه هي النماذج التي استطعت الحصول عليها من شعر الشاعر السيد عبيد مدني رحمه الله وأرجو أن يكون في نشر هذه الترجمة ما يحفزهم أبناءه الكرام الى نشر آثاره المطوية وأهمها كتابه الضخم المدينة ومؤرخوها ومجموعة أشعاره المدينيات الكبرى والمدينيات الصغرى لتكون هي الأثر الباقي الذي يحفظ ذكره بين الشعراء والمؤرخين والتي تسهل مهمة الباحثين فيما تركه الأديب الراحل من الآثار والاشعار.

مرض السيد عبيد رحمه الله في عام ١٣٩٦ هـ وسافر الى أمريكا للعلاج وأبلّ من مرضه وعزم على العودة الى المدينة المنورة وكتب بهذا الى صديقه الحميم السيد علي حافظ يقول:

«انني لم يبق معي أي مشاكل ولا يوجد ما يقلقني وصحتي تسرّكم وسأتوجه الى المدينة ونلتقي ان شاء الله»

أخذ السيد عبيد رحمه الله يعدّ عدته للسفر ولكنه تعرّض في حقيقته وأصيب بكسر فنقل الى المستشفى لاجراء عملية عاجلة له . ولكن هذه الاصابة البسيطة كانت هي النهاية فقد أسلم الروح وكانت وفاته في أمريكا يوم الجمعة الثاني عشر من ذي القعدة سنة ١٣٩٦ هـ وهو في الثالثة والسبعين من العمر.
رحمه الله رحمة واسعة وأحسن جزاءه في جنات النعيم.

• السيد علوي بن عباس المالكي •



السيد علوى بن عباس المالكي

مستدير الوجه ، أبيض اللون ، قصير القامة ، واسع العينين ، وسيم جسيم ، تزين وجهه لحية سوداء خفيف العارضين اقنى الانف ، يرتدى الجبة الحجازية ويعتم بعمامة بيضاء يغطي بها الرأس والأذنين ويلبس الملابس الواسعة وهو زِي العلماء المكيين ، وكان السيد علوى رحمه الله من اشهرهم واحبهم الى قلوب الناس واكثرهم ذبوع صيت .

ولد السيد علوى بمكة المكرمة في ١٣٢٨ هـ وتلقى تعليمه أولا على يد والده العلامة السيد عباس بن عبدالعزيز المالكي الذي كان مديرا للمعارف بمكة المكرمة الذي الحقه بكتاب عمه حسن المالكي بزقاق الحجر ، وحفظ القرآن الكريم وجوَّده حتى انه أمَّ المصلين في صلاة التراويح في العاشرة من عمره ثم التحق بمدرسة الفلاح بمكة المكرمة ونال شهادتها العليا في عام ١٣٤٦ هـ ، وكانت امنية والده ان يرى ابنه يتوسط حلقة الدرس في المسجد الحرام فكان ابنه السيد علوى من المواظبين على تلقي الدروس في المسجد الحرام على يد خيرة علماء عصره وهم جميعا من اساتذته في الفلاح ومنهم الشيخ عبدالله حمدوه والشيخ عمر حمدان والشيخ عيسى رواس والشيخ يحي امان كما انتظم في حلقات الدرس لدى الشيخ جمال المالكي والشيخ محمد على بن حسين المالكي والشيخ امين السويدي وغيرهم

من اعلام المدرسين بالمسجد الحرام حتى حصل على اجازة التدريس بالمسجد الحرام في عام ١٣٤٧ هـ بالاضافة الى عمله مدرسا بمدرسة الفلاح، وكانت حلقة بالمسجد الحرام تغص بطلاب العلم من كافة الاقطار الاسلامية لما يتمتع به من العلم والفضل وكريم الاخلاق .

وقد ادركته مدرسا في المسجد الحرام وفي مدرسة الفلاح بمكة المكرمة في النصف الثاني من الخمسينات وهو من اسرة تشتغل بالعلم ابا عن جد وولدا عن اب فابوه هو السيد عباس المالكي كان من اعلام البلد الحرام تعلق في وظائف التعليم والقضاء في العهدين الهاشمي والسعودي وانتدبه الشريف الحسين بن علي للسفر الى الحبشة وبناء مسجد للمسلمين بها كما انتدبه الى بيت المقدس للاشراف على اصلاحات في المسجد الاقصى المبارك وفي قبة الصخرة، وكان الى جانب هذا وذاك من علماء مكة المكرمة وله حلقة درس بالمسجد الحرام وله مؤلفات دينية يتداولها الدارسون . وكان مديرا للمعارف في العهد السعودي في الاربعينات ثم ولي القضاء في مكة المكرمة ، وعمه كما ذكرنا هو السيد حسن المالكي وكان له كتاب لتعليم القرآن الكريم بمكة المكرمة وفي هذا الكتاب جوّد للسيد علوي القرآن الكريم وحفظه حتى اصبح اماما للتراويح وهو في العاشرة من عمره كما ذكرنا قبل . ونجله هو الاستاذ الشيخ السيد محمد علوي المالكي المدرس بالمسجد الحرام والذي خلف والده الكريم في برنامجه الاسبوعي في اذاعة نداء الاسلام مساء كل جمعة مد الله في عمره ونفع به وله المؤلفات الكثيرة في العلوم الدينية وهو خير خلف لخير سلف ، فهذه الاسرة الكريمة وهبت نفسها للعلم تتعلمه وتنشره بين الناس وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

عرفت السيد علوي رحمه الله في النصف الثاني من الخمسينات في مكة المكرمة كما ذكرت استاذا بمدرسة الفلاح ومدرسا له حلقة يلتف حولها طلابه في المسجد الحرام مايين العشاءين . وعرفته كذلك مأذونا يعقد الانكحة وكان اشهر مأذون في مكة المكرمة في زمانه وظل كذلك الى ان توفاه الله ، وكان جميل الصوت ، حسن

الاداء لمراسم الزواج التى يياشرها وكل اهل مكة يحبون الرجل حبا جما بل ويستبشرون بعقده لزواج اولادهم ، وكان هو الى ماحباه الله به من العلم والفقه فى الدين لين الجانب لطيف المعشر يملأ المجالس التى يحضرها انسا ويشيع فيها السرور بما يرويه من الطرائف الكثيرة التى صادفته فى عمله وبها يحفظه سماعا وقراءة فلا يمل جلساؤه الاستماع اليه كل هذا فى ادب يحفظ مقامه ، فهو طالب علم قبل كل شيء وبعده ، ولكنه لا يترمت ولا يتعالى وانما يدخل الى القلوب بلين الجانب والحكمة المشوبة بالطريف من القول ، فهو يمزح ولا يجرح ، ويتبسط ولا يتبذل ، وهو بهذا قد جمع لنفسه محبة الناس ومهابتهم فى وقت واحد .

ولقد حدثنى ببعض الطرائف التى مرت عليه فى عقده للزواج فى مكة المكرمة وساروى منها طرفتين مازلت اذكرهما لما فيهما من الغرابة قال - دعيت الى عقد زواج فى مكة المكرمة - وكان هذا فى الستينات - وكان الزواج كبيرا اجتمع المدعوون فى بيت العريس وساروا فى موكب عظيم يتقدمهم حملة الاتاريك والمباخر ويصاحب العريس والمأذون المنشدون المشهورون فى مكة المكرمة وسار العريس ومعه المأذون السيد علوى والمدعوون البالغ عددهم المئات ووصلوا الى بيت العروس فى الشعب وخرج اهل العروس ومدعووهم يستقبلون الركب الكبير القادم وانشد المنشدون قصائدهم ثم تقدم العريس ومن رافقه من المدعوين الى صدر المكان واديرت عليهم القهوة بعد ان استقر بهم المجلس وبدأ السيد علوى رحمه الله فى قراءة خطبة الزواج المعتادة الى أن وصل الى الحد الذى يرم فيه العقد ، وكان العريس وابوه يجلسان الى يمين السيد علوى رحمه الله ، ووالد العروس يجلس الى شماله ، وكان امامهم بعض المدعوين وهنا وقعت المفاجأة العظيمة التى اذهلت الجميع .

اخذ السيد علوى بيد العريس وقال له زوجتك وانكحتك مخطوبتك فلانة . فتقدم الرجل الجالس امام السيد علوى وقال بصوت يسمعه الجميع تمهل يامولانا فالتفت اليه السيد علوى سائلا ماذا هناك قال الرجل : ان فلانا هذا واثار الى

والد العروس حضر في تاريخ كذا الى المسجد الحرام واتخذ مكانه بجانبى لاداء صلاة المغرب وقال لي لقد رزقت هذا اليوم بنتا فقلت له انني اخطبها لابني هذا وكان ابنه حديث ولادة كذلك فقبل تزويجها من ابني وقرأنا الفاتحة على ذلك .

التفت السيد علوى الى والد العروس وسأله ، اصحيح مايقوله هذا الرجل ، قال نعم ، وتقدم الرجل في الحال بصرة من النقود وقال هذا هو الصداق قد احضرته معي ، فاعقد لابني هذا على العروس التي وافق ابوها على تزويجها له يوم ولادتها .

يقول السيد علوى ، وكان هذا الزواج صحيحا بإقرار الأبوين فعقدت لولد الرجل على العروس وكانت هذه الفتاة من نصيب الخطيب الأول ، اما العريس الذى اقيم الفرح ونصبت الزينات من اجل زواجه فلم يتم له زواج ، وكما يقول المثل تكون في فمك وتقسم لغيرك .

والحادثة الثانية التى رواها لي السيد علوى رحمه الله لاتبلغ في طرافتها وغرابتها الحادثة الأولى ولكنها تستحق التسجيل .

قال دعيت لاقامة زواج كبير في مكة المكرمة ووصلنا الى بيت العروس في موكب كبير لا يقل ضخامة عما وصفنا في الحادثة السابقة وحن موعد العقد ، فسألت والد العروس ان كان يقبل تزويج هذا العريس من ابنته فاجاب بالموافقة . يقول السيد ولكن الله تعالى الهمني ان اسأله سؤالا لم اتعود ان اسأله من قبل قلت للرجل اهذه العروس ابنتك؟ قال نعم انها ابنتي؟ قلت هل هي من صلبك فظهر الضيق على وجه الرجل وقال انني ربيتها صغيرة فهي ابنتي قلت ولكن اين ابوها ، قال ان اباهما طلق امها وهى طفلة ترضع فتزوجت الأم واحتضنت البنت طفلة

وتكفلت بها حتى بلغت مبلغ الزواج وجاءنى الكفاء الذى يخطبها فوافقت على تزويجها ، وهى لاتعرف أن لها أباً غيرى وتناديني قائلة يلايى ، وانا اعدّها بنتي وكأنها من صلبى ، قال السيد ولكن ابوها الحقيقي احي هو؟ قال نعم ، قال السيد لابد من حضوره فهو ولي امرها ولابد أن اسمع موافقته على الزواج ، والا فلا زواج .

وارتبك والد العروس كما ارتبك العريس وأهله يقول السيد ووقوف العقد الى ان يحضر الاب .

قال السيد رحمه الله ، وارسلوا الى الاب وهو رجل فقير يعمل في قهوة في الششة خارج مكة المكرمة كان نائما فايقتوه ، وابى ان يحضر معهم فما زالوا به حتى حضر ، وجاء الرجل فإذا هو رجل ضعيف تلمس آثار الفقر في مظهره وكلامه ، قال السيد علوي . قلت للرجل هل فلانة بنتك؟ قال نعم ، قلت فان فلانا واشرت الى العريس قد خطبها من زوج امها وقد وافقت امها على تزويجها فهل تقبل تزويجها لهذا الفتى؟ قال الاب لا انتى لن ازوجها له ولا لغيره الآن . ثم اردف لماذا لم يستشير ونى في هذا الزواج من قبل؟

ونظر الى السيد علوي وكأنه يستمد منه العون والفتيا في وقت واحد قال السيد علوي قلت له انك ولي الامر وبدون موافقتك ورضاك لن يتم زواج وادرك الرجل الفقير ان زمام الموقف قد أصبح في يده ، وأنه قادر على افشال هذا الزواج وافساد كلما تم من استعداد فاصر على الرفض وادرك الاذكياء من الحاضرين ان موافقة الرجل مرهونة بارضائه ببعض المال ، فاخذوا الرجل الى داخل البيت وبدأت معه المساومة الصعبة التى انتهت بقبوله الفتى زوجا لابنته بعد ان قبض في يديه عشرين جنيها ذهبيا احصى تعدادها ونقدها ووضعها في صرة في حزامه الذى يعتمر به في وسطه . وعاد الرجل متهللا الى مجلس العقد ومعه المفاوضون الذين تصبب العرق من جباههم خلال تلك المفاوضات .

وسأل السيد علوي الرجل : قل لي هل وافقت الآن على زواج ابنتك فلانة من عريسها هذا الحاضر بالمجلس قال الرجل نعم يامولانا فاخذ بيد العريس ووضعها في يد الاب وتم العقد وأصبحت الفتاة عروسا بعد ان كاد العرس ان يتوقف . يقول السيد علوي رحمه الله ، وفي اليوم التالى حضرت كالعادة وليمة الزواج فوجدت الاب الحقيقي للعروس وقد ارتدى ثوبا جديدا وظهرت عليه آثار النعمة فما ان رأني حتى اقبل علي مسلما وهو يردد ، ينصر دولتك ، ينصر دولتك .

يقول السيد علوى وقد علمتني هذه الحادثة ان اتأكد قبل عقد الزواج من شخصية ولي الامر حتى لاتقع المحاذير والمفاجآت وحتى يكون العقد صحيحا من كافة الوجوه، وقد حضرت مرة عقد زواج كان السيد علوى يبرمه في مكة المكرمة وكان والد العروس متوفيا وكان الخال هو الذى يقوم بمهمة تزويج العروس المتوفى ابوها، وقد طلب السيد علوى رحمه الله ان يسأل العروس نفسها عن قبولها للزواج ويتحدث الى والدتها ويدخل الى داخل البيت ولكن مكوثه في الداخل طال كثيرا وبعد لأي حضر وأتم عقد الزواج، وكنت اجلس قريبا منه فنظر الى رحمه الله وهو يتسم وكان يعرف ان لي قرابة قريبة بالعريس قال كاد الزواج ان يتوقف يارجل؟ قلت لماذا يامولانا. قال سألت الخال اليس للعروس اخ او عم قال اما عمها فقد توفي ولا اخ لها قلت وابناء عمها قال انهم موجودون؟ قلت واين هم؟ قال لم يحضروا قال السيد فادركت ان خلافا وقع بين العروس وامها وابناء عمها قلت ولكن ابن العم احق بالولاية من الخال، قال السيد وكان الخال ذكيا فقال ان والد العروس اوصاني قبل موته ان ازوج ابنته هذه على فلان الذى خطبها من الاب في حياته، ولكن العقد لم يتم في ذلك الوقت قلت وهل لديك من يشهد على ذلك فاحضر لي شاهدين رضيتهما وهكذا ابرمت العقد والا كنت توقفت.

هذه الطرائف وامثالها التى كان يرويها السيد فى اسلوبه اللطيف كان تجذب قلوب سامعيه وابصارهم فكانوا ينهلون من علمه الغزير، كما يستمتعون بطرائفه وعذب حديثه رحمه الله .

مؤلفات السيد علوى المالكي

كان السيد علوى رحمه الله يمتاز فى دروسه واحاديثه بالتأثير فى نفوس السامعين وسواء اكان ذلك فى حلقات دروسه التى يعقدها فى حلقة بالمسجد الحرام، أو يلقيها على تلامذته وطلابه او يتحدث بها الى الجمهور فى الاذاعة والتلفزيون ولقد اتبىح لي ان استمع الى السيد علوى رحمه الله متحدثا فى الاذاعة والتلفزيون

كما اتيح لي ان اجلس بعض الوقت مستمعا في حلقة المسجد الحرام ولقد سعدت فعلا بالاطلاع على كثير من هذه الاحاديث مجموعة في مجلد كبير ومعنونا باسم نفحات الاسلام من البلد الحرام قام بجمعها وترتيبها نجله الدكتور محمد علوى المالكي وعني بنشرها وطبعها الشيخ عبدالله ابراهيم الانصاري على نفقة الشؤون الدينية بدولة قطر ولقد كان الشيخ عبدالله الانصاري المسئول عن الشؤون الدينية بدولة قطر تلميذا للمرحوم السيد علوى وطالبا من طلاب العلم في حلقة المسجد الحرام ولترك المجال قليلا لفضيلته ليتحدث عن ذلك ، يقول الشيخ عبدالله الانصاري في مقدمة هذا الكتاب :

من بين هؤلاء الابطال عالم جليل كان سيدا لي ومريبا لروحي ، ومؤدبا لنفسي ، ولست وحدي نال من الخير الوفير والعلم والسعادة والبركة بل هم جمع غفير ، كنا نحلق حوله في مهبط الوحي ومنزل الرحمات تجاه بيت الله الحرام فكم ادركنا من علمه ثمارا يانعة ، ونلنا من فضل تربيته آدانا سامية اذا شرع في شرح حديث تتخيل امواجا من العلم ينساب من صدره اليك .

وقادُ ذهن اذا جالت قريحته يكاد يقضي عليه من تلهبه

ذلك هو استاذي السيد علوي بن عباس المالكي المكي مدرس المسجد الحرام تغمده الله بواسع رحمته ورضوانه واسكنه فسيح جناته وجمعنا به في مقر رحمته وهذا الكتاب يمثل دروس السيد علوى رحمه الله واحاديثه الدينية ومعالجته لبعض القضايا التي تعرض عليه وهي مجموعة في مجلد ضخيم يبلغ خمسمائة وثلاثين صحيفة ، وللسيد علوى رحمه الله مؤلفات اخرى منها كتاب فتح القريب المجيب على تهذيب الترغيب والترهيب ، وكتاب الترغيب والترهيب هذا هو من الكتب التي كانت تدرس لنا في مدارس الفلاح بجدة ونحن على مقاعد الدراسة والكتاب عبارة عن مجموعة من الاحاديث النبوية الشريفة جمعها مدرسو الفلاح ورتبوها في كتاب بغرض تدريسه لتلاميذ الفلاح .

ولما كان السيد علوى رحمه الله قد درس السنة النبوية على أيدي اعلام العلماء

فى المسجد الحرام وعرف من اسرار هذا العلم ما ادرك معه وجوب الرجوع الى هذا الكتاب بالتعديل والتهذيب فقد اقدم على هذا العمل وباشره فى كتابه هذا ففتح القريب المجيب على تهذيب الترغيب والترهيب . ويقول السيد علوى فى مقدمة الكتاب :

وقد اشتغلت به مدة مديدة ، فرأيت انه يحتاج الى إصلاح بحذف بعض فصوله ، وابداها بفصول اخرى صحيحة او حسنة لما فى الأولى من النكارة والضعف ، وحذف بعض الاحاديث المكررة فى موضوع واحد وكل احاديثه مروية بصيغة الجزم ، كقال مع ان نظر العلماء فى الحديث الضعيف انه لا يروى بصيغة الجزم بل بصيغة الضعف كروى وحكى .

لقد حملة اخلاصه للعلم وامانته ، وللحديث النبوى الشريف ومكانته العظيمة من الدين على ان يقوم على تصحيح هذا الكتاب فشرع فى ذلك معتمدا فى النقل كما يقول على مؤلفات العلماء الموثوق بهم كالحافظ المنذرى ، والامام النووى وابن حجر الهيتمي وجميعهم من اعلام العلماء فى هذا المجال وقد زين الكتاب بشرح واف لمعاني الالفاظ والاغراض مستشهدا فى ذلك بالآيات القرآنية فى وضوح لا يستعصى على فهم القارئ العادى والتلميذ المبتدىء ، وبهذا ادى السيد علوى رحمه الله امانة العلم التى تقلدها ، وجنب القارئ للكتاب سواء اكان تلميذا فى المدرسة أو قارئاً من عامة القراء وجنبه مزلق الأخذ بالأحاديث المنكرة والضعيفة دون ان يثقل عليه بشرح الاصطلاحات التى يعرفها المتخصصون من العلماء .

ابانة الاحكام

هذا الكتاب هو شرح واف لكتاب الحافظ بن حجر بلوغ المرام وقد اشترك فى تأليف هذا الكتاب مع السيد علوى رحمه الله السيد حسن سليمان النورى كما هو مثبت فى الطبعة التى بين يدي من هذا الكتاب ويقول المؤلفان عن هذا الكتاب ان مؤلفه الحافظ بن حجر قد بذل جهده فيه فى جمع ادلة الاحكام الشرعية مع الاشارة

الى التوفيق بين الاحاديث المتعارضة وبيان رتبة الاحاديث وعزوها الى مخرجيها مما كان تبصرة للمبتدئ وتذكرة للمتتبع والكتاب مفصل تفصيلا وافيا والمجلد الأول خاص بالعبادات . وقد قسمت الى ابواب مفصلة تفصيلا دقيقا كاملا ، يبتدىء فيه بذكر الحديث ثم شرح المعنى الاجمالي له ثم التحليل اللفظي للفاظ الحديث ويختتم البحث بفقه الحديث ، والكتاب يشبع المواضيع التي يتعرض لها بحثا وتفصيلا وهو من اجل الكتب التي تفيد طلاب العلم والدارسين كما يرجع اليها طالب المعرفة ، وقد اطلعت على مجلدين من الكتاب المذكور حتى الآن .

ان المطلع على مؤلفات السيد علوى رحمه الله يخرج منها بفوائد جمّة ، فهو أولا يشبع الموضوع الذى يتناوله بحثا فلا يترك جانبا من جوانبه الا وقد القى الاضواء عليه وبينه البيان الشافى الوافى وهو امر يدل على تمكن الرجل من الامور التي يعالجها والاحاطة التامة بالمباحث التي يتعرض لها فلا يترك صغيرة ولا كبيرة الا ويحليها .

الامر الثانى الذى يظهر للمتأمل فى هذه المؤلفات تمكّن الرجل من علوم الحديث الشريف وهو المكمل للكتاب الكريم ، والشارح لما اجمله القرآن من الاحكام والمفصل لكيفياتها وجزئياتها .

ونكتفى بهذا القدر من الكلام عن مؤلفات السيد علوى رحمه الله فليس من غرض هذه الترجمة الاحاطة بكلما كتب وألف وإنما المراد هو اعطاء فكرة عن اعمال الرجل وانجازاته ليستطيع القارئ رسم صورة مصغرة له فى ذهنه ان كان من لم يسعدهم الحظ بمعرفته ولقائه .

هذا وقد توفى السيد علوى مالكي رحمه الله فى منتصف ليلة الأربعاء فى الخامس والعشرين من شهر صفر عام ١٣٩١ هـ عن ثلاثة وستين عاما ، اثر نوبة قلبية ، رحم الله السيد علوى مالكي فقد وهب حياته كلها للعلم طالبا ومعلما وواعظا وداعيا الى الله وقد دفن فى مقبرة المعلاة بمكة المكرمة فى اليوم التالى وكانت لوفاته

رنه حزن واسى فى جميع انحاء البلاد رحمه الله تعالى واحسن جزاءه لقاء ما اسدى
الى العلم واهله انه سميع مجيب .



الشيخ محمد رحمة الله العثماني مؤسس المدرسة الصوليتية بمكة المكرمة

ولادته ونسبه

ولد العلامة الشيخ محمد رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني في بلدة كيرانه التابعة لمدينة دهلي عاصمة الهند في ذلك الزمان في شهر جمادى الأولى عام ١٢٣٣ هجرية الموافق لعام ١٨١٨ للميلاد وهو سليل اسرة كريمة اشتهر افرادها في تلك البلاد فكان منهم الامراء والحكام والرؤساء والعلماء والاطباء وينتهي نسبه الى ثالث الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، ولذلك اطلق على الاسرة لقب العثماني نسبة الى هذا النسب الكريم .

وكان أول من قدم من افراد هذه الاسرة الى الهند الشيخ عبدالرحمن الكاذروني الجدل الأعلى للشيخ حيث كان قاضيا شرعيا للجيش الاسلامي التي فتحت الهند على يد السلطان محمود الغزنوي .

تحصيله وتعليمه

تلقى الشيخ علومه الابتدائية في بلدة كيرانه فتعلم القراءة والكتابة وبدأ في حفظ الكتاب الكريم على يد كبار افراد أسرته المشهورين بالعلم والفضل ، ثم انتقل الى مدينة دهلي عاصمة الهند ليتلقى المزيد من العلم فالتحق بإحدى

المدارس الدينية هناك ودرس بها الكثير من العلوم كما قرأ الكثير من الكتب، ولكن شغفه بالعلم والرغبة في الاستزادة من مناهله دفعه الى الارتحال الى مدينة لكنو بالهند وهي مدينة الثقافة والحضارة في ذلك الزمان فتلقى العلم على يد افاضل العلماء هناك وتخصص في آداب اللغة الفارسية وعلوم الطب.

ثم عاد بعد ذلك الى مسقط رأسه في مدينة كيرانه واشتغل بالتعليم فأسس بها مدرسة تولى مهمة التدريس فيها بنفسه والتف حوله من الطلاب من كتب الله لهم التوفيق فكانوا بعد ذلك من العلماء العاملين في الهند ومنهم العلامة الشيخ عبد الوهاب مؤسس أول مدرسة إسلامية بمدينة مدراس بالهند وقد عرفت هذه المدرسة باسم الباقيات الصالحات وقد تحولت هذه المدرسة في الوقت الحاضر الى كلية تعد اكبر كلية في مدينة مدراس الكبيرة في جنوب الهند.

الحالة في الهند

في هذا الوقت الذي ولد فيه الشيخ ونشأ وبلغ مبلغ الرجال كانت الهند تعاني من ويلات الاستعمار البريطاني، فالامبراطورية المغولية الاسلامية التي مضى عليها مايقرب من اربعمائة عام كانت تلفظ انفاسها الاخيرة ليحل محلها الاستعمار الانجليزي الصليبي الغاشم، وكان الحكام من الهنود حكاما بالاسم لان مقدرات البلاد كلها قد اصبحت في يد الحكام الانجليز الذين وفدوا الى البلاد تحت ستار شركة الهند الشرقية، واخذوا ينهبون خيرات البلاد منها منظما، يشترون الخامات الهندية بابخس الاثمان ليعاد تصديرها اليهم بعد صنعها في مصانع انجلترا باغلى الاسعار، وكان الانجليز يعملون على ان تبقى الهند مزرعة يستغلون خيراتها ويحرمون اهلها من هذا الخير، وكانوا يستخدمون الوسائل الكثيرة والعنيفة لتبقى البلاد تحت سيطرتهم سادة في غفوة الجهالة فنصبوا انفسهم للقضاء على الروح المعنوية بشتى الوسائل.

والهند كما هو معلوم مليئة بالديانات المختلفة كما هي مملوءة بالاجناس المتباينة

واللغات الكثيرة وكان اصعب ما واجه المستعمرين فى الهند هو الاسلام ممثلا فى علماء المسلمين ومفكرهم .

وفى الوقت الذى نشط فيه الانجليز فى التبشير بالدين المسيحى بين الهنود كان الاسلام هو الشوكة التى تقف فى حلقهم ، وكان علماء المسلمين هم العقبة الكأداء التى تتكسر عليها سهام كيدهم وشروهم .

كان الاسلام بتعاليمه النقية السامية القائمة على صفاء العقيدة يجذب القلوب ويدخل الى نفوس الناس فى سر ، وكانت العدالة الاسلامية بين الناس تعطي المثل الافضل فى مجتمع يقوم فيه نظام الطبقات الذى كان سائدا فى الهند فيخلق الطبقة المقدسة ثم ينتهي بطبقة اخرى الى حضيض الرجس والمهانة . ولم يجد الانجليز بدا من محاربة المسلمين فى عقيدتهم فجردوا سيوف البغي ممثلة فى ارساليات التبشير التى جندت لها الكنيسة اكبر شياطينها ، فلم يكتفوا بمحاولة اجتذاب الوثنيين من الشيخ الى المسيحية ولكنهم اخذوا يهاجمون الاسلام ويشككون فى صحة القرآن ، وفى نبوة محمد بن عبدالله عليه افضل الصلاة والتسليم ، وكانت هذه الحملة المسعورة يقودها القسيسون فيعقدون الاجتماعات فى الاماكن العامة حيث يبشرون بالمسيحية بعد ان يكونوا قد اوسعوا الاسلام تجريحا ونقدا وافتراء وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . وكان الحاكمون من الانجليز يمهدون الطريق لهؤلاء المبشرين ويقفون بالمرصاد لكل من يتصدى لهم او يعترض عليهم .

وكان المسلمون ينظرون الى هذا البغي الذى تسانده الحراب الانجليزية والكثير منهم يقف دون حراك الا من الحسرة والعذاب ، وكان الموقف يتطلب شجاعة منقطعة النظير تستهدف الوقوف فى وجه هذا البغي بروح من الجهاد والاستشهاد وكان الموقف كذلك يتطلب الاعداد قبل مواجهة الاحداث .

ورأى الشيخ رحمة الله صاحب هذه الترجمة ان الواجب الدينى يدعوه للجهاد فى سبيل الله دفاعا عن عقيدة الاسلام وذودا عن كرامة خاتم المرسلين محمد بن

عبدالله صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين .
وقرر ان يبدأ أولاً بدراسة المسيحية والاطلاع على الانجيل او على الاناجيل
المختلفة ليكون على علم تام بما هو سبيل الاقدام عليه . يقول فضيلة العلامة
السيد ابو الحسن علي الحسيني الندوي :

قام الشيخ رحمة الله وشمر عن ساق الجحد والاجتهاد ونذر الله ان لا يهدأ حتى
يدرس مصادر النصرانية ومراجعتها دراسة عميقة دقيقة ويغوص فيها وينقب ، وقد
شحذ عزمه على ذلك قدوم القس الطائر الصيت فندر من انكلترا وقد قام بنشاط
كبير وحماس زائد في مناظرة علماء الهند ، وقد تحداهم تحديا سافرا وقام بجولة في
مديريات الهند يخطب في الجامعات ويدعوا الى النصرانية وكانت المشكلة مشكلة
اللغة ، وكان الشيخ لا يعرف اللغة الانجليزية وقد تخطى بحكم سنه المرحلة التي
يستطيع فيها تعلم الانجليزية ، وكان فندر لا يعرف الا اللغة الانجليزية ، وكان
مشاركا في اللغة العربية والفارسية .

يقول السيد الندوي فاين القنطرة التي تصل بينهما واين الرجل الذي يساعد
الشيخ رحمة الله في الاطلاع على المصادر الاجنبية والوثائق المسيحية التاريخية؟
ويواصل السيد الندوي كلامه فيقول :

هنالك قيض الله مسلما غيورا - ولله جنود السموات والأرض - وهو الدكتور
محمد وزير خان الاكبر آبادي ، الذي سافر الى لندن سنة ١٨٣٢ يدرس الطب
الجديد وقد نال فيه شهادة عالية واتقن اللغة الانجليزية ودرس اللغة اليونانية ،
وعني بدراسة المسيحية من مصادرها الاصلية واقناء كتبها واستصحب هذه المكتبة
الثمينة الى الهند ، فكان هذا الرجل عضد الشيخ الايمن في هذا الجهاد العلمي
الكبير الذي كان جهاد الساعة وواجب الوقت .

اكمل الشيخ رحمة الله مهمته في الدراسة واخذ عدته وعتاده لخوض المعركة وقد
استفحل امر فندر الذي رأى الجوخاليا فازداد جرأة وتحديا ، ورأى الشيخ ان السبيل
الوحيد لا يقف فندر هذا عند حده ان يتم الحوار معه في لقاء عام يحضره الخاصة

من أهل الرأي واعيان البلاد وحكامها ليستمع الناس الى ما يدور في هذا الحوار من الحجج التي تقرع الرأي بالرأي ليكون الناس على بينة في نهاية المطاف بالحقيقة التي ينجلي عنها صراع الرأي بين الرجلين .

وكان فندر قد الف كتابا سماه ميزان الحق وترجمه الى اللغة الفارسية وملاه بالباطيل والضلالات التي تهاجم الاسلام ونبية الكريم صلوات الله وسلامه عليه واخذ يدل به بعد ان رأى ان الجوقد خلا امامه من المعترضين المناقشين .

اعد الشيخ عتاده وارسل الى فندر يطلب منه الحضور للمحاوراة في موعد ومكان يتفق عليهما ، وتحده ان يظهر امام الجمهور من الناس بما فيهم علماء النصارى والمسلمون وكان شرط هذه المناظرة انه اذا انتصر فيها القس فندر دخل الشيخ رحمة الله في دينه فاصبح مسيحيا ، واذا انتصر الشيخ رحمة الله دخل القس فندر في دينه فاصبح مسلما .

كان التحدى صارخا واستعان الشيخ على اتمام المناظرة بكل من توسم فيه القدرة على التأثير على فندر هذا لانماها ، ولم ير فندر بعد ان وصلت الأمور الى هذا الحد من التحدى السافر بدأ من قبول المناظرة فقبلها راضيا اوكارها فالله اعلم بدخيلته ، واخيرا ابرم الامر وتحدد عقد المناظرة في الحادى عشر من شهر رجب عام ١٢٧٠ هجرية الموافق للعاشر من ابريل سنة ١٨٥٤ للميلاد في مدينة اكبر آباد اكره احدى مديريات الولاية الشمالية الرئيسية واحد مجالات النشاط التبشيري في الهند وفي حي من أحيائها يسمى حارة عبد المسيح .

بدأ الحفل في الموعد المعين وتجمع الناس فحضر ولاية المديرية من حكام وقضاة وبعض كبار رجال الجيش من الانجليز كما حضر القس الشهير وليم كلين وعدد كبير من اعيان البلد ووجهائه كما حضر فريق كبير من ابناء البلاد من المسلمين والمسيحيين والشيخ .

وحضر الشيخ والى جانبه الدكتور محمد وزير خان يعاونه ويترجم له ، وكان موضوع المناظرة والبحث قد تحدد في خمس نقاط :

١ - التحريف في الكتاب المقدس - العهد القديم والجديد -

٢ - وقوع النسخ

٣ - التثليث

٤ - نبوة محمد

٥ - صدق القرآن وصحته .

ان الذى يتأمل فى النقاط التى سيدور فيها البحث يرى ان الشيخ رحمت الله اختار طريقة الهجوم بدلا من طريقة الدفاع ، فهو أولا سيتحدث عن ما وقع فى الانجيل من تحريف ونسخ ، كما سيتحدث عن التثليث الذى يؤمن به المسيحيون الاب والابن والروح القدس وهو ما يتنافى مع صفاء عقيدة التوحيد التى تؤمن بآله واحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ، وبعد هذا يجرى البحث فى النبوة الخاتمة لمحمد ﷺ وفى صحة القرآن .

كان الشيخ رحمت الله قد استعد اعظم استعداد للمواضيع التى سيخوض بحورها ، يقول الدكتور الدسوقي :

وقد تناول - الشيخ - فى الكلام على العهدين العتيق والجديد كل باب من ابوابها واستشهد من كلام مؤرخيهم وعلمائهم - النصارى - على تبين المطعون فيه من الأبواب والآيات وبين بالحجج الدامغة ان لا يوجد لدى علمائهم فى كلتا الديانتين سند متصل لاي كتاب من كتب العهدين ، ثم تناول بعد ذلك ما فى كتب العهدين من الاختلاف والاعلاط .

وبين ان ادعاءهم بان هذه الكتب الموجودة بين ايدينا الهامية ادعاء باطل وساق برهانا على هذا البطلان سبعة عشر وجها لكثرة ما بها من اغلاط وتحريف واختلافات عجز مفسروهم عن التوفيق بينها ، ثم ان الكاثوليك والبروتستانت يختلفان فى الاعتراف ببعض هذه الكتب فما يعترف به الكاثوليك ينكره البروتستانت والعكس بالعكس .

اما بالنسبة للتحريف فى كتب العهدين القديم والجديد فقد أثبت أن بعض

هذا التحريف كان عن عمد وكان هذا التحريف احيانا بالزيادة، وحيانا بالنقصان وحيانا بالتبديل اللفظي وساق على التحريف بالزيادة خمسة وأربعين شاهداً، كما ساق على التبديل اللفظي خمسة وثلاثين شاهداً وصدق الله العظيم إذ يقول «يحرفون الكلم عن مواضعه» أما التحريف بالنقص فقد أورد عليه الشيخ رحمته الله عشرين شاهداً كما أورد عدة مغالطات للمبشرين المسيحيين وفنّدها ببراهين ساطعة واستدل على ذلك بأقوال المسيحيين الثقات من المفسرين والمؤرخين ليزيد حججه نصاعة وقوة.

يقول الدكتور الدسوقي :

وبلغت هذه الاستدلالات من اقوالهم الثلاثين قولاً ، مما يدل على سعة اطلاع وتبع حريص لاقامة الحجة عليهم من كتبهم .

أما بالنسبة لاثبات النسخ فقد اثبت الشيخ بالأدلة القاطعة نسخ بعض الاحكام في الشريعتين الموسوية والمسيحية ، ثم برهن على أن الاحكام العملية للتوراة نسختها شريعة عيسى عليه السلام ، وان لفظ النسخ موجود في كلام ، قدسيهم كما حاول المؤلف ان يثبت ان النسخ ليس وفقاً على الدين الاسلامي ولكنه كان عند اليهود والنصارى كذلك .

نعود بعد هذا التفصيل عن مبلغ استعداد الشيخ رحمته الله للمناظرة الى المناظرة نفسها التي تمت في هوفسيخ عام وجرى الاتفاق على تخصيص الجلستين الأولى للبحث في موضوع النسخ وتحريف الانجيل وانبرى الشيخ رحمته الله يدلي بما اعدّه من الحجج عن هذا التحريف ولم يجد القسيس فنّدر بدأ امام الحجج الدامغة التي اوردها الشيخ من الاعتراف هو ومن معه من القسيسين بحصول التحريف في الانجيل في ثمانية مواضع ، وكان هذا الاعتراف بمحض من هذا الجمع الحاشد ونشرت الصحف وقائع الجلستين مما جعل القسيس فنّدر في موقف المناظر المغلوب على امره فامتنع عن حضور الجلسة الثالثة ، ولم يكتف بهذا فلقد ترك الهند كلها خفية بعد هذه الهزيمة التي مني بها كما منيت بها دعوته ودعوة

امثاله ، وبهذا لم تحدث المناظرة الا في المادة الأولى منها ، ولقد بادر الشيخ الى طبع ما اعدده من نصوص المناظرة في كتاب «البحث الشريف في أثبات النسخ والتحريف» .

أما بقية ابواب المناظرة فقد اوردها الشيخ في مؤلفاته الأخرى التي ستحدث عنها بعد واهمها كتابه - اظهار الحق - الذي ترجم الى اللغة العربية كما ترجم الى اللغات الانجليزية والفارسية .

يقول الشيخ محمد مسعود سليم حفيد الشيخ - ومدير المدرسة الصوليتية بمكة المكرمة :

اشتد غضبهم - الانجليز - بعد هزيمتهم في المناظرة فقد كانت مناظرة الشيخ رحمت الله مع المسيحيين بمثابة شرارة ايقظت في نفوس المسلمين روح المقاومة فتكونت فرق الجهاد في عموم انحاء الهند وخاصة في مدينة دلهي وتوابعها وانحائها ، وكانت كلها مرتبطة عملا ومعنويا بالشيخ رحمت الله .

وبدأ الانجليز في نصب المشانق للمسلمين وقتلهم بدون هوادة ، واقاموا مذابح بشرية يندى لها جبين الانسانية ، وقد اعلن الانجليز اعدام الشيخ رحمت الله ، ومنح مكافأة قدرها الف روبية لكل من يدهم عليه او يأتي به ، وصادروا املاكه ، واحاط الجيش الانجليزى ببيوت الشيخ مدة طويلة وكان الشيخ قد تنكر في زي فلاح هندي فقير يعمل في الأرض فلم يستطيعوا العثور عليه ، ثم قرر الشيخ الهجرة الى مكة المكرمة فترك الهند مخلفا وراءه اهله واملاكه ومدرسته واقاربه واحبابه متنكرا وقضى في طريقه الى مكة المكرمة ما يقرب من عامين وهو ينتقل من بلد الى بلد يقطع البحار كما يقطع الصحارى والقفار حتى وصل الى مكة المكرمة عن طريق اليمن في سنة ١٢٧٤ للهجرة .

في مكة المكرمة

وصل الشيخ رحمت الله الى مكة المكرمة ولا يعلم بشأنه احد من الناس وكان

شيخ علماء مكة المكرمة في ذلك الزمان السيد أحمد زيني دحلان (١). كما كان اماماً وخطيباً للمسجد الحرام، وكان للسيد الدحلان حلقة يلقي فيها دروسه على طلاب العلم في المسجد الحرام، والتحق الشيخ رحمت الله في هذه الحلقة يستمع الى الدروس مع طلاب العلم بعد صلاة الفجر من كل يوم، وحدث ان وجه الشيخ رحمت الله الى السيد الدحلان سؤالاً فقهيّاً في احدى حلقات الدرس وبعد ان اجاب السيد الدحلان على السؤال تطور الامر الى مناقشة فقهية ادرك معها السيد الدحلان ان السائل ليس طالب علم وانما هو عالم متمكن فامسك بيده وطلب منه ان يحدثه عن حقيقة امره وان يفصح عن هويته واحواله قصّ الشيخ رحمت الله على شيخ علماء مكة في ايجاز قصته وما وقع له في الهند والتجاء اخيراً الى البيت الحرام يطلب فيه الامن والامان.

تأثر السيد الدحلان بما سمع من امر الشيخ رحمت الله حتى فاضت عيناه بالدموع ودعاه الى بيته واكرمه وجمع له علماء مكة المكرمة على مائدة كبيرة اقامها في داره حيث عرّف السيد الدحلان الشيخ رحمت الله الى علماء مكة المكرمة وتحدث الشيخ رحمت الله الى الحاضرين بجلية امره وما وقع له مع القسيس فنذروا ما تلا ذلك من احداث حتى وصل الى حمى البيت العتيق.

رحب علماء مكة بالعالم المجاهد ونزل من قلوبهم المنزلة التي يستحقها من كان مثله مجاهداً في اعلاء كلمة الاسلام وابطال الباطل واحقاق الحق، ومنحه شيخ علماء مكة المكرمة اجازة التدريس وعين له مكاناً بالمسجد الحرام تعقد فيه حلقاته للتدريس واصبح اسمه مسجلاً في السجل الرسمي لعلماء ومدرسي المسجد الحرام.

رحلة القسطنطينية

استقر المقام بالشيخ في مكة المكرمة مدرسا في المسجد الحرام الى ان استدعاه

١ - السيد أحمد زيني دحلان مؤلف كتاب الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية في مجلدين كبيرين.

ومؤلف كتاب خلاصة الكلام في امراء البلد الحرام.

السيد أحمد زيني دحلان يوما، ليخبره بما جَدَّ من أمور، كان القديس فندر الذى انهزم فى المناظرة المشهورة على يد الشيخ فى الهند قد وصل الى القسطنطينية مبعوثا من الكنيسة المسيحية للتبشير بها هناك، ويأبى مركب النقص الذى وقع لديه بعد هزيمته فى الهند الا ان يظهر فقلب الحقائق، وتباهى بما فعل فى الهند فقلب الحقائق وأشاع ان علماء المسلمين فى الهند لم يستطيعوا الثبات أمام ما أورده من براهين وحجج على النسخ فى القرآن وانهم غلبوا على امرهم فتحول الكثير من المسلمين الى النصرانية وتحولت المساجد الى كنائس والعياذ بالله وانتصرت النصرانية على الاسلام.

ولقد بلغ الى مسامع السلطان عبدالعزيز خان ما يروجه هذا القس الفاجر من الأكاذيب والباطيل فارسل رسالة عاجلة الى والي مكة المكرمة الشريف عبد الله ابن عون يطلب منه الاستفسار من الحجاج القادمين من الهند عن احوال الهند والأحداث الخطيرة التى وقعت بها وخاصة ماتم فى المناظرة بين الشيخ رحمت الله والقسيس فندر، وما ان تلقى والي مكة هذه الرسالة حتى اطلع عليها شيخ علماء مكة المكرمة وكان جوابه حاضرا أن الشيخ رحمت الله موجود عندنا فى مكة المكرمة وله حلقة يلقي فيها الدروس على طلابه فى المسجد الحرام واستقبل الشريف عبد الله بن عون بن عبد الله الشيخ رحمت الله وسمع منه قصته مع القسيس فندر مروية بلسانه وكتب إلى السلطان عبد العزيز بحقيقة الأمر فورد الأمر من السلطان بإرسال الشيخ إلى تركيا سريعا ضيفا خاصا للخليفة وكان ذلك فى سنة ١٨٦٤ ميلادية، أكرم السلطان وفادة الشيخ رحمت الله كثيرا واستمع إلى قصته ودعى إلى اجتماع حافل حضره كبار رجال دولة الخلافة وعلماء الدين وكلف السلطان الشيخ رحمت الله بالحديث إلى الحاضرين عن أحوال الهند وعن المناظرة الدينية التى تمت بينهم وبين القسيس الكاذب فندروما تلاها من ثورة المسلمين فى الهند والأحداث التى تلت ذلك حتى اسقر المقام بالشيخ فى رحاب البيت العتيق.

فندر يهرب من القسطنطينية

علم القسيس فندر بوصول الشيخ رحمت الله الى القسطنطينية بطلب من الخليفة فاختمى وهرب من تركيا الى غير رجعة خشية ان يواجه بما يدحض اكاذيبه وافتراءاته وامر السلطان بعد ماسمع من الشيخ مافعله القسيسون والمبشرون في الهند امر بالقبض على القسيسين المبشرين واعوانهم ومصادرة كتبهم واغلاق مراكزهم .

بقي الشيخ رحمت الله في القسطنطينية ضيفا مكرماً على السلطان ، وكان يقابله كثيرا عقب صلاة العشاء مع رئيس الوزراء خير الدين باشا التونسي ، والشيخ أحمد اسعد المدني شيخ الاسلام ، وكبار رجال الدولة والمناصب الدينية ، وتقديرا من الخليفة لجهد الشيخ انعم عليه بالخلعة السلطانية وبالوسام المجيدى ، وعين له مرتبا شهريا مقداره خمسمائة ريال مجيدى وعينه عضوا في مجلس الوالي بمكة المكرمة .

كتاب اظهار الحق

طلب السلطان عبدالعزيز ورئيس وزرائه خير الدين باشا من الشيخ رحمت الله بعد ان عرفوا من امره ما عرفوا تأليف كتاب شامل عن الاسلام يحتوى على المباحث الجوهرية بين الديانتين الاسلامية والمسيحية مع ايراد نص المناظرة التى تمت بين الشيخ والقسيس فندر والنقاش الذى تم بينهما سواء فى الجلسات التى تمت بينهما او المباحث التى اعدّها الشيخ ولم يجر النقاش فيها بعد غياب فندر ، وطلب السلطان من الشيخ ان يتفرغ لتأليف الكتاب المطلوب فى تركيا ، واستجاب الشيخ رحمت الله لطلب الخليفة فعكف على تأليف كتابه اظهار الحق وهو كتاب ضخّم فى مجلدين عظيمين استهدف فيه جلاء حقيقة الاسلام وابطال مزاعم اليهود والنصارى ومفترياتهم ودحضها بالحجة والبرهان واتم الشيخ كتابه فى ستة شهور وطبع فى تركيا تحت رعاية الخليفة ووزع فى البلدان العربية والاسلامية كما تمت ترجمته الى اللغات الانجليزية والالمانية والفرنسية وقد اهتم السلطان بترجمة الكتاب الى اللغة التركية كذلك فظهرت الترجمة تحت عنوان ابراز الحق .

يقول الشيخ محمد مسعود مدير المدرسة الصوليتية بمكة :
ولقد علقت جريدة لندن تايمز في ذلك الوقت على هذا الكتاب قائلة :
لوداوم الناس على مطالعة هذا الكتاب لتوقف انتشار الدين المسيحي كليا
ولا بى الناس قبوله ورجعوا الى الاسلام .
ويواصل الشيخ محمد مسعود قائلا :

ولقد تم طبع هذا السفر الجليل عشرات المرات في تركيا ومصر وسوريا ولبنان ،
وقام القسيسون ورجال الهيئات التبشيرية بمصادرة نسخه واتلافها حتى لاتصل
الى ايدي الناس في البلاد العربية والطبعة المتداولة هي الاخيرة بتحقيق الدكتور
عمر الدسوقي وهو مطبوع في المغرب وفي لبنان .

وليس هذا الحال مع كتاب اظهار الحق فقط بل مع ترجماته الانجليزية
والفرنسية والالمانية والتركية ايضا والجدير بالذكر ان الهيئات المختصة بالهند في عهد
الحكومة البريطانية منعت طبع وتداول مؤلفات الشيخ رحمت الله وانزال العقوبة
بكل من يقوم بطبع ونشر مؤلفاته ، ولكن كتبه كما يقول الشيخ محمد مسعود ظلت
محفوظة مصونة في البيوت والمكتبات القديمة وفي صدور العلماء ورجال الحق .

كما ان الترجمة الاوردية للكتاب والتي تحمل اسم من الانجيل الى القرآن
طبعت ثلاث طبعات في الباكستان وقام بترجمتها فضيلة الشيخ اكبر علي العثماني
وحققها وعلق عليها فضيلة الاستاذ محمد تقي العثماني وهما من العلماء المشهورين
في الباكستان .

وهكذا تتوالى طبعات الكتاب باللغات المختلفة وكلما نفذت طبعة طبعت اخرى
فكان الكتاب بهذا الوصف حسنة جارية يتلقى مؤلفه ثوابها ونورها بعد ان فارق
هذه الحياة الدنيا الى رحاب الله الواحد الغفار .

تأسيس أول مدرسة بمكة المكرمة

عاد الشيخ رحمت الله الى مكة المكرمة بعد ان اتم تأليف كتابه اظهار الحق ،
واشتغل بالتدريس في المسجد الحرام ، وكذلك في داره لتلاميذه من ابناء مكة

المكرمة والمهاجرين اليها لطلب العلم .

ولقد رأى الشيخ بشاقب بصيرته ان التعليم الذى يتم فى حلقات الدروس فى المسجد الحرام يقتصر على التعليم الديني ومايتعلق به من علوم اللغة والبيان ، وان الحاجة تدعو الى ادخال مواد اخرى لتعليمها لابناء المسلمين ، وكان يرى ان المدرسة التى يتم تأسيسها على أسس برامج ومناهج دراسية معينة يمكن ان يجني منها المتعلم فوائد أخرى الى جانب دراسته الدينية .

كانت الحكومة العثمانية تبذل بسخاء لمدرسي المسجد الحرام ولعلماء مكة المكرمة ولكن البلاد كانت خالية من المدارس التى تجمع بين علوم الدنيا والدين ، فقام الشيخ رحمت الله بافتتاح اول مدرسة فى مكة المكرمة فى ربيع الأول من عام ١٢٨٥ للهجرة على نفقته الخاصة واتخذت المدرسة مقرا لها بدار احد امراء الهند المهاجرين المعروفة بدار السقيفة عند مطلع جبل هندی بالشامية . ولكن الدار كانت ضيقة ، فلم يتمكن الشيخ من تنظيم الدراسة فيها بالشكل الذى يتمنى ويريد .

المدرسة الصوليتية

وفى عام ١٢٨٩ هـ قدمت لاداء فريضة الحج الاميرة صولة النساء احدى اميرات الهند ، وكانت تنوي بعد اداء الحج انشاء رباط بمكة المكرمة يكون وقفا للفقراء فاستشارت الشيخ رحمت الله فى الامر وهو المعروف امره والمتشدد ذكره ، قال الشيخ رحمت الله لصولت النساء : ان مكة المكرمة تحتاج الى مدرسة يتعلم بها ابناء المسلمين ، وحدثها عن مدرسته التى اسسها والتى تحتاج الى بناية اعظم تبني لتكون مدرسة نظامية ، ووافقت الاميرة صولت النساء على فكرة الشيخ وفوضت اليه امر بناء المدرسة على نفقتها . ويسر الله الامر فتم شراء الأرض فى حي الحندريسة بمحلة الباب ووضع الشيخ رحمت الله حجر الأساس لأول مدرسة دينية نظامية فى رحاب البيت العتيق وتم فى صباح الأربعاء ١٥ شعبان ١٢٩٠ للهجرة ابتداء الدراسة بالمدرسة الصوليتية التى جعل الشيخ اسمها مرتبطا باسم اميرة الهند صولت النساء ، وجرى الاحتفال بذلك الحدث بحضوره علماء مكة المكرمة وأعيانها



منظر جانبي لمعمارة المدرسة الصوليئية الثانية التي بها الدراسة الآن والتي انتهت عمارتها في عام ١٣٤٥هـ .

وطلاب العلم فيها .

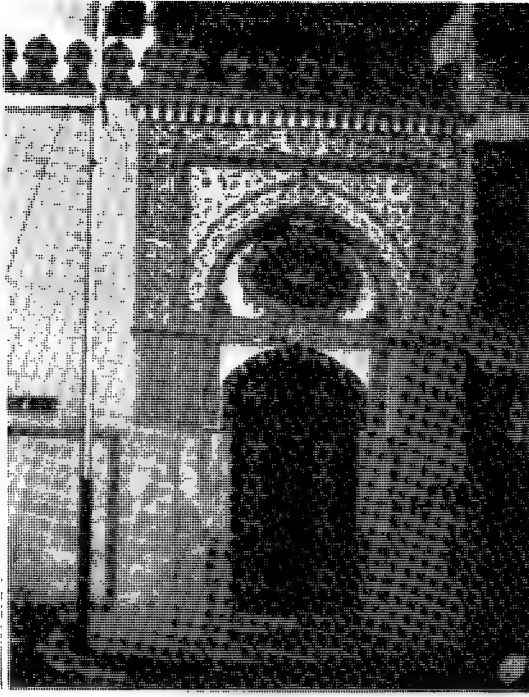
اصبحت المدرسة مركزا للطلاب من كل حدب ومنبعا للعلوم والمعارف ، وهي
أول مدرسة نظامية على الاطلاق في الجزيرة العربية تأسست على يد ذلك الرجل
العظيم .

وتتكون المدرسة من ثلاثة مباني - المبنى الأول المدرسة التي بنيت على نفقة الاميرة الهندية صولت النساء . . والمبنى الثاني خصص لايواء خمسين طالبا وقد بنيت على نفقة محسن هندي مسلم اسمه مير واجد حسين من مدينة بثنه في الهند وتم بناء هذا المبنى الذي سمي دار الاقامة في عام ١٢٩٣ هجرية .

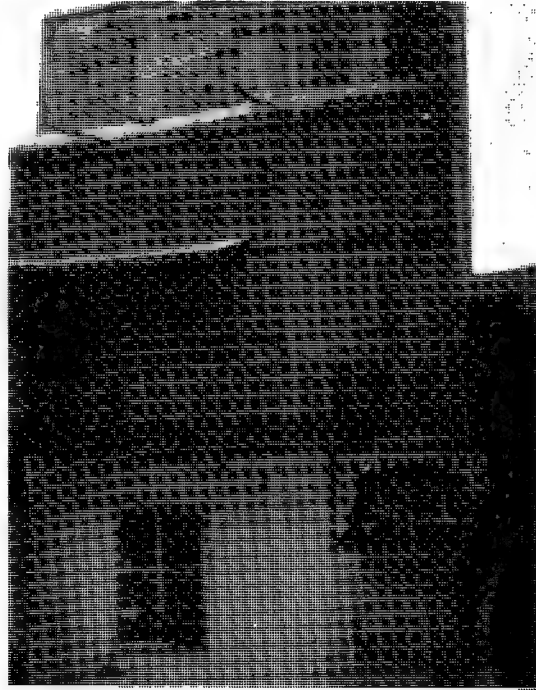
اما المبنى الثالث فهو المسجد وقد استعملت فيه الاحجار التي نتجت من هدم دار الكتب الملكية في ساحة الحرم المكي الشريف وتفصيل الامر، ان دار الكتب الملكية كانت مبنية في ساحة الحرم المكي بالقرب من بئر زمزم وكان وجود هذا المبنى يضايق المصلين وخاصة في أيام الحج فرأى عثمان باشا نوري والي الحجاز ضرورة ازالته وكتب بذلك الى وزارة الاوقاف في القسطنطينية واقامة مبنى آخر للمكتبة في مكان آخر ولما عرض الامر على السلطان عبدالحميد خان وافق على ذلك وتم نقل المكتبة الى مبنى مجاور كما تم هدم المبنى الذي كان قائما في ساحة الحرم . وتقدم الشيخ رحمت الله الى عثمان نوري باشا والي الحجاز بطلب شراء الاحجار المتخلفة عن هدم هذا المبنى لاستعمالها في بناء مسجد للمدرسة الصوليتية فوافق الوالي على هذا الطلب واشترى الشيخ رحمت الله هذه المخلفات واستغلها في بناء المسجد الذي يسر الله بناءه على اجمل وجه بحضور بعض المهندسين الهنود فظهر المسجد بقبابه العالية تحفة معمارية اسلامية وتم بناء المسجد في سنة ١٣٠٤ للهجرة .

دسائس وعقبات

كانت المدرسة الصوليتية منذ تأسيسها تقوم على تبرعات اثرياء المسلمين في الهند وكان من ضمن اغراضها احتضان ابناء المهاجرين المسلمين وخاصة من مسلمي الهنود ليتلقوا بها علومهم الدينية والدنيوية بطريقة منظمة ليعودوا الى الهند فيعلموا ابناء المسلمين هناك ماتعلموه في مكة المكرمة .



المدخل الجميل لمسجد
المدرسة الصوليية المؤسس في
عام ١٣٠٢ هـ وعليها أبيات
شعرية رائعة للشاعر الشيخ
محمد نظيف التركي .



منظر لأول عمارة للمدرسة
الصوليية أنشئت في عام
١٢٩٠ هـ وفيها بدأت
الدراسة يوم الأربعاء الموافق
١٥ / ٨ / ١٢٩٠ هـ .

وكانت القنصلية الانجليزية في جدة تعرف الكثير من ماضي الشيخ رحمته الله في محاربة التبشير المسيحي واثره الكبير في الثورة ضد الانجليز في الهند تبث الدسائس ضد المدرسة ومؤسسها فتنتشر الارجيف عن الاغراض . من وجود هذه المؤسسة التي تقوم على نفقات الهنود من خارج الحجاز ، ولقد تأثر والي الحجاز عثمان نوري باشا في ذلك الزمن ببعض هذه الدسائس فكتب الى القسطنطينية محذرا من الشيخ رحمته الله ومدرسته وجاء الامر السلطاني على غير ما كان يتوقع الوالي فسافر الشيخ رحمته الله واستقبل في الاستانة استقبالا عظيما وانعم عليه السلطان بلقب ركن الحرمين الشريفين وخلع عليه وقدمت له الهدايا والأموال السخية .

ولما قابل السلطان عبدالعزيز خان ابدى السلطان رغبته في تقرير منحة مالية سنوية للمدرسة لمعاونتها على اداء رسالتها فاجابه الشيخ شاكرًا لانعمه قائلاً :
ان لجلالة السلطان في أرض الحرم مشاريع عظيمة النفع ينفق عليها بسخاء ومشاريع لم تكتمل بعد وهذا كاف في فضل السلطان .
وان مسلمي الهند يقومون بالانفاق على المدرسة راغبين الثواب من الله ، وارجو جلالة السلطان ان لا يحرمهم من هذا الثواب .
ويبدو ان ما كان يرد للمدرسة من تبرعات مسلمي الهند كان يسد متطلبات المدرسة ، ودار الإقامة فلم يرغب الشيخ في الحصول على المعونة السلطانية ، ولعل لديه اسبابا اخرى للاعتذار (١)

تجديد الدراسة في حلقة الشيخ رحمته الله

كانت حلقة الشيخ رحمته الله في المسجد الحرام كما يصفها الأستاذ مسعود سليم رحمة الله مدير المدرسة الصوليتيه بمكة ، لا يقتصر التدريس فيها على العلوم الدينية كما هو الحال بالنسبة لحلقات الدروس بالمسجد الحرام في ذلك الزمان .

(١) ٦٠/٥٧ أكبر مجاهد في التاريخ للسيد محمد سليم بن محمد سعيد .

يقول الاستاذ محمد مسعود: فعزم على ادخال علوم وكتب جديدة وتعريف الطلاب بما لم يعهده في محيط العلم والتدريس ، فشرع في تدريس المنطق والفلسفة الاسلامية وعلمي الكلام والمناظرة وعلم الهيئة واقليدس الهندسة ، وعلم الفلك ، وطلب لها الكتب من الهند ، وكان يوما مشهودا في تاريخ العلم بالحرم المكي الشريف الذي شرع فيه العلامة الشيخ رحمت الله في تدريس كتاب حجة الله البالغة ، ومقدمة ابن خلدون وما اشبه ذلك من الكتب في العلوم آفة الذكر. فتهافت عليه جموع الطلاب ، واصبحت حلقاته منهلا عذبا اقبل عليه طلاب العلم والمعرفة وظل يقوم بالتدريس فترات طويلة ومتعددة في الحرم الشريف وفي داره .

التلامذة والمتخرجون

لهذا فقد تخرج على يديه العدد الكبير من العلماء والقضاة وأهل الافتاء ممن يشار اليهم بالفضل والكمال في تاريخ مكة .

وقد اورد الشيخ محمد مسعود اسماء الطلاب الذين تخرجوا على يد الشيخ رحمت الله فكان على رأسهم المرحوم الشريف الحسين بن علي ملك الحجاز ومؤسس الدولة الهاشمية في سنة ١٣٣٤ للهجرة في مكة المكرمة . ولقد ضمن القائمة التي اوردها الأستاذ محمد سليم مسعود القضاة ورجال الفتيا والعلماء والمدرسين بالمسجد الحرام نذكر منهم على سبيل المثال :

فضيلة الشيخ عبدالله سراج

قاضى القضاة مفتى الاحناف وشيخ العلماء بمكة المكرمة ثم رئيس وزراء الاردن في عهد الملك عبدالله بن الحسين ملك الاردن .

الشيخ أحمد أبو الخير مرداد

شيخ الخطباء والعلماء بمكة المكرمة والمدرس بالمسجد الحرام .

الشيخ عبدالرحمن الشبيبي

سادن بيت الله الحرام والمدرس بالمسجد الحرام .

السيد عبدالله محمد الزواوى

مفتى الشافعية بمكة المكرمة والمدرس بالمسجد الحرام ورئيس مجلس الشورى .

السيد عابد حسين المالكي

مفتى المالكية والمدرس بالمسجد الحرام .

الشيخ عبدالله أحمد ابوالخير

مفتى الاحناف وقاضى المحكمة الشرعية والمدرس بالمسجد الحرام

الشيخ محمد علي سليمان مرداد

الامام والخطيب والمدرس بالمسجد الحرام .

الشيخ أمين محمد علي مرداد

إمام وخطيب المسجد الحرام ونائب رئيس محكمة مكة .

الشيخ أسعد أحمد دهان

قاضي المحكمة الشرعية الكبرى بمكة وقاضى الطائف والمدرس بالمسجد الحرام

الشيخ أحمد أبو الخير عطار

صاحب التآليف الشهيرة فى الاسانيد

الشيخ عبدالرحمن حسن العجمي

قاضى محكمة الطائف والمدرس بالمسجد الحرام .

الشيخ عبدالله محمد الغازي

المدرس بالمسجد الحرام والمدرسة الصوليتيه ومؤرخ مكة المعروف

الشيخ عبدالستار الدهلوى الكتبى

المدرس بالمسجد الحرام وصاحب التآليف النافعة فى تاريخ علماء مكة المكرمة .

نكتفى بهذا القدر من الاسماء التى وردت فى هذه القائمة لقضاة مكة المكرمة

وعلمائها ومدرسي المسجد الحرام بها لنورد بعض الاسماء للرجال الذين تخرجوا

على يد الشيخ ثم قاموا بتأسيس المدارس فى الهند ونشر العلم بها .

الشيخ أحمد الدين جكوالي
مؤسس مدرسة مظهر العلوم بكراتشي
العلامة شرف الحق صديقي
المنابر المعروف وصاحب المؤلفات في الرد على النصارى
الشيخ ضياء الدين عبد الوهاب المدراسى
مدير مدرسة الباقيات الصالحات في ديلور بجنوب الهند .

الشيخ عبدالأول الجوتورى
صاحب المؤلفات النافعة والشهير بمصلح بنغال
الشيخ عبدالرحمن الآله ابادى
شيخ القراء بالهند
الشيخ محمد هاشم اشعري
مؤسس جمعية نهضة العلماء باندونيسيا
العلامة الشيخ محمد علي
مؤسسة مدرسة دار العلوم بالهند
الشيخ ابو الخير الفاروقى الهندى
المصلح والمربي الشهير ومن علماء الهند

ولقد كان كذلك بين تلاميذ الشيخ من قاموا بتأسيس المدارس في مكة المكرمة
ذاتها نذكر منهم الاسماء الآتية :

الشيخ عبد الخالق محمد حسين البتقالي
مؤسس مدرسة دار الفائزين بمكة المكرمة
الشيخ عبد الحق القارى
مؤسسة المدرسة الفخرية بمكة المكرمة
الشيخ محمد حسين الخياط

مؤسس المدرسة الخيرية بمكة المكرمة والمدرس بالمسجد الحرام

واود ان اذكر ان القائمة التى اوردھا السيد محمد مسعود سليم تضم واحدا وخمسين اسما من العلماء والقضاة والمدرسين بالمسجد الحرام ومن تسلم بعضهم المراتب العالية وقد اكتفينا منهم بالاسماء التى اوردناها للدلالة على عظيم فضل الشيخ رحمت الله وما صنع الله من البركة على يديه ومن اراد الاستزادة فله ان يرجع الى المقدمة التى كتبها السيد محمد مسعود سليم رحمه الله والتى اورد فيها القائمة كاملة لكتاب اظهار الحق والذى استقيناه من مقدماته جميع المعلومات الواردة فى هذه الترجمة وبالله التوفيق .

عودة الى المدرسة الصوليتية :

انتظمت الدراسة فى المدرسة الصوليتية فى بداية المحرم من سنة ١٢٩١ هـ (١) ولا تزال المدرسة قائمة برسالتها منذ اكثر من مائة واثنين عشرة عاما فى مكة المكرمة اخرجت المدرسة خلالها اجيالا من المتعلمين شغل الكثير منهم وظائف التدريس فى المدرسة نفسها وفى المسجد الحرام وفى مدارس مكة المكرمة ، كما تولى بعضهم مناصب القضاة فى مكة وجدة والطائف وغيرها من مدن المملكة ، وصدرت لبعضهم المؤلفات النافعة فى العلوم الشرعية خاصة ، فكانت هذه المدرسة منارة من منارات العلم فى البلد الحرام شع نورها الى اقطار كثيرة .

ولقد سبقت المدرسة الصوليتية جميع المدارس الاخرى فى الحجاز بعقود من السنين فمدارس الفلاح التى قامت النهضة التعليمية فى الحجاز على أكتافها تم تأسيسها فى عام ١٣٢٣ هـ بينما تم تأسيس المدرسة الصوليتية فى عام ١٢٩١ هـ واذا كانت مدارس الفلاح قد اخرجت الاجيال التى ساهمت فى نهضة البلاد من كافة جوانبها وشغل متخرجوها الاعمال الحكومية والتجارية والتعليمية بمختلف وجوهها فان المدرسة الصوليتية اخرجت الرجال المتخصصين فى العلوم الدينية من

١ - ٥٤ أكبر مجاهد فى التاريخ تأليف محمد سليم بن محمد مسعود .

اقاموا حلقات التدريس في المسجد الحرام خاصة وتولوا وظائف القضاء الشرعي ولهذا فانا نستطيع القول بأن المدرسة الصوليتية كانت مدرسة متخصصة في العلوم الدينية بينما كانت الفلاح مدارس عامة اخرجت المتعلمين في كافة المجالات .
وقد اورد السيد محمد سليم بن محمد مسعود اسماء مائة من المتخرجين في المدرسة الصوليتية بينهم خمسة عشر قاضيا اذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر .

الشيخ أحمد بن عبدالله القارى

القاضى بمكة وجدة وعضو هيئة رئاسة القضاء وعضو مجلس الشورى ومؤلف المجلة الشرعية الذى افردنا له ترجمة خاصة ضمن اعلام الحجاز .

الشيخ حسن سعيد اليماني

عضو هيئة رئاسة القضاة في مكة المكرمة ثم قاضي القضاة في مدينة سومطره ووالد معالى الشيخ أحمد زكي يمانى .

الشيخ يحيى امان

قاضى مكة المكرمة والمدرس في المسجد الحرام .

الشيخ محمد نور كتيبى

قاضى المدينة المنورة

الشيخ حامد القارى

قاضى الطائف

الشيخ سراج محمد نور ششه

قاضى تبوك

الشيخ بكر كمال

قاضى الطائف

الشيخ حسن محمد المشاط

عضو هيئة التمييز والمدرس في المدرسة الصوليتية

كما أن من بينهم ثمانية متخرجين قاموا بتأسيس المدارس الاسلامية في انحاء

مختلفة من اندونيسيا وغيرها من البلاد الاسلامية، والكثير منهم عمل في وظائف التدريس بالمسجد الحرام والمدرسة الصويبيه نفسها وغيرها من المدارس في مكة المكرمة .

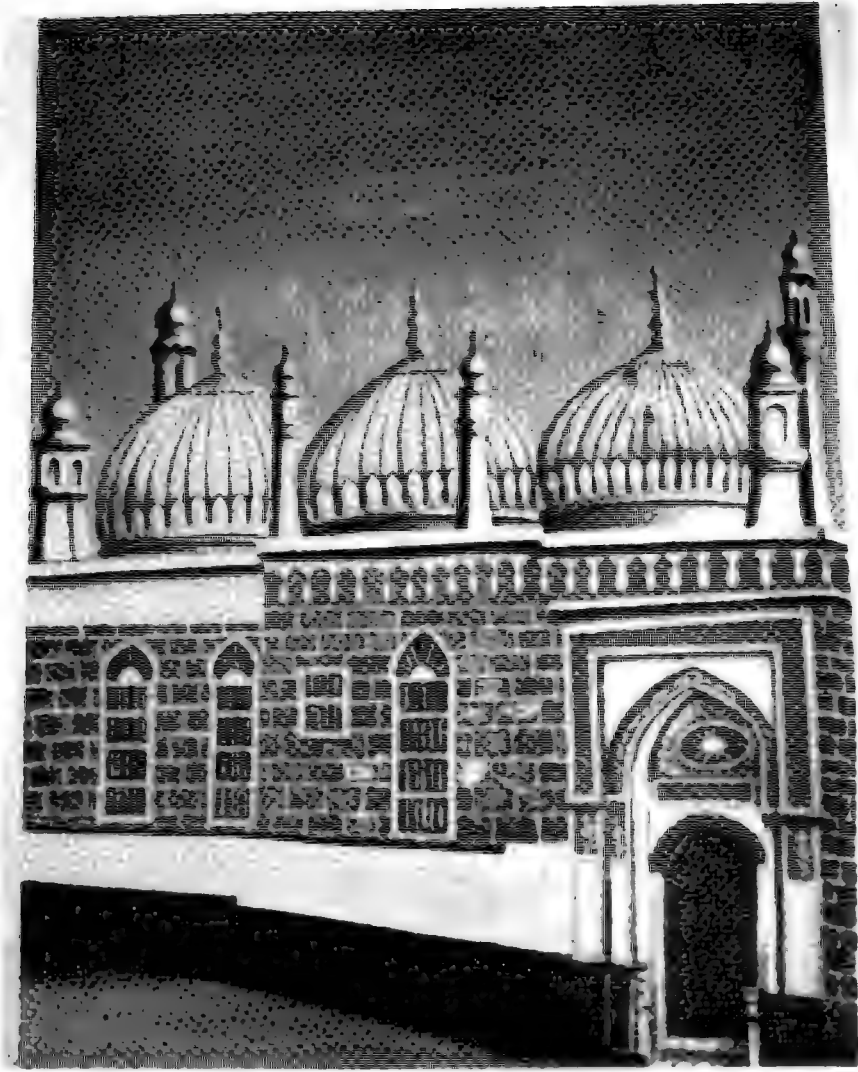
وهكذا يظهر لنا بوضوح المنحى التخصصى الذي اتجهت اليه المدرسة الصوليتية فاخرجت لمكة المكرمة وللبلاد الاسلامية هؤلاء الرجال الذين كانوا فى زمنهم مصابيح علم وهداية .

وهنا مسألة يجب التنبيه إليها وهى أن المدرسة وحتى الجامعة على عظم اهميتها ليست وحدها العامل الاساسي فى نبوغ وظهور المبرزين .

إن المدرسة تعطى الطالب الاساس الذي يبنى عليه علمه وهذا البناء يعتمد على الجهد الفردى للطالب وعلى طموحاته وتطلعاته واجتهاداته ، ولو كانت المدارس تخرج العباقرة والنوابغ لامتألت الدنيا بالعباقرة والنابعين ، ولظهر النقص فى الايدى العاملة والطبقات المعتادة ممن يقومون بمختلف الاعمال العادية فى دنيا الناس .

واود كذلك أن أشير الى أن الطريقة التى كانت تتم بها الدراسة فى الماضى وقبل افتتاح المدارس النظامية والتى كانت تعتمد اساسا على حلقات الدرس فى المسجد الحرام أو فى المسجد النبوى الشريف أو المساجد الاخرى لم يكن الطلاب يعتمدون فيها على استاذ واحد وانما يتنقلون بين حلقات المشايخ ليتلقوا عن كل واحد منهم علما تخصص فيه ، وقد تشدد علاقة الطالب باستاذة فيتلقى عنه بالملازمة الطويلة الكثير من العلم فتكون نسبته اليه هى الغالبة .

إن العصر الذى نتحدث عنه كانت تنفش فيه الامية ، وكان المتعلمون فيه هم الصفوة القليلة النادرة ، لهذا فان نظرنا الى هؤلاء الرجال الذين حاولوا تبديد ظلمات الجهالة فى تلك الازمان تتسم بالاكبار والتقدير ، لان علمهم كان جهادا حقيقيا فى نشر العلم ، ولما كانت نياتهم قد حسنت ونفوسهم قد صفت فان الله



منظر القباب الجميلة لمسجد الصوليتية على الطراز الاسلامى المغولى فى الهند بنيت على أيدي الصناع
الهنود فى عام ١٣٠٢هـ ، وفى هذا المسجد ظل قسم تحفيظ القرآن الكريم زهاء ٧٥ سنة متوالية .

تعالى قد اتاح لهم التغلب على المصاعب التى وقفت فى طريقهم ، وبارك لهم فى
جهودهم حتى بعد وفاتهم فلا تزال هذه المدارس مفتوحة الابواب تؤدى رسالتها
الطيبة فى نشر العلم بين الناس رغم اختلاف الاوقات وتطاول الزمن .
لقد رأينا أنه كان من أسباب تأسيس المدرسة الصوليتية بمكة اخراج علماء من

ابناء المهاجرين وخاصة من ابناء مسلمي الهند ليتعلموا القرآن الكريم وعلومه ،
والسنة النبوية الشريفة وعلومها ليعودوا الى بلادهم فينشروا هذا العلم بين الناس
في وسط طغت عليه في ذلك الزمان سطوة المبشرين الذين يعملون جاهدين لصرف
الناس عن الاسلام وادخالهم في المسيحية ، ولقد حققت المدرسة الصوليتية هذه
الغاية أو بعضا منها فرأينا بين متخرجيها من تلاميذ مؤسسها من قاموا بفتح
المدارس الاسلامية في بعض بلاد الهند واندونيسيا .

ولكن العمل الطيب كالعطري فوج ربحه اينما حل فلا ينشق شذاه حامله فحسب
وانما ينشق الناس من حوله هذا الشذى العاطر ، كما تمر بستان الورد فيحمل اليك
الهواء من حوله الطيب والشذى ، وهكذا كانت المدرسة الصوليتية نفحة عطرة في
رحاب البيت العتيق اخرجت لنا العلماء والقضاة والمدرسين ، وكانوا مصدر خير
وبركة لكل من تلقى العلم عنهم أو اتصلت اسبابه باسبابهم .
وهكذا يؤتى العمل الطيب أكله ثمرا جنيا طيبا بتوفيق الله وعونه .

مؤلفات الشيخ رحمت الله : -

أهم مؤلفات الشيخ رحمت الله هو كتاب اظهار الحق الذى سلف الحديث عنه
والذى افه بتكليف من السلطان العثماني عبدالعزيز خان وبإشارة من رئيس وزرائه
خير الدين باشا التونسي ، وكان قد سبقهما الى هذا الطلب شيخ علماء مكة السيد
أحمد زيني دحلان وقد تضمن هذا الكتاب الرد الوافي على مفتريات النصارى
ضد الاسلام ودحض مفترياتهم واثبات التحريف الذى وقع فى الانجيل ، وابطال
معتقداتهم فى التثليث وقد ترجم الكتاب الى لغات كثيرة واعيد طبعه مرات
عديدة وآخر طبعة له هى الطبعة التى قامت بنشرها ادارة الشؤون الدينية بدولة قطر
واشرف على طبعة فضيلة الشيخ عبدالله الانصارى مدير الشؤون الدينية هناك
وقام على تحقيقه الدكتور عمر الدسوقي وهى فى مجلدين كبيرين تزيد صفحاتها
عن الالف ومائتي صفحة وقد توج الكتاب بمقدمات اربع كتبها كل من الشيخ
عبدالله الانصارى والعلامة السيد ابوالحسن على الحسينى الندوى والسيد محمد

مسعود سليم رحمه الله مدير المدرسة الصولتية بمكة المكرمة والدكتور عمر الدسوقي استاذ الادب بجامعة القاهرة ومن هذه المقدمات استقيننا جميع المعلومات الخاصة بالشيخ رحمت الله والتي اوردناها في هذه الترجمة وقد صدر الكتاب في ١٦ من ذى الحجة سنة ١٤٠٠هـ.

وقد اورد السيد محمد مسعود سليم قائمة بمؤلفات الشيخ رحمت الله باللغات المختلفة نوردها فيما يلى :-

- ١ - ازالة الشكوك مجلدان باللغة الاوردية .
- ٢ - اعجاز عيسوى باللغة الاوردية .
- ٣ - البروق اللامة باللغة العربية .
- ٤ - تقليب المطاعن باللغة العربية .
- ٥ - معدل اعوجاج الميزان باللغة الاوردية .
- ٦ - ازالة الاوهام باللغة الفارسية .
- ٧ - احسن الاحاديث فى ابطال التثليث باللغة العربية .
- ٨ - البحث الشريف فى اثبات النسخ والتحريف باللغة العربية .
- ٩ - معيار الحق .

وقد طبعت هذه المؤلفات جميعها فى الهند وهى فى الرد على الديانة المسيحية ، وعاشر المؤلفات ومسك ختامها هو كتاب اظهار الحق الذى سبق الحديث عنه والذى يعتبر من أعظم المؤلفات فى بابها ، وقد اثنى عليه كثير من علماء المسلمين منهم السيد رشيد رضا صاحب المنار والشيخ عبدالرحمن الجزيري عضو لجنة هيئة كبار العلماء فى مصر كما استشهد به واشاد بها فيه كثير من علماء المسلمين فى الهند (١) .

والتأمل فى أعمال الشيخ رحمت الله وفى تاريخه يجد أن الرجل قد نذر نفسه أولا

١ - انظر صفحة ٩/٨ من كتاب اكبر مجاهد فى التاريخ .

لمحاربة دسائس المبشرين ودحض مفترياتهم على الاسلام ، واثبات التحريف في الكتب التي بين ايديهم ، وابطال عقيدة التثليث التي يؤمنون بها والتي تتنافى مع صفاء عقيدة التوحيد ، وبعد أن أستقر به المقام في مكة تفرغ للتدريس في المسجد الحرام ثم اختتم عمله الطيب احسن ختام بتأسيس المدرسة الصولتية في رحاب البيت العتيق .

ان الدين كله لله ، وإن الله تعالى ارسل رسله جميعا من عهد آدم برسالة واحدة في مختلف الازمان تقوم على توحيده جلّت ذاته وتقديست صفاته وعلى افراده بالالوهية ، وتنزهه عن الولادة والولد وتفرده بالعظمة الكاملة وامر عباده باخلاص العباداة له وحده وباتباع ما جاءت به رسله من شرائع تتعلق بعبادته جلّ جلاله ، وبتنظيم الامور بين الناس ليعمر هذا الكون وليعيش الناس في محبة وسلام ، ولكن بعض من ضلت عقولهم وفسدت عقائدهم من أهل الديانات السابقة حرفوا فيما أوحى به الله الى انبيائه ورسله ولم يكتفوا بهذا التحريف فأخذوا ينشرون ضلالاتهم بين المسلمين ، ونسوا انهم بهذا يحاربون الله تعالى في الألوهية الواحدة وفي تعاليمه السامية .

ولاتبزال هذه الضلالات تتخذ اشكالا شتى في عالم اليوم مما تفتق عنه أفكار شياطين الانس وتتستر تحت اسماء الشيوعية ، والحرية الفكرية والدعوات العنصرية الى جانب الحق الصليبي ، والخبث اليهودي الذي بدأ يتحول الى سرطان في عالمنا العربي .

ولن يستطيع المسلمون الوقوف في وجه هذه التيارات الكافرة الضالة المضلة الا بالرجوع الى عقيدتهم الصافية يهتدون بهديها ويحتمون بها ويدافعون عنها فيظفروا بنصر الله الذي وعدهم به والذي انزله على نبيه واوليائه في شتى العصور والازمان .

مرض الشيخ رحمت الله ووفاته

مرض الشيخ رحمت الله بعينه وعلم السلطان عبدالحميد خان بمرض الشيخ

فطلب حضوره الى القسطنطينية ليعالج تحت رعاية السلطان وسافر الى هناك ونصح الاطباء المختصون باجراء عملية ازالة الماء من العين وكانت العملية في ذلك الزمان من العمليات الخطيرة ولكن الشيخ رغب عن اجراء العملية وعاد الى مكة المكرمة ولكن المرض اشتد في عينيه فاجريت له العملية في مكة ولم تكلل بالنجاح واصبح الشيخ بعد ذلك عاجزاً عن القراءة فكان يملئ رسائله على حفيده الذى استقدمه من الهند ليكون تحت رعايته كما يقرأ له هذا الحفيد الرسائل الواردة ومايرغب الشيخ في الاطلاع عليه ، ولم ينجب الشيخ رحمت الله ذرية ولكنه ترك خلفه الكثير من الأبناء الروحانيين الذين نهلوا من موارد علمه وفضله .

وفي الثانى والعشرين من شهر رمضان من عام ١٣٠٨ للهجرة الموافق الاول من شهر مايو عام ١٨٩١ للميلاد لبي الشيخ رحمت الله نداء ربه فدفن في مكة المكرمة في مقبرة المعللة بعد حياة حافلة بالجهاد بالجنان والبيان في سبيل الدفاع عن العقيدة الاسلامية ونشرها بين الناس رحمه الله واحسن جزاءه في جنات الخلد .

هذا ولايزال احفاد الشيخ رحمت الله يقومون على هذا الصرح العلمي الذى اسسه جدهم الاكبر في مكة المكرمة يتبع الخلف منهم آثار السلف ويحفظون هذه الشعلة المضيئة في بلد الله الحرام فجزاهم الله خير الجزاء .

الشيخ محمد طاهر الكردي



الشيخ محمد طاهر الكردي

قصير القامة معتدل الجسم ، ناتئ الجبهة تشوب بياضه صفرة خفيفة ، تزين وجهه لحية سوداء حليق شعر العارضين في عينيه حول خفيف تستره نظارة للقراءة ، يرتدى الجبة الحجازية ويعتم بعمامة تستر الرأس والاذنين وهو بهذا يتخذ سيماء العلماء المكيين .

ولد بمكة المكرمة في عام ١٣٢١ للهجرة وتلقى تعليمه بمدرسه الفلاح بمكة وتخرج منها في عام ١٣٣٩ هـ وفي عام ١٣٤٠ هـ سافر بصحبة والده الشيخ عبدالقادر الكردي الى القاهرة حيث التحق بالازهر الشريف ويقول الشيخ طاهر في ترجمته التي كتبها عن نفسه فاشتغل هناك بالعلوم الدينية والعربية كما اشتغل بتعلم الخطوط العربية بانواعها وما يتعلق بها من الرسم والزخرفة والتذهيب بعد أن التحق بمدرسة تحسين الخطوط العربية الملكية ، ولما عاد من القاهرة اشتغل بتعليم الخط العربي بالمدارس ولذلك يعرف بالخطاط انتهى ماكتبه الشيخ طاهر عن نفسه نقلا عن كتابه التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم .

عرفت الشيخ طاهر الكردي في النصف الثاني من الخمسينات بمكة المكرمة ، وكان صديقا حميما لعمى الشيخ عبدالله مغربي رحمه الله وكنت اعرف انه اشتهر بجمال الخط ، وكان يحضر الى متجر عمي والى داره بصورة يومية تقريبا ، كما كان

يصاحبه الى الحج كل عام ، وكان مظهر الشيخ طاهر متمزنا متوقفا ولكنه اذا خلا
باصحابه تحول الى شخص آخر كثير الدعابة والمرح .
وكان الشيخ طاهر قد عاد من القاهرة بعد أن أكمل دراسته في الأزهر الشريف
ولكنه لم يعمل فقد كانت الاعمال شحيحة والوظائف محدودة والركود يسود الحالة
الاقتصادية .

مصحف مكة المكرمة

وفي أواخر الخمسينات أو أوائل الستينات حضر الشيخ محمد طاهر الكردي الى
مكتب المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان بالطائف وطلب مقابلة الشيخ محمد
سرور ليتحدث اليه في امر ما ، فطلبت منه الانتظار قليلا حتى حضر الشيخ فقدمته
اليه ، وقلت فيما قلته انه بارع في الخط براعة فائقة .

قال الشيخ طاهر للشيخ محمد سرور: انني عزمت علي كتابة القرآن الكريم
بخط يدي ، وأريد أن اقدم هذا المصحف اذا انتهيت منه الى جلالة الملك
عبدالعزیز .

قال الشيخ محمد سرور : إنها فكرة حسنة ولكن لي رأيا في الموضوع أقوله لك .
انك لو قدمت هذا المصحف المخطوط بعد اتمامه الى جلالة الملك عبدالعزیز
فسيكون له الوقع الحسن لدى جلالته وسيكافئك عليه مكافأة حسنة ، ولكن
الفكرة ان هذا المصحف سيبقى مخطوطا في خزانة الملك عبدالعزیز امدا طويلا ،
ولديك هنا شركة تأسست حديثا لتقوم بشئون الطباعة والنشر واثار الشيخ محمد
سرور الى كاتب هذه الترجمة ، فلماذا لا تتفق مع هذه الشركة على شراء هذا
المصحف الذي تنوى كتابته لتقوم هذه الشركة بطبعه ونشره بين الناس ؟ .

وأبديت موافقتي على الفكرة كما ابدى الشيخ طاهر رحمه الله ترحيبه بها وواعدته
الاجتماع في داري بعد الغروب .

وكنت انا والمرحوم الصديق عبدالله باحمدين قد اشترينا مطبعة الشركة العربية
للطبع والنشر وموجودات الشركة من الورق وما اليه بعد أن تعرضت للخسارة

شهورا عديدة، وبحث الموضوع مع المرحوم الشيخ عبدالله باحدين واتفق الرأي على أن كتابة المصحف ستكون بداية لعمل عظيم فهو اول مصحف يكتب في مكة المكرمة، ويطلع فيها وينشر منها، حيث نزل القرآن أول منازل في مهبط الوحي في مكة المكرمة.

وحضر الشيخ طاهر الي بعد الغروب وتم الاتفاق بيني وبينه على كتابة المصحف الشريف، وكان الاختلاف الوحيد بيننا هو أنه حدد المدة اللازمة لانتهاء كتابة المصحف في حدود عامين، وكنت انا متعجلا ارجب اتمام هذا العمل خلال عام واحد، ولما رأى الشيخ طاهر رحمه الله الحاحي قال لي إن هذا عمل بالغ الدقة، وإنني لا أستطيع الاقدام عليه الا وانا في حالة نفسية متهيئة له التهيأ الكامل ثم اردف قد ابدأ بالكتابة واستمر فيها اياما أو أسابيع ولكن قد يطرأ ما يمنعني عن الامساك بالقلم اياما واسابيع اخرى، فدعني اتصرف بما يمليه علي مزاجي ولا تنس ان الخط عمل فني، مثل الرسم، والشعر والكتابة، والفنان لا يقدم على ممارسة فنه الا اذا تهيأت له الاسباب النفسية اولا، وكنت اعرف انها يقوله الاستاذ طاهر صحيح كل الصحة فوافقت عليه.

هذا وقد طلب الشيخ طاهر ورقا معيناً واقلاما واجبارا معينة، وكان الزمن زمن حرب ولكن الله تعالى يسر الامر فوجدنا كل ما طلبه في مكة المكرمة. وبدأ العمل واتفقنا أن يكون المصحف موافقا للرسم العثماني، ومضت الشهور وكنت كلما رأيت الشيخ طاهر سألته ماذا فعل؟ فيجيب انه مستمر في عمله، وكان قد أحضر لي بعض الصفحات من أوائل ما كتب وأطلعني عليها، ثم عاد بعد أسابيع وأطلعني على نفس هذه الصفحات وقد كتبت مرة اخرى بخط أحسن وقال ان هذا هو الفارق بالنسبة لمزاج الخطاط حينما يكتب.

ولا أريد الاطالة على القارئ فقد انتهى الشيخ طاهر من كتابة القرآن الكريم بعدما يقرب من ثلاثة أعوام، وقبل الانتهاء كنا قد تقدمنا الى الحكومة نطلب تأليف لجنة لتصحيح المصحف الذي قام بكتابته الشيخ طاهر رحمه الله فألفت

الحكومة لجنة كبيرة مكونه من الشيخ عبدالظاهر ابوالسمح امام المسجد الحرام في ذلك الوقت والشيخ صالح حجازي شيخ القراء بمكة المكرمة، والمرحومين السيد محمد شطا والسيد ابراهيم النوري من وزارة المعارف، وقد باشرت اللجنة عملها، وللتاريخ فان الشخص الوحيد من بين اعضاء هذه اللجنة الذي تفرغ للمراجعة والتصحيح واعطى هذا العمل جهده وكامل اهتمامه هو المرحوم السيد ابراهيم النوري من وزارة المعارف، وحينما عرضنا عليه مكافأة مقابل هذا الجهد اعتذر عن قبولها فاعتبرناه مساهما في الشركة التي تألفت لهذا الغرض بنسبة معينة وقد الفنا شركة خاصة لطبع القرآن ونشره في مكة المكرمة اسميناها شركة مصحف مكة المكرمة واستوردنا لها مطبعة خاصة من امريكا ولا تزال الشركة تحمل هذا الاسم حتى اليوم.

اوشك العمل في كتابة المصحف على الانتهاء كما اوشك التصحيح ان ينتهي وذات يوم اتصل بي المرحوم الشيخ عبدالله باحمدين تلفونا وطلب مني الحضور الى مكة المكرمة حيث يجري عرض المصحف على صاحب السمو الملكي الامير فيصل النائب العام لجلالة الملك المعظم لاول مرة، وذهبنا لمقابلة سموه في قصره بالمعابدة في ظاهرمكة وتقدم السيد ابراهيم النوري رحمه الله بتقديم نسخة المصحف الى سمو الامير فيصل وكنا المرحوم عبدالله باحمدين وأنا نقف معه، وابدى سموه اعجابه وقال انه عمل عظيم، ثم اقترح سموه ان يعرض هذا المصحف على جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز وقال: انني سأتحدث الى رئيس الحرس الملكي واظن ان اسمه كان ابراهيم جودت ليدخلكم على جلالة الملك عبدالعزيز.

عدت الى جدة وبعد عدة ايام ابلغني المرحوم الشيخ عبدالله باحمدين انهم دعوا على عجل للحضور الى القصر وانهم عرضوا المصحف على جلالة الملك عبدالعزيز فسر جلالاته به كثيرا، واثني على القائمين بالامر، ونفع كلا منهم مبلغا من المال تعبيرا عن تقدير جلالاته واعجابه.

كانت الحرب العالمية الثانية تقترب من نهايتها، وكنت مضطرا لظروف صحية عائلية أن اسافر الى مصر وابقى بها بضعة شهور، وكنت حريصا أن أصطحب المصحف معي لعمل اكليشيات له من النحاس والزنك توطئة لطبعه، ولم يكن عمل الاكليشيات متوفرا في البلاد في ذلك الزمان، وضعت المسودة المخطوطة للمصحف في حقيبة خاصة حملتها معي الى مصر، وكان لابد من أخذ رخصة من الأزهر الشريف بطبع المصحف ليكون معتمدا في جميع البلاد الاسلامية في ذلك الوقت.

اتصلت في مصر بصديقنا الاستاذ صادق سعيد بازرة واسرته من كبار التجار الحضارمة الذين اقاموا السنوات الطوال في مصر واصبحوا مصريين بحكم الإقامة الطويلة لأبائهم وبحكم الميلاد لهم ولابنائهم وكانت الاسرة تعمل في تجارة الصابون البنّ والبهارات التي يستوردونها من فلسطين وعدن وافريقيا والهند وكانت لهم وكالة كبيرة في الجمالية كما كانوا يتمتعون بسمعة عالية في الوسط التجارى في مصر. قال صديقنا الاستاذ صادق بازرة هذه المسألة لا يصلح لها الا السيد محمد عرفة شيخ المسجد الحسيني، كان ذلك في رمضان وجامع سيدنا الحسين قريب من وكالة بازرة فذهبنا وادينا صلاة العصر وشرحنا الموضوع للسيد محمد عرفة، وكان يحضر للحج وكنت اراه في مكة المكرمة، وهو رجل يجمع بين وقار العلم وحدة الذكاء وكانت صلواته بطبقات المجتمع المختلفة قوية وممتينة، فتجد في غرفته الملحقة بالجامع الحسيني العلية من الناس من الباشوات والبكوات الى عامة الناس واوساطهم، استدعى السيد محمد عرفة ابنه وكان موظفا بوزارة الاوقاف وقال له اريدك ان تحضر لي غدا الشيخ محمد علي الضباع شيخ المقارئ المصرية ليصلي العصر هنا، والتفت الي قائلا وستصلي العصر معنا هنا يا حاج. فشكرته واجتمعنا في صلاة العصر في اليوم الثاني، الشيخ الضباع وأنا وصادق سعيد بازرة، واخبر السيد عرفة الشيخ الضباع بالغرض الذي دعاه من أجله، واوصاه بنا خيرا، واتفقنا مع الشيخ الضباع على الاجر الخاص بالتصحيح كما جرى

الاتفاق مع المصنع الذى يعمل الاكليشيات حيث ترسل الصفحات التى يتم تصحيحها من الشيخ الضباع الى المصنع فاذا تم عمل الزنكات طبعت عليها نماذج وارسلت للشيخ مرة اخرى ليعيد تصحيحها، وتستمر هذه العملية الى أن يتم عليها التصحيح النهائى للمصحف مع اتمام صنع الاكليشيات، ثم تصدر الرخصة من مشيخة المقارئ المصرية بالطبع . مكثت بضعة شهور فى مصر وأنا اتردد اسبوعيا وبعض الاحيان فى كل ثلاثة ايام على الشيخ الضباع فى بيته بالجيزة وعلى المصنع الذى يصنع الاكليشيات فى شارع عبدالعزيز وكان صاحب المصنع ارمينيا شهيرا بصناعة الحفر وقد جعلنا الاكليشيات بحجمين احدهما المقاس المتوسط العادي والثانى المقاس الصغير وتم التصحيح النهائى أخيرا بعد أن كادت اطارات السيارة الصغيرة الهيلمان التى تقلني الى الجيزة وتعيديني منها كادت اطاراتها تذوب من كثرة الغدو والرواح، وكانت السيارات كما كانت الاطارات عزيزه فى ايام الحرب العالمية الثانية وغالية الاثمان. انتهت الاكليشيات وبدأت أفكر فى الطريقة التى يمكن بها تصديرها من القاهرة الى الحجاز وكانت القيود على التصدير بالغة الشدة وادركت اني لو اتبعت الطرق المعتادة لتعبت بالغ التعب دون نتائج مفيدة. وفى ذلك الوقت بالذات وصل جلاله المغفور له الملك عبدالعزيز فى زيارته الرسمية الى مصر وكان بصحبته معالى الشيخ عبدالله السليمان وزير المالية الاسبق، وكذلك المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان ورأيت أن الله تعالى قد هيا الأسباب بهذه الزيارة الملكية لتصدير اكليشيات المصحف دون عناء شرحت الامر لمعالى الشيخ محمد سرور رحمه الله فقال لي أكتب ماتريد من الكتب بالتوصية على هذا الامر وهاتها لتوقيعها، كان الشيخ محمد سرور الصبان تربطه صلة صداقة عظيمة بالسياسى المصرى المعروف ابراهيم عبد الهادى باشا وكان وزيرا من ابرز وزراء الوفد فى ذلك العهد، وكتبت الكتاب المطلوب لابراهيم باشا بلسان الشيخ محمد سرور اشرح له الوضعية، كما كتبت كتابا آخر بنفس المعنى الى مكرم عبيد باشا وزير المالية، وكان هو الوزير المختص الذى تتبعه الجمارك والتراخيص الخاصة

بالتصدير، وذهبت أولا الى ابراهيم عبدالهادى باشا واخذ سكرتيره الرسالة ودخل بها الى الوزير.

وعاد ليتصل امامي تلفونيا بسكرتير وزير المالية وكان اسمه الاستاذ حسن الاعور ويوصيه بلسان الباشا بالاهتمام بالامر، وقابلت الاستاذ حسن الاعور في وزارة المالية وسلمته كتاب الشيخ محمد سرور، فعاد ليتصل امامي بصندوق النقد الذي كان يقع في ميدان الاوبرا ويبلغهم توصية مكرم باشا وزير المالية بعمل كل التسهيلات لتصدير الاكلشيهات الخاصة بالقرآن الكريم.

حصلت على الترخيص المطلوب في مدى ثلاثة ايام ولولم يهين الله الاسباب بزيارة المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز وحضور معالى الشيخ محمد سرور لرعاها استغرق الحصول على الترخيص الشهور الطوال.

انه القرآن الكريم، وانه تيسير الله تعالى للقائمين على نشره بين الناس، وحينما كنت افكر في اجراءات التصدير خطر لي أن اختصر الوقت وضعت الاكلشيهات في حقيبة خاصة وارسلت هذه الحقيبة ضمن حقائب الشيخ محمد سرور الذى كان من القائمين على ترتيب شئون الرحلة الملكية الى مصر، ووصلت الحقيبة الى مكة بسلام واصبحت الاكلشيهات جاهزة للطبع، وكان المرحوم عبدالله باحمدين قد سافر الى امريكا وتعاقد لشركة المصحف على شراء المطبعة الاولى التى سيطبع عليها القرآن الكريم في مكة المكرمة.

ووصلت المطبعة، وحدث ان السيد ابراهيم النورى رحمه الله احيل الى المعاش بناء على طلبه فوجدنا انه اصلح الناس للقيام على ادارة شركة مصحف مكة المكرمة وهو الذى بذل جهدا مشكورا في تصحيح النسخة الخطية التى كتبها الشيخ طاهر كرى.

وهكذا سلمت مقاليد الشركة الى السيد ابراهيم النورى رحمه الله بعد أن تم تأسيس الشركة بصورة قانونية، وكانت باكورة اعمالها طبع القرآن الكريم ونشره لأول مره في مكة المكرمة بعد أن تمت كتابته فيها، وهذه السابقة التاريخية العظيمة

هى التى اختص بها الله الشيخ محمد طاهر الكردى لانه كان الخطاط الذى كتب القرآن الكريم فى مكة المكرمة وهى الله تعالى لهذه النسخة التى كتبها أن تطبع فى مكة المكرمة وتنشر منها لا فى مكة وحدها ولا فى المملكة العربية السعودية فحسب، وانما فى سائر بلاد الاسلام، فمصحف مكة المكرمة اصبح يطلب فى جميع البلاد الاسلامية من اندونيسيا وباكستان والشرق الأقصى كله، الى افريقيا كلها.

إن الشيخ طاهر كردى رجل محظوظ فالمصاحف التى كتبت فى مكة المكرمة كثيرة وبعضها محفوظ فى مكتبات مكة المكرمة والمدينة المنورة، وكثير منها اجهل خطأ من المصحف الذى كتبه الشيخ طاهر الكردى ولكن الله تعالى اذا اراد أمرا هيا له الاسباب . . وقد هيا الله للمصحف الذى خطه الشيخ طاهر الكردى اسباب الذبوع والانتشار فتأسست له شركة خاصة قام اصحابها على اعداده للنشر واتخذوا الاسباب الكفيلة بهذا النشر حتى تم لهم الامر بعد الجهد والنصب .

ولقد مضى على تأسيس شركة مصحف مكة المكرمة مايقرب من اربعين عاما وهى توالى نشر الكتاب الكريم من مكة المكرمة وتستورد له المطابع الواحدة تلو

الآخرى مسائرة تطور الطباعة فى العصر الحديث، ولعلي لا اذيع سرا حينما اذكر ان شركة مصحف مكة المكرمة، لم تكتف بالمصحف الذى كتبه الشيخ طاهر الكردى وانما عمدت الى طبع مصاحف اخرى بخط اجهل كثيرا من خط الشيخ طاهر رحمه

الله، كما استكتبت خطاطا شهيرا بجمال الخط واتقانه لكتابة مصحف لها، ولكن المصحف الذى كتبه الشيخ طاهر لا يزال يحتل مكانه فى قلوب الناس، ويكفي ان نذكر ان شركة مصحف مكة قد قامت بطبع كمية من المصحف الذى كتبه الشيخ طاهر فى حجم كبير جدا وجلدته تجليدا فاخرا وكانت هذه الطبعة ولا تزال تقدم

هدية لجميع الملوك والرؤساء وكبار الزوار المسلمين القادمين الى المملكة كما انه يقدم من ضمن الهدايا الممتازة لكبار المسئولين السعوديين فى زيارتهم للبلاد الاسلامية .

طاهر كردى الخطاط

ومادنا بصدد الحديث عن حسن كتابة الشيخ طاهر الكردى وجودة خطه فلا بد أن نتحدث عن جانب آخر من جوانب شخصيته الكثيرة الجوانب فالرجل كان ممن تلقوا تعليمهم فى الأزهر الشريف، ثم التحق بمدرسة تحسين الخطوط العربية الملكية وتعلمذ على كبار الخطاطين فيها، حتى اتقن الخط بأنواعه المختلفة وحينما

عاد الى المملكة كان مدرسا للخط بمدارسها، بل الاستاذ الاول للخط فيها، وله كراريس مطبوعة كما يظهر ذلك من ثبت مؤلفاته التي كانت توزع على التلاميذ من ضمن الكتب المدرسية لينسجوا على منوالها في تعلمهم لفن الخط، ولقد بلغ

من اتقان الشيخ طاهر لفنون الخط انه كان يكتب بعض قصار السور مثل سورة الاخلاص على حبة من الارز وقد اهداني بعض هذه الحبات من الارز المكتوب عليها بعض قصار السور، وقد فقدت ضمن مافقد من اوراقى ولكن صديقنا

الشيخ محمد نور جمجوم رجل الاعمال المعروف لا يزال يحتفظ بحبة من الارز بكتابة طاهر الكردى رحمه الله وقد اطلعني عليها في هذه الايام ولعل عمرها يزيد عن الاربعين عاما.

وللشيخ طاهر رحمه الله لوحات فنية من كتاباته ولحسن الحظ انه صورها في كتابه الكبير التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، والذي ستحدث عنه بعد واكتفى

هنا بذكر مانشر من مؤلفاته في فن الخط نقلا عن ثبت مؤلفاته المنشورة في كتابه ادبيات الشاى والقهوة والدخان :-

١ - تاريخ الخط العربي وآدابه .

٢ - الهندسة المدرسية - ويقول الشيخ طاهر أنه كان مقررا في مدارس المملكة .

- ٣ - رسالة في الدفاع عن الكتابة العربية في الحروف والحركات .
 - ٤ - كراسة الحرمين في تعليم خط الرقعة - سبعة أجزاء .
 - ٥ - حسن الدعابة فيما ورد في الخط وادوات الكتابة .
 - ٦ - مجموعة الحرمين في تعليم خط النسخ - جزء واحد .
 - ٧ - لوحة فنية جميلة فيها صور الكعبة المشرفة لاشهر بناياتها .
 - ٨ - لوحات في الخطوط العربية .
 - ٩ - نفحة الحرمين في تعليم خطي النسخ والثلث .
- واذا تأملنا في اسماء هذه المؤلفات وجدنا أن الرجل عالم خط اذا صح هذا التعبير .

الخطاطون الذين ادركتهم

وعلى ذكر الخط اود أن اذكر أن الناس في الحجاز في النصف الاول من القرن الهجرى الرابع عشر وبعد خروج الاجيال الاولى من المتعلمين في مدارس مكة المكرمة وجدة والمدينة كانوا يهتمون بالخط واثقانه وذلك قبل ظهور الآلات الكاتبة العربية، وكان لهذا الخط اساتذته الذين يتقنون انواعه واذكر ان المرحوم الشيخ حمزة عجاج وهو من متخرجى الفلاح كان يحضر الى مدرسة الفلاح بجدة ويعلمنا الخط في السنة الثانية الابتدائية في اوائل الاربعينات ولم يكن موظفا بالمدرسة وانما كان يعمل في احدى الدوائر الحكومية او البيوت التجارية ولعله كان يؤدى هذه الخدمة لمدرسة الفلاح دون مقابل نظرا لصلة الصهارة التى تربطه بآل مجوم وكلاء مدارس الفلاح فى ذلك الزمان، وماذاك الا لما كان يمتاز به من حسن الخط واثقانه .

كما اذكر ان الاستاذ ابراهيم توفيق كاتب عدل جدة الأسبق يرحمه الله كان من أجمل تلاميذ مدرسة الفلاح خطا وقد احتاجت المدرسة اليه فلم يكمل دراسته وتحول من تلميذ بالمدرسة الى استاذ يعلم التلاميذ الخط، بعدما كان يقتعد مكانه بينهم تلميذا من التلاميذ .

أهل مكة يرسلون اولادهم الى الخطاط

وكان معروفًا أن أهل مكة المكرمة يرسلون اولادهم الى الخطاط لتعلم الخط واتقانه وذلك جنبًا الى جنب مع تعليمهم القرآن الكريم ومبادئ العلوم ، وكانت مكاتب الخطاطين في باب السلام قبل ادخاله في توسعة المسجد الحرام في العهد السعودي حيث كان باب السلام مركزا للكتابة وياعة الكتب وكان بعض الخطاطين يجلسون كذلك في المسجد الحرام لهذه الغاية .

الشيخ سليمان الغزاوي وتاج الغزاوي

وكان الشيخ سليمان الغزاوي رحمه الله اشهر خطاط في الحجاز كله وقد ادركته في الاربعينات حينما انتقل هو وأخوه الشيخ تاج الغزاوي الى جدة خلال الحرب السعودية الهاشمية باسرتيهما ، وكان الشيخ سليمان رجلا اشيب رقيق البدن ولكنه كان في هذه السن يحتفظ باجادته بل وبابداعه في الخط ، وكان باب البنط في جدة وباب مكة قد حليا بآيات قرآنية مكتوبة بخط الشيخ سليمان الغزاوي يرحمه الله ولازلت اذكر الآية الكريمة التي تقابل القادم الى جدة من البحر والداخل من الباب الوحيد الى المدينة وهو باب البنط « ادخلوها بسلام آمين » وتحتها توقيع بخط واضح ، وهي من أجمل ما رأيت من الخطوط ، ولقد اشتغل الشيخ سليمان الغزاوي بتعليم الخط في مدرسة الفلاح بمكة وحين انتقل الى جدة كما اسلفنا كان كذلك يعلم تلاميذ الفلاح بها ، ولقد كان من نصيبي أن أكون تلميذا لآخيه الشيخ تاج غزاوي الذي كان كذلك معلما للخط في مدارس الفلاح بمكة وحينما حضر الى جدة باشر بتعليم الخط فيها ، ويبدو ان الشيخ سليمان اختص بتعليم الصفوف العليا في المدرسة واختص الشيخ تاج بالصفوف الاولى فيها . رحمهما الله جميعا .

الشيخ عبدالله متبولي

واذكر من الخطاطين الجيدين في مدينة جدة المرحوم الشيخ عبدالله متبولي إوالد الاستاذ عبدالمجيد متبولي من اوائل طلبة البعثات السعودية من مدينة جدة، وكان الشيخ عبدالله متبولي يعمل كاتباً لدى آل أجير وكانوا من أكبر تجار مدينة جدة في اوائل الأربعينات وكان جارا لدكاكين والدي وأعمامي في منطقة باب مكة حيث لا يزال بيت المتبولي علماً لفن البناء القديم في تلك المنطقة يزورها الاجانب ويصورونه، وكان الشيخ عبدالله متبولي بحكم هذا الجوار يعلمني وأخي الخط وكان شديداً يخافه تلاميذه، وكان التجار بصورة خاصة يحرصون على أن تكون دفاتر حساباتهم ورسائلهم التجارية مكتوبة بخط جميل للغاية فكان الناس يحرصون على اتقان الخط وتجويده.

الدوائر الحكومية

وكانت الدوائر الحكومية تهتم باسناد تحرير رسائلها الى كتاب اشتهروا بجودة الخط وجماله وكان في كل دائرة قسم يدعى - قلم التحرير - واذكر ان قائممقامية جدة كان يدير قلم التحرير فيها المرحوم الشيخ على طه رضوان - الذي اصبح فيما بعد مساعدا لقائم مقام جدة - والشيخ محمود ابار الذي انتقل من قائم مقامية جدة الى ديوان النيابة العامة بمكة المكرمة، كما كان في قلم تحرير مالية جدة المرحوم الشيخ حسن ابوالعز وهو كذلك من اصحاب الخطوط الجميلة وهكذا فان الدوائر الحكومية كانت تعتبر الرسائل التي تصدر عنها هي الوجه المعبر الذي يجب ان يتصف بالجودة والاتقان.

أدوات الكتابة

ولم تكن اقلام الحبر السائل والناشف قد وصلت الى البلاد فكان الناس

يعتمدون على اقلام البوص وَيَبْرُون هذه الاقلام بحيث تصبح للقلم سِنَّة صغيرة مفسوخة وكلما كان القلم حسن البراية والخبر جيدا كلما ساعد هذا على اتقان الكتابة وحسنها، اما الاحبار فكانت ترد في شكل مسحوق اسود ويحل هذا المسحوق بالماء ويوضع فيه خرقة من القماش الخفيف تسمى الزِيَّة، حتى اذا غمس القلم في الدواة لم يخرج به من الخبر ما يلوث الورق أو يد الكاتب.

الخبر نيشان الكاتب

وعلى أى حال فقد كان وجود الخبر في ثياب الكاتب أو آثاره في يده لا تعتبر عيبا وكان هناك مثل متداول يقول - الخبر نيشان الكاتب .

التراب هو النشاف

ولما كان الخبر سائلا فانهم كانوا يستعملون في تجفيفه التراب ويضعونه في علبة صغيرة فيها خروق كثيرة بحيث يخرج منها هذا التراب الذي يجفف الخبر ولا يفسد جمال الخط .

وكانوا يتفنون في اقتناء اصناف ادوات الكتابه وخاصه الدواة والاقلام ، وبعض هذه الدوايات - مفرد دواة - كان من البلور الخالص الجميل . وبظهور الآلات الكاتبة واقلام الخبر الناشفة والسائلة انتهى عهد اتقان الخطوط وتحسينها بل وانتهى عهد اتقان الأملاء لان مراقبة الخط كانت تتبع مراقبة الكتابة نفسها وسلامتها من الاخطاء الاملائية .

تاريخ الخط العربي وآدابه

وستحدث هنا قليلا عن كتابه تاريخ الخط العربي وآدابه وهو أهم مؤلفات الشيخ طاهر الكردي في فن الخط وقد طبع الطبعة الاولى في شهر محرم من سنة سبع وخمسين وثلاثمائة و ف ، ثم اعادت الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون طبعه مرة أخرى في هذا العام ١٤٠٢ هـ وحسنا فعلت فان الكتاب يكاد ان يكون

موسوعة عن الخط العربي وكلما يتعلق به .

تحدث فيه المؤلف عن نشأة الخط وتطوره مدعماً ذلك بالصور والمراجع التي استقى منها المعلومات التي توصل إليها، ومن أطرف ما أورده المؤلف في هذا الشأن أن التعبير بالكتابة بدأ بطريقة التصوير قبل الكتابة بالحروف المعروفة وكانت الكتابة الصورية تقوم على الرمز ويقول المؤلف في شرح ذلك، ومثال الكتابة الصورية أنك إذا أردت تدوين واقعة حرب مثلاً فترسم أرضاً ذات أغراس وإلى جانبها صور النقود وما أشبه ذلك وهذا ما جرى عليه أكثر الأمم التي كانت قديماً في مصر وأشور وغيرها، ولما اتسعت عمارتهم اصطلاحوا على بعض الرسوم للدلالة على معان كلية ليس لها صورة في الخارج .

وقد أثبت المؤلف صور هذه الرسومات التي اصطلاح عليها (١) وقد تحدث المؤلف عن الخطوط في اللغات الهندية وما تفرع عنها من الخط الآرامي والسسكريتي والسرياني كما تحدث عن الخط الهير وغلوفي موضحاً كلما يكتبه في هذا المجال بصور لهذه الخطوط وترجمة للحروف والكلمات إلى اللغة العربية . كما تحدث عن الخط الآشوري والكلداني وأول المكتشفين لهذه الخطوط وأثبت صوراً للصخور التي تحمل هذه الخطوط من المسند الآرامي وأنواع الخطوط المختلفة .

كما وضع سلسلة تبين تطور الخط العربي من بدء ظهوره حتى وصوله إلينا بشكله الحاضر وهو يبدأ كالآتي :-

الخط المصري - الفينيقي - الآرامي - المسند - الصفوي - الثمودي - اللحياني - الحميري - الكندي - النبطي - الحيري - الأنباري - الحجازي - (٢) .

ثم يتحدث المؤلف عن اللغات التي تكتب في الوقت الحاضر بالخط العربي

١ - انظر صفحة ٣٠ تاريخ الخط العربي وآدابه .

٢ - انظر صفحة ٤٨ تاريخ الخط العربي وآدابه .

وقد عددا اثنتي عشرة لغة تدرج كلها تحت اسم اللغات التركية وسبع لغات تدرج تحت اسم اللغات الهندية واربع لغات تدرج تحت اسم اللغات الفارسية ، وسبع لغات تدرج تحت اسم اللغات الافريقية .

ولاشك أن بعض هذه اللغات التي أشار اليها المؤلف وخاصة في تركيا الحديثة قد غيروا كتابتهم الى الحروف اللاتينية منذ عهد مصطفى كمال بعد انتهاء دولة الخلافة العثمانية في اعقاب الحرب العالمية الأولى واعلان الجمهورية التركية الأولى ولكن يبقى بعد ذلك ان عدد من يكتبون بالحروف العربية في العالم كبيراً .

وقد قدر المؤلف في كتابه المطبوع قبل مايقرب من نصف قرن عدد من يكتبون من غير العرب بالحروف العربية باكثر من مائتين وخمسين مليوناً من البشر فليت شعري ما هو مقدار من يكتبون بها في الوقت الحاضر من العرب وغيرهم ، ان التعداد يصل فيما أظن الى خمسمائة مليون من البشر .

ثم تحدث المؤلف عن كتابة الرسائل في عهد النبي صلوات الله وسلامه عليه واورد اسماء كتابه ونقش خاتمه الذي كانت تختم به رسائله كما تحدث بمثل ذلك عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من خلفاء المسلمين ، وتحدث كذلك عن المشهورين من الخطاطين في أيام الامويين والعباسيين ثم تحدث عن بدء ظهور التشكيل في الخط وتطوره ، كما تحدث عن المواد التي كانت تستعمل في الكتابه من الجلد والقراطيس وانواع الاقلام واسماؤها ، وانواع الخطوط المعروفة من النسخ والرقعة والثلث الكوفي والديواني وما الى ذلك ، واثبت نماذج جميلة لكل هذه الخطوط بعضها بقلم المؤلف والكثير منها بقلم الخطاطين المشهورين الذين ينسب اليهم هذا الفن .

ثم تحدث المؤلف عن اشتهر بالكتابة على الحبوب والبيض ولقد ذكرت ان الشيخ طاهر الكردي كان ممن يتقن الكتابة على الحبوب في صدر هذا البحث ، ثم تحدث عن الآثار والكتابات التي عليها والنقود والعملات التي ظهرت في عهود الخلفاء الراشدين وماتلاهم واورد صوراً فوتوغرافية للنقود في عهد الخلفاء الراشدين وعهد صلاح الدين وعهد هارون الرشيد وفي عهد الدولة الفاطمية ، كما

أورد جداول باسماء الخطاطين المشهورين مرتبة على الحروف الهجائية .

ومن امتع فصول الكتاب الفصل الخاص بتراجم السلاطين الخطاطين وقد ذكر من بينهم الخليفة المستظهر بالله والخليفة المسترشد بالله وهما من خلفاء الدولة العباسية ثم سلاطين آل عثمان ثم سلاطين المسلمين الآخرين في شتى بقاع العالم الاسلامي ، وأردف ذلك بتراجم الوزراء والباشوات من الخطاطين ثم بتراجم العلماء الخطاطين .

ثم تحدث عن النساء اللواتي اشتهرن بجودة الخط واتقانه . وذكر فيما ذكره أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب تعلمت الكتابة من الشفاء بنت عبد الله العدوية التي تعلمت الكتابة من معاوية ويزيد ابنا ابي سفيان رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

كما اورد المؤلف تراجم للخطاطين القدماء والمحدثين وسجلا باسمائهم والكتاب مزين بكثير من لوحات الخطوط الجميلة للخطاطين المختلفين وهو يقع في أكثر من خمسمائة وخمسين صفحة وتزيد تعداد اللوحات والصور المثبتة فيه على مائة وخمسين لوحة وصورة .

انه ليس كتابا عن الخط العربي وآدابه ولكنه يكاد ان يكون موسوعة تختص بالخط والكتابة ومايتفرع عنها وهو عمل عظيم جاء نتيجة لجهود متواصلة وابحاث تتصف بالدأب والمثابرة وهو مرجع من أهم المراجع في هذا الفن العظيم .

طاهر كردى المؤلف

نعود بعد الاستطراد الطويل عن الخط الذى جرننا اليه الشيخ طاهر الكردي الخطاط لتحدث عن جانب آخر من جوانب شخصيته المتعددة الجوانب فلقد كان الرجل مؤلفا مكثرا وقد اثبت في كتابه ادبيات الشاى والقهوة اسماء اثنين وعشرين كتابا مطبوعا عدا الكتب المخطوطة واهمها التفسير المكي وهو في اربع مجلدات وغيرها مما لم يذكر شيئا عنه ، وقد اوردنا اسماء مؤلفاته الخاصة بالخط ونثبت هنا

أسماء المؤلفات الأخرى التى وردت فى هذا الثبت وهى المؤلفات المطبوعة :

- ١ - تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه .
- ٢ - ارشاد الزمرة لمناسك الحج والعمرة .
- ٣ - مقام ابراهيم عليه السلام .
- ٤ - منظومة فى صفة أشهر بنايات الكعبة المشرفة .
- ٥ - تحفة العباد فى حقوق الزوجين والوالد والأولاد .
- ٦ - دعاء عرفه .
- ٧ - تعليق مختصر على تاريخ مكة للقطبي .
- ٨ - صورة حجر مقام ابراهيم عليه السلام .
- ٩ - التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم .
- ١٠ - النسب الطاهر الشريف .
- ١١ - الأدعية المختارة .
- ١٢ - تترك الصحابة بآثار رسول الله ﷺ .
- ١٣ - أدبيات الشاهي والقهوة والدخان .

ولقد ذكر الشيخ طاهر أن مؤلفاته تبلغ اثنين وأربعين مؤلفا طبع نصفها تقريبا ونستطيع أن نقسم هذه المؤلفات حسب أسمائها إلى الأقسام الآتية :-

- أ - كتب تاريخية وهى الصفة الغالبة على المؤلف .
- ب - كتب دينية .
- ج - كتب فنية وهى التى تتعلق بالخط وفنونه .
- د - كتب ادبية طريفة .

ولقد تحدثنا عن الخط وما يتعلق به بما يكفي للتعريف بشخصية الشيخ طاهر رحمه الله فى هذه الناحية .

طاهر كردى المؤرخ

ونتحدث الآن عن طاهر كردى المؤرخ فان المستعرض لاسماء كتبه يجد أن المؤلفات التاريخية هي الصفة الغالبة على الرجل ، ولعل تعمقه في هذه الناحية هو الذى ساعده على تأليف الكتب الدينية وطالما أن أهم كتبه الدينية وهو التفسير المكي لم يظهر الى النور بعد فان الحديث عن هذه الناحية من شخصية المؤلف لا يعتبر كاملا وحسبنا الاشارة اليها .

لقد تفضل الصديق أحمد مجاهد فبعث الى الأربعة اجزاء التى ظهرت على نفقته من أهم كتب الشيخ طاهر التاريخية وهو كتابه المسمى .

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم

والكتاب موسوعة ضخمة عن مكة المكرمة وهو في اربعة اجزاء كل جزء يزيد عن الثلاثمائة صفحة من القطع الكبير الذى يساوى ضعف حجم الكتب الكبيرة المعتادة ، وهو يحتوى على صور كثيرة كما تتسم المعلومات التى اوردها المؤلف عن كل المواضيع التى عاجلها بالشمول والاحاطة مستعينا في ذلك بما ورد في مؤلفات المؤرخين السابقين الذين ذكر اسماءهم وتراجهم وتحديث عنهم ومدعما مايصل اليه من اراء بالكتب الكثيرة التى رجع اليها والتى ذكر اسماءها ومواضع الاستشهاد منها .

وأهم من هذا وذاك أن المؤلف أتيح له مالم يتح لغيره من المؤلفين فلقد عاصر الاصلاح الذى تم للكعبة المعظمة في عام ١٣٧٧هـ كما عاصر التوسعة العظيمة للمسجد الحرام في العهد السعودى والتى بدأت في عام ١٣٧٥هـ ولم يكن المؤلف معاصرا لهذه الأحداث التاريخية فحسب فما أكثر من عاصرها وانما كان عضوا في اللجان الرسمية التى تألفت لهذه الاصلاحات وذلك لسابق اهتمامه بالمباحث التاريخية المتعلقة بالمسجد الحرام فلقد ألّف قبل هذه الأحداث كتابا عن تاريخ

مقام ابراهيم عليه السلام وحصل على اذن بفتح مقام ابراهيم ليطلع بنفسه على المقام من الداخل والى رسالة وافية فى صفة المقام وذريته واقوال المؤرخين عنه وموضعه وكلما يتعلق به .

هذه الاهتمامات للمؤلف كما ذكرنا هيات الفرصة لاختياره عضوا فى الهيئات الرسمية الخاصة اولا باصلاح الخراب الذى حدث فى الكعبة المشرفة كما ذكرنا ثم فى الهيئة التى الفت للتوسعة العظيمة للمسجد الحرام فيما بعد ، وقد أتاح له هذا الاختيار ان يطلع على الكثير من المعلومات الدقيقة التى لم تتح لغيره من المؤرخين ، فهو يقدم لنا وصفا دقيقا للآثار الدينية والمعمارية فى المسجد الحرام مزودة بالمقاسات الدقيقة والصور الشمسية وذلك بعد استعراض المراحل التاريخية التى مر بها الأثر المذكور اذا صح هذا التعبير ، بل أننا نجد بالنسبة لمقام الخليل ابراهيم على سبيل المثال يقدم لنا وصفا يوميا دقيقا للكيفية التى سار عليها العمل فى نقل المقام من موضعه السابق الى الموضع الحالى بعد أن وضع فى الصندوق الزجاجي الحالى ويتحدث عن الموضوع بتفصيل يشمل جميع التطورات التى صاحبت الفكرة من بدء تنفيذها الى حين اتمامها .

إن كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم هو موسوعة تاريخية وهامة لمكة المكرمة والمسجد الحرام بما حواه من الكعبة المعظمة ومقام ابراهيم وكلما يتعلق بالمسجد الحرام وأماكن المناسك وهو يضم كلما أورده المؤرخون السابقون ثم يضيف اليه الجديد فى عصر المؤلف وهو بهذه المثابة مرجع شامل عظيم القيمة لمن أراد التحقيق والبحث .

النقص الهام فى الكتاب

ولكن الكتاب يخلو من الحوادث السياسية خلوا تاما، يخلو من ذكر الخلفاء الذين حكموا البلد الأمين والعهود السياسية المختلفة التى مرت عليه والحروب التى نشبت فيه وهو بهذا يفقد الصفة التاريخية التى يقوم عليها اسم الكتاب أو على الأقل يفقد جزءا هاما من هذه الصفة لخلوه من الحوادث السياسية التى تتعلق بمكة المكرمة موضوع الكتاب.

عذر ساذج

ولقد ادرك المؤلف خلو كتابه من هذه الحوادث فاعتذر عن ذلك اعتذارا ساذجا اذا صح هذا التعبير فلقد جاء فى الجزء الاول من كتابه فى خطبة الكتاب بالحرف الواحد:-

(والسبب الذى من أجله تركت ذكر حوادث الحروب بمكة هو أن ذلك يعرضنى الى ذكر مساوىء من سبقنى بالايان من اموات المسلمين وهم قد قدموا الى ماعملوا، وقد قال ﴿ﷺ﴾ اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم، وايضا لا بد اذا ذكرت ما وقع بين فلان وفلان اقع فى غيبتهم والغيبة حرام للاحياء والاموات، قال الله تعالى ولا يقتب بعضكم بعضا، ثم إن ذكر الحروب من اختصاص المؤرخين السياسيين وأنا لا اعرف فى السياسة شيئا منذ الصغر فالحمد الذى عافانى منها لاشتغل بما هو انافع واصلاح لمثلى، ففي الصحيحين، كل ميسر لما خلق له وللتين قوم وللجميز اقوام فالسياسة مطلوبة بل واجبة لكن على طبقة خاصة هى طبقة الملوك والوزراء والامراء الذين بيدهم الحل والعقد انتهى ماكتبه المؤلف بنصه (١).

(١) راجع صفحة ١٢ و١٣ الجزء الاول من التاريخ القويم.

وردنا على ذلك هو أن ذكر الحوادث والحروب التي وقعت بمكة المكرمة لا تقتضى من المؤلف أن ينال القائمين بها بالغيبة والتعريض، والمؤرخ امام الحوادث التي ينقلها ويسجلها ازاء طريقين ان يذكر الحوادث منسوبة إلى مصادرها ويكتفى بذلك، أو يذكر الحوادث ويعلق عليها أو ينقل تعليقات من سبقه من المؤرخين عليها فإذا كان في هذه الحوادث ما يسبب الحرج للمؤلف كأن يكون اختلاف الرأى فيها وفي اسبابها كبيرا، ولم يفتح الله عليه بشيء يجعله يرجح الرأى الصائب أو الأكثر صوابا ففي وسعه الاكتفاء بذكر الحوادث والامساك عن التعليق عليها، تاركا للقارىء اتخاذ الحكم الذى تهديه اليه قراءته للحوادث واسبابها، وإن كان المؤلف ممن اوتي الشجاعة لبدء الراي الصائب فله ان يسجله ويتحمل تبعاته.

أما تجنب ذكر الحوادث تفاديا لهذا الحرج أو للسبب الذى ذكره مؤلف كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم فهو كما ذكرت من الاسباب التى تخرج الكتاب عن الصفة التى اراد المؤلف أن تكون لكتابه.

إن الحوادث السياسية والحروب هي مادة التاريخ إذا صح هذا التعبير، فالحروب هي التي غيرت وتغير وجه العالم وكلما كانت الحروب كبيرة وواسعة كلما كان التغيير اشمل واعم.

ترى لو لم تخرج الجيوش الاسلامية من الجزيرة العربية في صدر الاسلام فتدبل من عرش الاكاسرة في فارس والعراق، وتدبل دولة الروم في الشام وفي مصر ماذا كان حال هذه البلاد، وهل اصبحت العراق والشام ومصر والاردن وفلسطين ولبنان بلادا عربية اسلامية؟.

ولانريد الاكثار من سرد الامثلة ولكني اكتفى بان اقول ان الحرب العالمية الاولى جلبت الاستعمار للبلاد العربية كلها والحرب العالمية الثانية اخرجت الاستعمار من البلاد العربية كلها، ومن كثير من البلدان في آسيا وافريقيا، فالحروب ليست شرا مطلقا وانما قد ينتج منها الخير الكثير.

والحروب اذا كانت دفاعا عن عقيدة أو وطن فهي حروب مقدسة مفروضة على الناس، والقتل اذا كان دفاعا عن عرض أو مال فهو قتال شريف كريم ولا غبار عليه، نستطيع أن نقول أن كتاب الشيخ طاهر الكردي يمكن أن يكون اسمه الصحيح بعد أن خلا من أهم عناصر التاريخ وهي الحوادث السياسية والحروب يمكن أن يكون اسمه، التاريخ القويم لأنار مكة والبيت الكريم، ولو أن المؤلف سماه كذلك لما كان هناك مجال للاعتراض عليه بحال من الاحوال.

وبعد فإن الكتاب كما ذكرت يحتل مكانة قيمة بين الكتب التي تؤرخ للبلد الكريم وللبيت الحرام وهو مرجع هام لهذه الآثار المقدسة وتطوراتها التاريخية وهو يمتاز بالاحاطة والشمول والدقة المبينة على المشاهدة والبحث وهو جهد مشكور للمؤلف رحمه الله تعالى يسلكه في عداد المؤرخين لأنار مكة المكرمة والبيت الحرام فجزاه الله عن ذلك خير الجزاء.

مؤلفاته الأخرى

إن الشيخ طاهر كردي رجل متعدد الجوانب وقد تحدثنا عن أهم جوانبه في هذه الصفحات ولقد اطلعت على كتاب مطبوع له اسمه ادبيات الشاي والقهوة والدخان وعجبت كيف يتفرغ الرجل للتأليف في هذه الامور فالكتاب يذكر تاريخ الشاي والقهوة وما قيل فيهما من الشعر وكيف يصنع الشاي وادواته وما الى ذلك، ولا شك أن جمع هذه الطرائف فيه كثير من الجهد ولكن الشيخ طاهر الكردي هو الشيخ طاهر الكردي الذي استطاع أن يعبر عن جانب آخر من جوانب شخصيته الاجتماعية التي ذكرتها في صدر هذه الصفحات.

وهناك ناحية أخرى في الرجل هي الناحية الشعرية فكتابة التاريخ القويم يتضمن أرجوزة نظمها في تاريخ بناء الكعبة المعظمة وأراجيز أخرى في مواضيع تتعلق بكتابه هذا، وإذا كان لابد من التعليق عليها فأقول أن هذه الأراجيز تشبه أراجيز المتون التي كنا نحفظها كأرجوزة ابن مالك في النحو والخريدة في التوحيد،

والتي كانت تفرض علينا في المدارس وهي كلام منظوم لا يمت الى الشعر بادنى صلة والشيخ طاهر رحمه الله إنما يعبر عن ناحية أخرى من نواحي شخصيته المتعددة الجوانب كما سبق أن ذكرنا، فلنأخذ كما أراد الله له أن يكون، هناك الكتب الدينية التي ألفها الشيخ طاهر الكردي وأهمها كما ذكرت هو كتاب التفسير المبكي في أربعة أجزاء وهذا الكتاب لا يزال مخطوطاً ولم يتح لي الاطلاع عليه ولهذا لا أستطيع الحديث عنه، وحبذا لو عُنيت بالبحث عنه وعن مؤلفات الشيخ طاهر الأخرى إحدى الجهات المعنية في بلادنا بنشر الكتب كالنواصي الأدبية وغيرها وعهدت إلى المختصين بالموضوعات التي تعالجها هذه المؤلفات بدراستها ونشر ما يستحق النشر منها إفادة للناس وأحياءاً للذكرى الرجل الذي قضى حياته منكبا على التأليف.

بقية التاريخ القويم

لقد ذكرت أنني اطلعت على أربعة أجزاء من كتابه القيم الجامع، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم والذي تحدثت عنه، بما فيه الكفاية في الصفحات السابقة والكتاب كما يظهر لم يتم ولقد ذكر المؤلف أن الجزء الخامس يتحدث عن الحج وهذا الجزء لم يطبع بعد ولست أدري إن كان لدى صديقنا الشيخ أحمد مجاهد الذي طبع الأجزاء الأربعة على نفقته جزاء الله عن العلم وأهله خير الجزاء، لست أدري إن كان هذا الجزء الخامس وربما غيره مما يكمل به الكتاب موجود لدى صديقنا الشيخ أحمد مجاهد وهو يعتزم إصدار هذه البقية اكتمالاً للمكرمة العظيمة التي قام بها أم إن هذه الكتب لا تزال ضمن مخطوطات الشيخ طاهر رحمه الله، وعلى أي حال فإن نشر ما بقي من كتاب التاريخ القويم فيه من الفائدة ما يكمل العمل الطيب الذي بدأ به الرجل والذي يعتبر مع كتابته للمصحف الكريم من أجل الأعمال التي أداها والتي تسلكه في عداد الاعلام من الرجال.

وقد توفي الشيخ طاهر الكردي في ليلة الاثنين بتاريخ ٢٣ ربيع الثاني من عام

١٤٠٠هـ بمستشفى بخش بجدة، ونقل في اليوم التالي الى مكة المكرمة، رحمه
الله وأحسن جزاءه لقاء ما بذل من الجهد في كتابة كتابه الكريم والعناية بتاريخ البلد
الامين وبيت الله الحرام انه لا يضيع أجر من أحسن عملا.



مصادر الكتاب

مصادر الكتاب

- موسوعة تاريخ مدينة جدة
للاستاذ عبدالقدوس الانصاري
مجلة الاحكام الشرعية
للشيخ احمد القاري ، بتحقيق الدكتور عبدالوهاب ابوسليمان والدكتور محمد
ابراهيم أحمد علي .
اعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة
للمؤلف .
نفثات من اقلام الشباب الحجازي .
للاستاذة هاشم الزواوي . وعبدالسلام الساسي ، وعلي حسين فدعق .
في ظلال الصراحة .
للاستاذ عبدالسلام الساسي
نظرات في الادب المقارن
للاستاذ عبدالسلام الساسي
الشعراء الثلاثة .
للاستاذ عبدالسلام الساسي
شعراء الحجاز في العصر الحديث
للاستاذ عبدالسلام الساسي
الموسوعة الادبية (ثلاثة اجزاء) .
جمع عبدالسلام الساسي .

نفحات الاسلام من البلد الحرام
للسيد علوى عباسى المالكي .
فتح القريب المجيب على تهذيب
الترغيب والترهيب
للسيد علوى عباس المالكي .
ابانة الاحكام .
للسيد علوى المالكي والسيد حسن سليمان النورى
ملامح الحياة الاجتماعية فى الحجاز .
فى القرن الرابع عشر للهجرة
للمؤلف .
رسائل الى ابنتى شيرين .
لحمزة شحاته .
رفات عقل
للاستاذ حمزة شحاته ، اعداد الاستاذ عبد الحميد مشخص .
المجموعة الشعرية المخطوطة .
للاستاذ حمزة شحاته .
تاريخ عمارة المسجد الحرام .
للشيخ حسن عبدالله باسلامه .
تاريخ الكعبة المعظمة .
للشيخ حسين عبدالله باسلامه .
المسجد الحرام (ثلاثة مجلدات) .
اصدرتها وزارة المالية والاقتصاد الوطني تحتوى على التقرير الشامل لمشروع
التوسعة السعودية للمسجد الحرام
الباب الجديد للكعبة المشرفة .
الكتيب المصور الذى الذى اصدرته وزارة الحج والاقواف للباب الذهبى الجديد

الذى وضع للكعبة المشرفة .

مجلة المنهل .

اعداد متفرقة من المجلة الشهرية التى يصدرها الاستاذ عبدالقدوس الانصارى .

اظهار الحق (مجلدين) للشيخ رحمه الله بن خليل العثماني الكيلاني .

أكبر مجاهد فى التاريخ .

للشيخ محمد سليم بن محمد سعيد .

تطور الصحافة فى المملكة العربية السعودية .

للاستاذ عثمان حافظ .

آثار المدينة المنورة .

لعبدالقدوس الانصارى

وفاء الوفاء

للسمهودى

الماليك للدكتور السيد الباز العريفي

تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين .

للسيوطى

قيام دولة الماليك الأولى فى مصر والشام

للدكتور أحمد مختار العبادى .

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم

محمد طاهر الكردى

ادبيات الشاى والقهوى والدخان .

محمد طاهر الكردى

تاريخ الخط العربي وآدابه

محمد طاهر الكردى

كتب صدرت للمؤلف

البعث

رواية طويلة صدرت الطبعة الأولى منها في عام ١٣٦٤ هـ وأعيد طبعها مع قصص أخرى في سنة ١٤٠٣ هـ.

حبات من عنقود

مجموعة من الاحاديث القصيرة صدرت عام ١٣٨٧ هـ.

لعنة هذا الزمن .

مجموعة مقالات تتعلق بالأحداث العربية والاسلامية صدرت سنة ١٣٨٧ هـ .

أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، تراجم لثلاثين من أعلام الرجال في

الحجاز صدر عام ١٤٠١ هـ .

ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري من مختلف

جوانبها صدر في سنة ١٤٠١ هـ .

تصوير للحياة الاجتماعية خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري .

أبو بكر الصديق خليفة رسول الله .

الكتاب الأول في سلسلة أعلام الصحابة صدر في سنة ١٤٠٣ هـ .

عمر بن الخطاب أمير المؤمنين .

الكتاب الثاني في سلسلة أعلام الصحابة صدر في سنة ١٤٠٣ هـ .

فهرس الموضوعات

٣ - المقدمة

٦ - الشيخ أحمد عبدالله القاري

١٢ - مجلة الأحكام الشرعية

١٨ - حسين عبدالله باسلامه

- ١٩ - ولادته وتعليمه - ٢١ - وظائفه - ٢٢ - مؤلفاته - مؤلفاته - ٢٣ - تاريخ
عمارة المسجد الحرام - ٢٤ - عمارة المسجد عبر التاريخ - ٢٧ - أوليات المسجد
الحرام - ٢٩ - مساحة المسجد الحرام - ٣٠ - أبواب المسجد الحرام - ٣٢ - الخطبة
والمنبر في المسجد الحرام - ٣٤ - موكب الخطيب - ٣٦ - كثرة الخطباء والأئمة في
المسجد الحرام - ٣٧ - المقامات الأربعة - ٣٩ - معلومات عددية - ٤٠ - أحداث
هامة في المسجد - ٤٣ - العمارة السعودية - ٤٣ - مقدمة البحث - ٤٥ - التصميم -
٤٧ - عدد الطائفين - ٤٧ - الرخام - ٤٨ - صحن المسجد - ٤٨ - المسعى - ٤٨ -
أيواب المسعى - ٤٨ - أيوب المسجد - ٤٩ - صناعة الأبواب - ٤٩ - المآذن - ٤٩ -
الخطوط والذهب - ٥٠ - المواد - ٥٠ - عدد العمال - ٥٠ - تكاليف العمارة الجديدة -
٥١ - اصلاح الكعبة - ٥١ - تاريخ بدء العمل ونهايته - ٥٣ - تاريخ الكعبة المعظمة
- ٥٤ - بناء ابراهيم للكعبة - ٥٥ - مقام إبراهيم - ٥٥ - صفة بناء إبراهيم - ٥٥ -
وإذ بوأنا لآبراهيم مكان البيت - ٥٥ - الحجر الاسود - ٥٦ - جرهم والعماليق - ٥٦ -
- بناء قصي للكعبة - ٥٧ - بناء قريش للكعبة - ٥٨ - النبي ﷺ يشارك في بناء
الكعبة - ٥٨ - قريش تبنى الكعبة من طيب ما لها - ٥٩ - الحجر الأسود - ٥٩ -
وقريش تقسم البناء أجزاء - ٥٩ - كنوز الكعبة - ٦٠ - بناء عبدالله بن الزبير للكعبة

- ٦٠ - إحتراق الكعبة - ٦١ - موت يزيد بن معاوية - ٦١ - والحسين يرتحل - ٦١ -
وعبدالله بن عمرو بن العاص يبكي - ٦٢ - ويعظ الناس - ٦٢ - ابن الزبير يستشير
في هدم الكعبة - ٦٣ - ابن الزبير يرد على ابن عباس - ٦٢ - ابن الزبير يحزم أمره
على الهدم - ٦٣ - ابن الزبير يجمع المؤن قبل مباشرة الهدم - ٦٣ - ابن الزبير يخرج
كنوز الكعبة - ٦٤ - وأهل مكة يغادرونها الى منى والطائف - ٦٤ - ابن الزبير يباشر
هدم الكعبة بنفسه - ٦٤ - نصب الخشب حول الكعبة وتغطيته بالسطور - ٦٥ -
الكشف عن أساس إبراهيم - ٦٥ - وضع الحجر الاسود في الركن - ٦٦ - غضب
بعض الناس لعدم إشراك القبائل في وضع الحجر الاسود - ٦٦ - زيادة ابن الزبير
في طول البناء - ٦٦ - تزيين الكعبة بالرخام - ٦٧ - الابواب والميزاب - ٦٧ - تطيب
الكعبة وكسوتها - ٦٧ - ويفرش حول الكعبة بالحجارة - ٦٧ - ابن الزبير يطلب من
النساء أن يعتمرنا ويتصدقوا - ٦٨ - ابن الزبير ينحر مائة بدنه - ٦٨ - تحلية أساطين
الكعبة بالذهب - ٦٨ - بناء الحجاج للكعبة المعظمة - ٦٩ - عبدالمملك يندم بعد
فوات الأوان ويلعن الحجاج - ٧٠ - لاتجعل كعبة الله ملعبة للملوك - ٧١ - الطواف
من خارج الحجر - ٧١ - خلاصة القول - ٧١ - السبل يهدم الكعبة - ٧٣ - استفتاء
الشريف علماء مكة في اصلاح الكعبة - ٧٣ - تنظيف المسجد وإحاطة الكعبة بسور
من الاخشاب - ٧٤ - الاهتمام باصلاح الكعبة - ٧٤ - العمل في بناء الكعبة - ٧٦ -
حادث مثير للحجر الأسود - ٧٧ - تاريخ انتهاء البناء في الكعبة - ٨٠ - الحجر الاسود
- ٨٣ - إعادة الحجر - ٨٧ - كسوة الكعبة - ٩٠ - كسوة الكعبة في الاسلام - ٩٣ -
مصر تمتنع عن إرسال الكسوة - ٩٥ - إنشاء مصنع الكسوة بمكة المكرمة - ٩٧ -
باب الكعبة - ٩٩ سرقة الفضة من أبواب الكعبة - ٩٩ - باب الكعبة في العهد
العثماني - ١٠١ - باب الكعبة في العهد السعودي - ١٠١ - الباب الأول في عهد
الملك عبدالعزيز - ١٠١ - الباب الثاني في عهد الملك خالد بن عبدالعزيز - ١٠٢ -
تصميم الباب - ١٠٣ - باب التوبة - ١٠٣ - التكاليف - ١٠٣ - مدة الصنع - ١٠٤ -
- الكتابة التي على الباب - ١٠٥ - الحفرة التي أمام الكعبة - ١٠٦ - ميزاب الكعبة
- ١٠٧ - حجر اسماعيل - ١٠٩ - كسوة الحجر - ١١٠ - آخر عمارة للحجر - ١١٠ -

مساحة الحجر- ١١٠ - سدانة الكعبة المعظمة - ١١١ - عثمان بن طلحة يغلظ للنبي ﷺ - ١١١ - خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم - ١١١ - إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها - ١١٢ - آل الشيبى - ١١٢ - شيبة بن عثمان يحج بالناس - ١١٣ - الحجاب لأكبر العائلة سنأ - ١١٣ - صحة نسب آل الشيبى - ١١٤ - هدايا الكعبة - ١١٤ - الهدايا في الاسلام - ١١٥ - ملك التبت يرسل سريره وصنمه ١١٦ - وكيل أمير مكه يأخذ السرير والصنم ويسكه دراهم - ١١٦ - اهداء الجواهر الى الكعبة - ١١٧ - تعليق بيعة أبناء الخلفاء - ١١٧ - إهداء القناديل للكعبة - ١١٨ - أين ذهبت هدايا الكعبة - ١١٨ - الذي أخذوا أموال الكعبة - ١١٩ - هدية السلطان مراد - ١١٩ - هدية ملكة بندر آرشي - ١٢٠ - الهدايا المعلقة في الكعبة - ١٢٠ - تطيب الكعبة - ١٢١ - خدام الكعبة وأغوات الحرم - ١٢٢ - غسل داخل الكعبة - ١٢٢ - سرقة مفتاح الكعبة - ١٢٣ - إشتعال ثوب الكعبة - ١٢٤ - ذكرياتي عن الشيخ حسين باسلامه .

١٢٩ - حمزه شحاته

١٣٦ - إلى ابنتى شيرين - ١٤٦ - حمزه شحاته الشاعر - ١٥١ - حمزه وقنديل - ١٦٠ - حمزه شحاته والعواد - ١٦٠ - ملحمة - ١٦٣ - حمزه وبناته - ١٦٤ - كلثوم - ١٦٥ - الحنين الى الوطن - ١٦٥ - وج - ١٦٥ - الشعر الحر - ١٦٦ - الكلمة الأخيرة - ١٦٧ - عازف العود

١٦٨ - عبدالسلام طاهر الساسى

١٧٢ - نفثات من أقلام الشباب الحجازى - ١٧٤ - في الأدب المقارن ومساجلات الشعراء - ١٧٨ - الموسوعة الأدبية ١٨١ - شخصية الساسى - ١٨٣ - صلة الساسى بالعواد وشحاته .

١٨٦ - عبدالقدوس الانصارى

١٨٨ - ثقافته - ١٨٩ - ذكرياتي عن الانصارى - ١٨٩ - غرامه بالآثار - ١٩٠ - اطلاعه الواسع - ١٩١ - مجلة المنهل - ١٩٢ - المنهل مرجع هام - ١٩٣ - مؤلفات عبدالقدوس - ١٩٤ - آثار المدينة المنورة - ١٩٥ - قسم القصور - ١٩٥ - قسم

الحصون - ١٩٥ - قسم المساجد - ١٩٦ - المسجد النبوي الشريف - ١٩٩ -
 الترميمات في المسجد - ١٩٩ - العمارة السعودية للمسجد النبوي الشريف - ١٩٩ -
 هدم الدور والاماكن المحيطة بالمسجد - ٢٠٠ - مراحل الزيادات في المسجد النبوي
 الشريف - ٢٠١ - معلومات عامة عن المسجد - ٢٠١ - أساطين المسجد ونوافذه
 ٢٠٣ - صب الرصاص حول الحجرة - ٢٠٣ - الكوكب الدرّي - ٢٠٣ - حجرة
 فاطمة - ٢٠٣ - محراب التهجد - ٢٠٤ - الصُفة - ٢٠٤ - المآذن - ٢٠٤ - أبواب
 المسجد النبوي - ٢٠٥ - جدران المسجد - ٢٠٥ - إنارة المسجد الشريف - ٢٠٦ -
 التوسعة الثانية للمسجد النبوي - ٢٠٧ - موسوعة تاريخ مدينة جدة - ٢٠٨ - قدم
 مدينة جدة - ٢٠٨ - بناء الفرس لمدينة جدة - ٢٠٩ - جدة قبل الاسلام - ٢٠٩ -
 جدة في العهد الاسلامي - ٢١٠ - جدة في روايات الرحالة - ٢١١ - أبحر - ٢١٢ -
 عودة الى الرحالين - ٢١٢ - أهل جدة يرحلون - ٢١٥ - البرتغاليون يهاجمون جدة
 ٢١٦ - الشريف والوالي - ٢١٨ - الانكليزي يقذفون جدة بالقنابل - ٢١٨ - إرسال
 الاسطول الانجليزى مرة أخرى إلى جدة - ٢١٩ - هجرة أهل جدة الى مكة -
 ٢١٩ - الانجليز يضربون جدة - ٢١٩ - جدة مقر للملك على بن حسين - ٢٢١ -
 حكام جدة - ١٢١ - قيطاس بك - ٢٢٢ - حسين باشا - ٢٢٣ - الأشراف يشكون
 أمير مكة - ٢٢٦ - شريف مكة يهاجم جدة - ٢٢٧ - غزو الأحباش لجدة - ٢٢٧ -
 تعداد سكان جدة - ٢٢٨ - عدد الأجانب في جدة - ٢٢٩ - تعداد المباني في جدة -
 ٢٢٩ - شارع قابل - ٢٢٩ - البحر الاحمر - ٢٣٠ - الماء في جدة - ٢٣٠ - تقطير الماء
 من البحر - ٢٣١ - عين العزيزة - ٢٣٢ .

امتيازات الحضارمة في جدة - ٢٣٢ - ثروات البحر - ٢٣٢ - صادرات جدة - ٢٣٣ -
 رأس المال - اللؤلؤ في جدة - ٢٣٣ - واردات جدة - ٢٣٣ - صادرات المملكة
 وواردها في سنة ١٩٧٩ - ٢٣٣ - حارة مظلوم - ٢٣٤ - باب المغاربة - ٢٣٥ -
 أوليات في جدة - ٢٣٦ - المسيحيون في جدة - ٢٣٦ - اليهود في جدة - ٢٣٧ -
 إضاءة الشوارع - ٢٣٧ - دخول فن التصوير الفوتوغرافي - ٢٣٧ - الحسبة
 والمحتسب - ٢٣٨ - قبر حواء - ٢٣٨ - تقييم الكتاب - ٢٣٩ - المعارك الأدبية - ٢٣٩

- الكلمة الأخيرة - ٢٤٠ - مرضه ووفاته .

٢٤٢ - عبدالله باشا باناجه

٢٥٦ - السيد عبيد عبدالله مدني

٢٥٩ - رائد الأدب الحديث بالمدينة المنورة

٢٦٣ - السيد عبيد عضو مجلس الشورى

٢٦٤ - وفد مجلس الشورى إلى الملك عبدالعزيز - ٢٦٥ - معلمة تاريخ المدينة المنورة .

٢٦٦ - السيد عبيد الشاعر

٢٦٧ - نفثه مصدر - ٢٦٩ - بين الماضى والحاضر

٢٧٤ - السيد علوي بن عباس المالكي

٢٨٠ - مؤلفات السيد علوي المالكي - ٢٨٢ - إبانة الأحكام

٢٨٦ - الشيخ محمد رحمة الله العثماني

٢٩٤ - رحلة القسطنطينية - ٢٩٦ - فنديره رب من القسطنطينية - ٢٩٦ - كتاب إظهار الحق - تأسيس أول مدرسة بمكة المكرمة - ٢٩٨ - المدرسة الصوليتية - ٣٠٠ - دسائس وعقبات - ٣٠٢ - تجديد الدراسة في حلقة الشيخ رحمت الله - ٣٠٣ - التلامذة والمخرجون - ٣٠٦ - عودة الى المدرسة الصوليتية - ٣١٠ - مؤلفات الشيخ رحمت الله

٣١٤ - الشيخ محمد طاهر الكردي

٣١٦ - مصحف مكة المكرمة - ٣٢٣ - طاهر كردي الخطاط - ٣٢٤ - الخطاطون الذين أدركتهم - ٣٢٥ - أهل مكة يرسلون أولادهم إلى الخطاط - ٣٢٥ - الشيخ سليمان الغزاوي وتاج الغزاوي - ٣٢٦ الشيخ عبدالله متبولي - ٣٢٦ - الدوائر

- الحكومية - ٣٢٦ - أدوات الكتابة - ٣٢٦ - تاريخ الخط العربي وآدابه - ٣٢٧ -
الحبر نيشان الكاتب - ٣٢٧ - التراب هو النشاف - ٣٣٠ - طاهر كردي المؤلف -
٣٣٢ - طاهر كردي المؤرخ - ٣٣٢ - التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم - ٣٣٤ -
- النقص الهام في الكتاب - ٣٣٤ - عذر ساذج - ٣٣٦ - مؤلفاته الأخرى - ٣٣٣ -
بقية التاريخ القويم - ٣٣٩ - مصادر الكتاب .





تمت الطباعة بمطابع

دار العلم للطباعة والنشر

جدة - خلف شارع الصحافة

مجمع مؤسسة المدينة للصحافة

هاتف ٦٧١١٣١ - ص ب ٨٧٧ - رفحاء - القصوى - تليفون EFTM ١٣٥

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م